الكاتبة الأكثر مبيعًا في قائمة النيويورك تايمز
ROCK
PAPER
SCISSORS
حجر
ورقة مقص
أليس فيني
ترجمة: عهد عاطف
عصير الكتب
مكتبة ياسين

ROCK PAPER SCISSORS

هل تعتقد أنك تعرف الشخص الذي تزوجتَه؟

فكِّر مجددًا...

كانت الأحوال سيئة بين السيد والسيدة رايت مدةً طويلة. يتبادل الزوجان الهدايا التقليدية في كل ذكرى سنوية، هدية لكل سنة من خامة مختلفة: الورق والقطن والفخار والقصدير. وفي كل عام تكتب زوجة آدم رسالة لا تسمح له بقراءتها أبدًا. حتى الآن.

عاش آدم رايت -كاتب السيناريو والمدمن على العمل- مع عمى الوجوه طوال حياته. لا يستطيع التعرف على الأصدقاء أو العائلة أو حتى زوجته. وأميليا سئمت من الشعور بكونها غير مرئية.

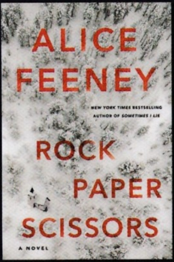

يفوز آدم وأميليا بعطلة نهاية أسبوع في اسكتلندا، قد يكون هذا هو ما يحتاجه زواجهما. يعلم كلاهما أن هذه العطلة ستُصلِح أو تنهي زواجهما، لكنهما لم يفوزا بهذه الرحلة بعشوائية. أحدهما يكذب، ويوجد من لا يريدهما أن يعيشا في سعادة دائمة.

عشر سنوات من الزواج. عشر سنوات من الأسرار. وذكرى زواجٍ لن ينسياها أبدًا.

تصميم الغلاف كريم آدم

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

حجر ورقة مقص

يسعدنا انضمامكم إلى قناة

مكتبة ياسمين

معكم نكبر ونستمر بكل جديد

t.me/yasmeenbook

- العنوان الأصلي: Rock Paper Scissors
- العنوان العربي: حجر ورقة مقص
- طُبِع بواسطة: Flatiron Books

- حُقوق النشر:
Copyright © Diggi Books Ltd 2021
Illustrations copyright © Rhys Davies
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: عهد عاطف
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: سلسبيل بهاء الدين
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/2024م
- رقم الإيداع: 2023/23652م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-321-5

إلى دانيل.. طبعًا.

أميليا

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

فبراير 2020

لا يتعرف زوجي على وجهي.

أشعر به يحدق إليَّ فيما أقود السيارة، وأتساءل عما يراه. لا أحد يبدو مألوفًا له أيضًا لكن ما زال من الغريب الاعتقاد بأن الرجل الذي تزوجته لن يكون قادرًا على التعرف عليَّ إذا وقفت بين مجموعة تشتبه بهم الشرطة.

أعرف التعبير الذي يظهر على وجهه دون الحاجة إلى النظر. تعبير عابس وفظ كأنه يقول «لقد أخبرتكِ»، لذا أركز على الطريق بدلًا من ذلك. أنا بحاجة إلى التركيز، لأن الثلج يتساقط بسرعة الآن، إنه مثل القيادة في عاصفة ثلجية، ومساحات الزجاج الأمامي في سيارتي من طراز موريس مينور ترافيلر تكافح من أجل التأقلم. صُنِعَت السيارة -مثلي- في عام 1978. إذا كنت تعتني بالأشياء فستدوم مدى الحياة، لكنني أشك في أن زوجي قد يرغب في مقايضة نموذج أحدث بها وأنا كذلك. فحص آدم حزام الأمان مئة مرة منذ مغادرتنا المنزل، ويداه مقبوضتان في حضنه. كان من المفترض ألا تستغرق الرحلة من لندن إلى اسكتلندا أكثر من ثماني ساعات لكنني لم أجرؤ على القيادة بسرعة أكبر في هذه العاصفة، رغم أن الظلام قد حل ويبدو أننا قد نكون تائهين بأكثر من طريقة.

هل يمكن لعطلة نهاية أسبوع في مكان بعيد أن تنقذ الزواج؟ هذا ما قاله زوجي عندما اقترحتْ عليه مستشارة العلاقات. تُكتب قائمة جديدة من الندم داخل رأسي في كل مرة تتكرر كلماته في ذهني. إن إضاعة الكثير من حياتنا بعدم عيشها حقًّا يجعلني أشعر بالحزن الشديد. لم نكن دائمًا ما نحن عليه الآن لكن ذكرياتنا عن الماضي يمكنها جعلنا جميعًا كاذبين. لهذا السبب أركز على المستقبل. فهو مِلكي. في بعض الأيام ما زلت أتخيله في مستقبلي، لكنْ هناك لحظات أتخيل فيها كيف ستكون الحال لو أصبحت بمفردي مجددًا. هذا ليس ما أريده، لكنني أتساءل عما إذا كان ذلك الأفضل لكلينا. يمكن للوقت تغيير العلاقات مثلما يعيد البحر تشكيل الرمال.

قال إنه يجب تأجيل هذه الرحلة عندما رأينا تحذيرات الطقس، لكنني لم أستطع. فكلانا يعلم أن هذه العطلة هي الفرصة الأخيرة لإصلاح الأمور. أو على الأقل محاولة إصلاحها. هو لم ينس **ذلك**.

ليس ذنب زوجي أنه ينسى من أكون.

يعاني آدم خللًا عصبيًّا يسمى عمى التعرف على الوجوه، مما يعني أنه لا يمكنه رؤية السمات المميزة للوجوه، من بين ذلك وجهه. لقد مر بجانبي في الشارع أكثر من مرة كأنني كنت غريبة. إن القلق الاجتماعي الذي يسببه يؤثر فينا حتمًا. يمكن أن يكون آدم محاطًا بأصدقائه في حفلة ولا يزال يشعر أنه لا يعرف حتى شخصًا واحدًا في الغرفة. لذلك نقضي الكثير من الوقت بمفردنا. معًا لكنْ بعيدان أحدنا عن الآخر. نحن فقط. عمى الوجوه ليس الطريقة الوحيدة التي يجعلني بها زوجي أشعر بأنني غير مرئية. فلم يكن يريد أطفالًا- قال دائمًا إنه لا يستطيع تحمل فكرة عدم التعرف على وجوههم. لقد عاش مع هذه الحالة طوال حياته، وقد عشت معها منذ أن التقينا. أحيانًا يمكن أن تكون النقمة نعمة.

قد لا يعرف زوجي وجهي، لكن توجد وسائل أخرى تعلمها للتعرف عليَّ: رائحة عطري، وصوتي، وشعور يدي في يده عندما كان لا يزال يمسك بها.

الزيجات لا تفشل، لكن الناس يفعلون.

أنا لست المرأة التي وقع في حبها كل تلك السنوات الماضية. أتساءل عما إذا كان يستطيع معرفة كم أبدو أكبر سنًّا الآن، أو إذا لاحظ تسلل الشيب في شعري الأشقر الطويل. قد يكون سن الأربعين هو سن الثلاثين الجديد، لكن بشرتي ممتلئة بالتجاعيد التي نادرًا ما كانت ناجمة عن الضحك. اعتدنا امتلاك كثيرًا من القواسم المشتركة، حيث نتشارك أسرارنا وأحلامنا وليس فقط السرير. ما زلنا ينهي أحدنا جمل الآخر، لكنْ هذه الأيام نخطئ فيها.

يتمتم تحت أنفاسه: «أشعر كأننا ندور في دوائر».

وللحظة لم أكن متأكدة مما إذا كان يشير إلى زواجنا أو مهاراتي في القيادة. يبدو أن السماء الرمادية مشؤومة المظهر تعكس مزاجه، وهذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها منذ عدة كيلومترات. استقر الثلج على الطريق أمامي، والرياح تشتد، لكن كل هذا ما زال لا يقارن بالعاصفة التي تهب داخل السيارة.

أقول محاولةً إخفاء الانزعاج في صوتي لكنْ أخفق: «هل يمكنك فقط العثور على الإرشادات التي طبعتها وقراءتها مرة أخرى؟ أنا متأكدة من كوننا قريبين».

على عكسي فإن زوجي قد تقدم في السن بشكل جيد. إن سنواته التي تزيد على الأربعين عامًا تتنكر بذكاء من خلال قصة شعر جيدة، وبشرة حنطية، وجسم شكله الانغماس المفرط في سباقات نصف الماراثون. لطالما كان جيدًا جدًّا في الهروب، خاصةً من الواقع.

آدم كاتب سيناريو. لقد بدأ من أسفل الدرجة الأولى من سلم هوليوود القابل للطي، ولم يكن قادرًا تمامًا على الوصول إليه بمفرده. يخبر الناس أنه انتقل مباشرة من الدراسة إلى صناعة الأفلام، وهي مجرد كذبة بيضاء. فقد حصل على وظيفة في السينما في نوتينغ هيل عندما كان في السادسة عشرة من عمره، إذ كان يبيع الوجبات الخفيفة وتذاكر الأفلام. وبحلول الوقت الذي كان فيه في الحادية والعشرين، كان قد باع حقوق سيناريو الفيلم الأول. لم يتخطَّ فيلم «حجر ورقة مقص» (Rock Paper Scissors) مرحلة التطوير قط، لكن آدم حصل على وكيل من الصفقة، وجعله الوكيل يعمل بتحويل الروايات إلى أفلام. لم يكن الكتاب من أكثر الكتب مبيعًا، لكن نسخة الفيلم

-بريطاني بميزانية منخفضة- فازت بجائزة بافتا (Bafta)، وبسببها وُلد كاتب. لم يكن الأمر مماثلًا لرؤية شخصياته التي كتبها بنفسه تنبض بالحياة على الشاشة -نادرًا ما تكون الطرق المؤدية إلى أحلامنا مباشرة- ولكنَّ هذا يعني أن آدم يمكنه التوقف عن بيع الفشار وبدء الكتابة بدوام كامل.

لا يميل كاتبو السيناريو إلى أن يكونوا أسماء مشهورة، لذلك قد لا يعرفه بعض الناس، لكنني سأكون على استعداد للمراهنة على المال بأنهم شاهدوا على الأقل واحدًا من الأفلام التي كتبها. رغم مشكلاتنا فإنني فخورة جدًّا بكل ما حققه. فقد بنى آدم رايت سمعة في المجال لتحويل الروايات غير المُكتَشفة إلى أفلام رائجة، ولا يزال يبحث دائمًا عن التالي. سأعترف أنني أشعر أحيانًا بالغيرة، لكنني أعتقد أن هذا أمر طبيعي فقط بالنظر إلى عدد الليالي التي يفضل فيها أخذ كتاب للنوم. زوجي لا يخونني مع النساء الأخريات، لكنه لديه علاقات حب مع كتاباتهن.

البشر كائنات غريبة لا يمكن التنبؤ بها. أنا أفضل رفقة الحيوانات، وهو أحد الأسباب العديدة التي تجعلني أعمل في مأوى باترسي للكلاب. تميل المخلوقات ذات الأرجل الأربعة إلى أن تكون رفقاء أفضل من تلك التي لديها اثنتان، والكلاب لا تحمل ضغائن أو تعرف كيف تكره. أفضل عدم التفكير في الأسباب الأخرى التي تجعلني أعمل هناك؛ أحيانًا يكون من الأفضل ترك غبار ذكرياتنا دون أن يُزال.

ظهر من الزجاج الأمامي منظرًا طبيعيًّا دراميًّا متغيرًا باستمرار خلال رحلتنا. هناك أشجار في كل ظل من البحيرات الخضراء العملاقة المتلألئة والجبال المغطاة بالثلوج وكمية لا حصر لها من الفضاء المثالي غير الملوث. أنا أعشق المرتفعات الاسكتلندية. إذا كان هناك مكان أكثر جمالًا منها على الأرض، فأنا لم أعثر عليه بعد. يبدو العالم هنا أكبر بكثير مما هو عليه في لندن. أو ربما أنا أصغر. أجد السلام في السكون الهادئ وفي البُعد عن كل شيء. فلم نر روحًا أخرى لأكثر من ساعة، مما يجعل هذا المكان مثاليًّا لما خططت له.

نعبر بحرًا عاصفًا على يسارنا ونواصل طريقنا شمالًا، صوت الأمواج المتلاطمة يغمرنا. عندما يتقلص الطريق المتعرج إلى ممر ضيق، تنعكس

السماء -التي تغيرت من اللون الأزرق إلى الوردي إلى الأرجواني والآن الأسود- في كل من البحيرات المجمدة جزئيًّا التي نمر بها. وتبتلعنا الغابة فيما نتقدم للداخل أكثر. أشجار الصنوبر القديمة المغطاة بالثلج والتي تبدو أطول من منزلنا متقوسة على غير شكلها المعتاد بفعل العاصفة كما لو كانت أعواد ثقاب. تعوي الرياح مثل شبح خارج السيارة فيما تحاول باستمرار إبعادنا عن مسارنا، وعندما ننزلق قليلًا على الطريق الجليدي أمسك عجلة القيادة بقوة بحيث تبرز عظام أصابعي من خلال جلدي. ألاحظ خاتم زواجي. تذكير قوي بأننا ما زلنا معًا رغم جميع الأسباب التي قد تجعلنا نفترق. الحنين إلى الماضي مخدر خطير، لكني أستمتع بالإحساس بذكريات أكثر سعادة تغمر ذهني. ربما لسنا ضائعين كما نشعر. ألقي نظرة سريعة على الرجل الجالس بجانبي متسائلة عما إذا كان بإمكاننا العودة إلى ما كنا عليه. ثم أفعل شيئًا لم أفعله منذ فترة طويلة، وأمسك يده.

قال: «توقفي».

كل شيء يحدث بسرعة. الصورة غير الواضحة والمشوبة بضباب الثلج لغزال يقف في منتصف الطريق أمامنا، وقدمي تصطدم بالمكابح، تنحرف السيارة وتدور قبل أن تنزلق أخيرًا وتتوقف أمام قرني الغزال الضخمين. يرمش مرتين في اتجاهنا قبل أن يبتعد بهدوء كأن شيئًا لم يحدث ويختفي في الغابة. حتى الأشجار تبدو باردة.

يخفق قلبي بشدة داخل صدري فيما أحاول الوصول إلى حقيبتي. تجد أصابعي المرتجفة محفظتي ومفاتيحي وجميع المحتويات الأخرى تقريبًا قبل إيجاد جهاز الاستنشاق. أرجه وأستنشق بخة.

أسأل قبل أن أستنشق بخة أخرى: «هل أنت بخير؟».

يرد آدم: «أخبرتكِ أن هذه كانت فكرة سيئة».

امتنعت عن الكلام مرات عديدة في هذه الرحلة.

أقول منفعلة: «لا أتذكر أنك تملك فكرة أفضل».

- ثماني ساعات بالسيارة لقضاء عطلة نهاية أسبوع...

- نقول منذ مدة طويلة إنه قد يكون من الرائع زيارة المرتفعات.

- قد يكون من الرائع زيارة القمر أيضًا، لكنني أفضل التحدث عن ذلك قبل أن تحجزي لنا رحلة على متن صاروخ. أنتِ تعرفين مدى انشغالي الآن.

أصبحت كلمة **مشغول** كضغطة الزناد في زواجنا. يضع آدم انشغاله كالشارة. مثل فتى الكشافة. إنه شيء يفتخر به: رمز لنجاحه. يجعله يشعر بأهميته، ويجعلني أرغب في إلقاء الروايات التي يقتبسها على رأسه.

أقول فيما أسناني يصطك بعضها ببعض، ويمكنني رؤية أنفاسي بفعل برودة الجو في السيارة الآن: «نحن في هذا المكان لأنك دائمًا مشغول جدًّا».

- معذرةً لكنْ هل تقترحين أنه **خطئي** أننا في اسكتلندا؟ في فبراير؟ في وسط عاصفة؟ كانت هذه فكرتكِ. على الأقل لن أضطر إلى الاستماع إلى إزعاجك المتواصل إذا كنا سُحقنا حتى الموت بسبب سقوط شجرة، أو متنا من انخفاض درجة حرارة الجسم في هذه السيارة القذرة التي تصرين على قيادتها.

نحن لا نتشاجر أبدًا هكذا في الأماكن العامة، فقط في السر. كلانا بارع في مواكبة المظاهر وجعل الناس يرون ما يريدون رؤيته. لكن خلف الأبواب المغلقة لم تكن الأمور على ما يرام بين السيد والسيدة رايت لفترة طويلة.

يقول: «لو كان لدي هاتفي، ربما سنكون هناك الآن».

وهو يبحث في صندوق القفازات عن هاتفه المحمول العزيز، الذي لا يمكنه العثور عليه. يعتقد زوجي أن الأدوات والأجهزة هي الحل لجميع مشكلات الحياة.

قلت: «سألتك إذا كان لديك كل ما تحتاج إليه قبل مغادرة المنزل».

- **كان** لدي بالفعل كل شيء. كان هاتفي في صندوق القفازات.

- إذن فإنه سيظل هناك. ليس من واجبي حزم أغراضك من أجلك، أنا لست والدتك.

ندمت لقول ذلك على الفور، لكن الكلمات لا تأتي مع إيصالات هدايا ولا يمكنك استردادها. والدة آدم على رأس القائمة الطويلة للأشياء التي لا يحب التحدث عنها. أحاول التحلي بالصبر فيما يواصل البحث عن هاتفه رغم علمي

أنه لن يعثر عليه أبدًا. إنه على حق، لقد **وضعه** في صندوق القفازات لكنني أخرجته قبل أن نغادر هذا الصباح وأخفيته في المنزل. أخطط لتعليم زوجي درسًا مهمًّا في هذه العطلة وهو لا يحتاج إلى هاتفه لأجل ذلك.

عدنا إلى الطريق بعد مضي خمس عشرة دقيقة ويبدو أننا نحرز تقدمًا. يحاول آدم الرؤية في الظلام وهو يدرس الإرشادات التي طبعتها -ما لم يكن كتابًا أو مخطوطة- يبدو أن أي شيء مكتوب على الورق بدلًا من الشاشة يحيره.

قال: «عليكِ أن تتجهي أول منعطف يمين في الدوران التالي».

وبدا أكثر ثقة مما كنت أتوقع.

سرعان ما نعتمد على القمر لإضاءة طريقنا والتلميح إلى صعود الطريق الثلجي أمامنا وهبوطه. لا توجد مصابيح في الشوارع، والمصابيح الأمامية في سيارة موريس ماينور بالكاد تضيء الطريق أمامنا. لقد لاحظت أن الوقود يوشك على النفاد مرة أخرى، لكني لمدة ساعة تقريبًا لم أرَ أي مكان لتعبئة الوقود. الثلج صلب الآن، ولم توجد سوى الخطوط العريضة المظلمة للجبال والبحيرات لعدة كيلومترات أمامنا.

يتضح شعور الراحة في السيارة عندما نرى أخيرًا لافتة قديمة مغطاة بالثلوج لنُزُل بلاك ووتر. يقرأ آدم آخر مجموعة من الإرشادات بشعور يقترب من الحماس. يقول: «اعبري الجسر ثم انعطفي يمينًا عندما تمرين بمقعد يطل على البحيرة. سوف ينعطف الطريق إلى اليمين مؤديًا إلى الوادي. إذا مررتِ بالحانة، فقد ذهبتِ بعيدًا وفاتكِ المنعطف المؤدي إلى المبنى».

أقترح: «عشاء في الحانة قد يكون لطيفًا لاحقًا».

لا يقول أي منا أي شيء عندما يظهر نُزُل بلاك ووتر من بعيد. أوقفتُ السيارة قبل الوصول إلى الحانة، لكننا كنا قريبين بما يكفي لنرى أن نوافذها مغلقة بالألواح الخشبية. يبدو المبنى شبحي المظهر كما لو كان مهجورًا لفترة طويلة.

الطريق المتعرج أسفل الوادي يبدو مذهلًا ومرعبًا. كما لو كان قد نُحِتَ في الجبل باليد. الطريق بالكاد يكفي لسيارتنا الصغيرة، ويوجد منخفض حاد على أحد الجوانب دون وجود حاجز اصطدام واحد.

يقول آدم: «أعتقد أنني أستطيع رؤية شيء ما».

ويميل أقرب إلى الزجاج الأمامي ويحدق إلى الظلام. كل ما يمكنني رؤيته هو سماء سوداء وغطاء من الثلج يكسو كل شيء تحته.

- أين؟

- هناك، خلف تلك الأشجار مباشرةً.

أبطئ قليلًا فيما يشير إلى لا شيء. لكني لاحظت على بُعد ما يبدو كأنه مبنى أبيض كبير منعزل عن كل ما حوله.

قال وبدا مهزومًا: «إنها مجرد كنيسة».

أقول فيما أقرأ لافتة خشبية قديمة أمامنا: «هذه هي! كنيسة بلاك ووتر هي ما نبحث عنها. يجب أن نكون هنا!».

- لقد قدنا كل هذا الطريق للمكوث في... كنيسة قديمة؟

- كنيسة حُوِّلت، نعم، و**أنا** من توليت القيادة.

أبطأت واتبعت المسار الترابي المغطى بالثلوج الذي يؤدي بعيدًا عن الطريق ذي الحارة الواحدة إلى أرضية الوادي. نعبر كوخًا صغيرًا من القش على اليمين -المبنى الآخر الوحيد الذي يمكنني رؤيته لكيلومترات- ثم نعبر جسرًا صغيرًا ونواجه على الفور قطيعًا من الأغنام، متجمعة معًا ومضاءة بشكل مخيف بمصابيحنا الأمامية، تمنع طريقنا. أضغط دواسة الوقود بلطف، وأحاول ضغط بوق السيارة لكنها لا تتحرك. تبدو إلى حد ما كمخلوقات خارقة للطبيعة مع أعينها المتوهجة في الظلام. ثم سمعت صوت زمجرة في مؤخرة السيارة.

كان بوب -كلبنا اللابرادور الأسود العملاق- هادئًا لمعظم الرحلة. في كبر سنه هو يحب النوم والأكل في الغالب، لكنه يخاف من الأغنام والريش. أنا أخاف من أشياء سخيفة أيضًا، لكني محقة في ذلك. زمجرة بوب لا تفعل شيئًا لإخافة القطيع. فتح آدم باب السيارة دون سابق إنذار واندفعت موجة

من الثلج على الفور إلى الداخل، وغُمِرنا من جميع الاتجاهات. أشاهده وهو يخرج فيما يحجب وجهه، ثم يحرك يده لإبعاد الأغنام، قبل أن يفتح بوابة كانت مخفية عن الأنظار خلفها. لا أعرف كيف رآها آدم في الظلام.

عاد إلى السيارة دون أن ينبس ببنت شفة، آخذ وقتي ونحن نسلك بقية الطريق. الطريق قريب بشكل خطير من حافة البحيرة ويمكنني رؤية لماذا أطلقوا على هذا المكان اسم بلاك ووتر. بدأت أشعر بالتحسن عندما توقفت خارج الكنيسة البيضاء القديمة. لقد كانت رحلة مرهقة، لكننا قطعناها، وأقول لنفسي إن كل شيء سيكون **على ما يرام** بمجرد دخولنا.

يعد الخروج إلى عاصفة ثلجية بمنزلة صدمة للجسد. ألف معطفي حولي، لكن الرياح الباردة الجليدية ما زالت تطرد الهواء من رئتي والثلج يضرب وجهي. أخرجت بوب من صندوق السيارة، ونسير ثلاثتنا عبر الثلج نحو دفتَي باب خشبي كبير على الطراز القوطي. بدت الكنيسة الصغيرة المُحولة رومانسية في البداية. مرحة وممتعة. لكنِ الآن بعد وصولنا إلى هنا، يبدو الأمر أشبه إلى حد ما بافتتاحية فيلم الرعب الخاص بنا.

بابا الكنيسة مقفلين.

يسأل آدم: «هل ذكر المالكون أي شيء عن صندوق للمفاتيح؟».

- لا، لقد قالوا فقط إن الباب سيُفتح.

أحدق إلى المبنى الأبيض المهيب وأحاول حماية عيني من الثلج الشديد، وألقي نظرة على الجدران الحجرية السميكة البيضاء، وبرج الجرس، والنوافذ ذات الزجاج الملون. يبدأ بوب في الزمجرة مجددًا، وهو ما لا يفعله عادةً، لكنْ ربما يوجد المزيد من الأغنام أو الحيوانات الأخرى في المكان، شيء لا أستطيع رؤيته أنا وآدم.

يقترح آدم: «ربما يوجد باب آخر في الخلف».

- أتمنى أن تكون محقًّا. تبدو السيارة بالفعل كأنها قد تحتاج إلى الحفر لإخراجها من الثلج.

نسير نحو جانب الكنيسة فيما يقود بوب الطريق، يبدو متوترًا كما يفعل لو كان يتعقب شيئًا ما. رغم وجود عدد لا نهائي من النوافذ ذات الزجاج

الملون فإننا لم نعثر على المزيد من الأبواب. ورغم إضاءة واجهة المبنى بالأضواء الخارجية -تلك التي يمكننا رؤيتها من مسافة بعيدة- فإنها مظلمة تمامًا من الداخل. نواصل المشي ورؤوسنا تنحني مقابل الطقس القاسي حتى أتممنا دورة كاملة حول المبنى.

سألته: «ماذا الآن؟».

لكن آدم لا يجيب.

أنظر إلى الأعلى وأحمي عيني من الثلج، أرى أنه يحدق إلى مقدمة الكنيسة. الباب الخشبي الضخم مفتوح الآن على مصراعيه.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

آدم

إذا كانت كل قصة لها نهاية سعيدة فلن يكون لدينا سبب للبدء من جديد. تدور الحياة حول القرارات، وتعلم توطيد أنفسنا عندما نتهاوى. الشيء الذي نفعله جميعًا. حتى الأشخاص الذين يدعون أنهم لا يفعلون ذلك. لمجرد أنني لا أستطيع التعرف على وجه زوجتي فهذا لا يعني عدم معرفتي من تكون.

سألت لكن أميليا لا تجيب: «كان الباب مغلقًا من قبل، أليس كذلك؟».

نقف جنبًا إلى جنب خارج الكنيسة، وكلانا يرتعش، والثلج يتساقط من حولنا في كل الاتجاهات. حتى بوب يبدو بائسًا، وهو دائمًا ما يكون سعيدًا. لقد كانت رحلة طويلة ومملة، وقد تفاقمت بسبب صداع مستمر كقرع الطبول في قاعدة جمجمتي. شربت أكثر مما ينبغي مع شخص ما كان عليَّ الشرب معه الليلة الماضية. مجددًا. في دفاعي عن الكحول، فقد فعلت بعض الأشياء الغبية بالقدر نفسه فيما كنت متيقظًا تمامًا.

قالت زوجتي في النهاية: «دعنا لا ننتقل إلى الاستنتاجات».

لكنني أعتقد أننا قد واجهنا بالفعل عديدًا منها.

- لم يُفتح الباب من تلقاء نفسه...

قاطعتني: «ربما سمعتنا مدبرة المنزل نطرق».

- مدبرة المنزل؟ أخبريني مجددًا ما موقع الويب الذي استخدمتِه لحجز هذا المكان؟

- لم يكن على موقع ويب. لقد فزت بعطلة في سحب للموظفين في عيد الميلاد.

لا أجيب لبضع ثوان، لكن الصمت يمكنه إطالة الوقت لذا يبدو أنه أطول. بالإضافة إلى أن وجهي يشعر بالبرد الشديد الآن ولست متأكدًا من أنني أستطيع تحريك فمي. لكن اتضح أنني أستطيع.

- فقط حتى أتأكد أنني فهمت الأمر كليًّا... لقد فزتِ بعطلة نهاية أسبوع للبقاء في كنيسة اسكتلندية قديمة في سحب للموظفين في مأوى باترسي للكلاب؟

- ليست كنيسة بالضبط، لكن نعم. ما الخطأ في ذلك؟ لدينا يانصيب كل عام. يتبرع الناس بالهدايا، فزت بشيء جيد للتغيير.

أجبت: «رائع، لقد كان هذا بالتأكيد **جيدًا** حتى الآن».

إنها تعرف أنني أكره الرحلات الطويلة. أنا أكره السيارات وقيادة السيارة بالكامل -حتى إنني لم أجرِ أي اختبار للقيادة- لذا فإن ثماني ساعات محاصرًا في علبتها العتيقة المصنوعة من الصفيح على أربع عجلات، في أثناء العاصفة، ليست فكرتي عن المرح. ألقي نظرة على الكلب للحصول على الدعم المعنوي، لكن بوب مشغول جدًّا في محاولة أكل رقاقات الثلج وهي تسقط من السماء. أميليا التي تشعر بالهزيمة تستخدم نغمة الغناء اللطيفة والعدوانية في الوقت ذاته التي كانت تسليني. هذه الأيام تجعلني أتمنى لو كنت أصم.

- هل نذهب إلى الداخل، لنستغل الأمر بقدر ما نستطيع؟ إذا كان الأمر سيئًا حقًّا، فسنغادر فقط، أو نعثر على فندق، أو ننام في السيارة إذا اضطررنا إلى ذلك.

أفضل أن آكل كبدي بدلًا من العودة إلى سيارتها.

تقول زوجتي الأشياء نفسها مؤخرًا، مرارًا وتكرارًا، وكلماتها تبدو دائمًا كأنها وخز أو صفعة. **لا أستطيع فهمك** تزعجني أكثر من غيرها، لأن ما الذي يجب فهمه؟ هي تحب الحيوانات أكثر مما تحب الناس، فيما أنا أفضل الخيال. أفترض أن المشكلات الحقيقية بدأت عندما بدأنا في تفضيل هذه

الأشياء على أحدنا الآخر. يبدو الأمر كأن شروط علاقتنا وأحكامها قد نُسيَت أو لم تُقرأ بشكل صحيح في المقام الأول. ليس الأمر كما لو أنني لم أكن مدمنًا على العمل عندما التقينا لأول مرة. أو **مدمنًا على الكتابة** كما تحب أن تسميها. كل الناس مدمنون، وكل المدمنين يرغبون في الشيء نفسه: الهروب من الواقع. إن وظيفتي هي المخدرات المفضلة لدي.

الشيء نفسه لكن مختلف، هذا ما أقوله لنفسي عندما أبدأ سيناريو جديدًا. هذا ما أعتقد أن الناس يريدونه، ولماذا تغير مكونات الخلطة الرابحة؟ أستطيع المعرفة خلال الصفحات القليلة الأولى من الكتاب ما إذا كان سينجح على الشاشة أم لا، وهو أمر جيد، لأنني تلقيت الكثير من السيناريوهات لقراءتها جميعًا. لكن فقط لا يعني كوني بارعًا فيما أفعله أنني أريد فعل ذلك لبقية حياتي. لدي قصصي الخاصة لأرويها. لكن هوليوود لم تعد مهتمة بالأصالة بعد الآن، فهم يريدون فقط تحويل الروايات إلى أفلام أو برامج تلفزيونية، مثل تحويل النبيذ إلى ماء. مختلف لكنِ الشيء نفسه. لكن هل تنطبق هذه القاعدة أيضًا على العلاقات؟ إذا لعبنا الشخصيات نفسها لفترة طويلة جدًّا في الزواج، أليس من المحتم أن نمل من القصة ونستسلم، أو نتوقف عن العمل قبل أن نصل إلى النهاية؟

تقول أميليا قاطعة أفكاري وهي تحدق إلى برج الجرس أعلى الكنيسة المخيفة: «لندخل».

قلت: «السيدات أولًا».

لا أستطيع القول إنني لست رجلًا نبيلًا. أضفت وأنا حريص على انتزاع الثواني القليلة الأخيرة من العزلة قبل الذهاب إلى الداخل: «سألتقط الحقائب من السيارة».

أقضي الكثير من الوقت في محاولة عدم الإساءة إلى الناس: المنتجين والمديرين التنفيذيين والممثلين والوكلاء والمؤلفين. وأضف عمى الوجوه إلى هذا المزيج، وأعتقد أنه من العدل القول إنني في مستوى متقدم عندما يتعلق الأمر بالمشي على قشر البيض. تحدثت مرة مع زوجين في حفل زفاف لمدة عشر دقائق قبل أن أدرك أنهما العروس والعريس. لم تكن تلبس فستانًا تقليديًّا، **وهو** بدا كأنه نسخة من رفقاء العريس الكثيرين. لكنني أفلتُّ من

العقاب لأن سحر الأشخاص جزء من وظيفتي. قد يكون جعل المؤلف يثق بي بسيناريو روايته أصعب من إقناع الأم بالسماح لشخص غريب برعاية طفلها البكر. لكنني أجيد ذلك. لكن للأسف يبدو أن سحر زوجتي شيء قد نسيت كيفية فعله.

لا أخبر الناس أبدًا عن عمى التعرف على الوجوه. أولًا لأنني لا أريد أن يحدد هذا هويتي، وبصراحة بمجرد أن يعرف أحدهم عن الأمر يصبح هذا هو كل ما يريد التحدث عنه. لست بحاجة أو أريد شفقة من أي شخص، ولا أحب الشعور كأنني غريب الأطوار. ما لا يبدو أن الناس يفهمونه أبدًا، هو أنه بالنسبة إليَّ من الطبيعي ألا أكون قادرًا على التعرف على الوجوه. إنه مجرد خلل في برمجتي؛ شيء لا يمكن إصلاحه. أنا لا أقول إنني **على ما يرام** مع ذلك. تخيل أنك غير قادر على التعرف على أصدقائك أو عائلتك؟ أو لا تعرف كيف يبدو وجه زوجتك؟ **أكره** مقابلة أميليا في المطاعم في حال جلست إلى طاولة خاطئة، سأختار طلب الطعام في المنزل في كل مرة كان الخيار متروكًا لي. أحيانًا لا أتعرف حتى على وجهي عندما أنظر في المرآة. لكنني تعلمت التعايش مع الأمر. مثلما نفعل جميعًا عندما تعطينا الحياة يدًا ليست مثالية.

أعتقد أنني تعلمت التعايش مع زواج غير مثالي أيضًا. لكن ألا يفعل الجميع؟ أنا لست انهزاميًا، لكن فقط صادقًا. أليس هذا هو جوهر العلاقات الناجحة حقًّا؟ المساومة؟ هل يوجد أي زواج **مثالي** حقًّا؟

أنا أحب زوجتي. أنا فقط لا أعتقد أن أحدنا يحب الآخر كما اعتدنا.

أقول عائدًا إليها على دَرجات الكنيسة: «هذه معظم الحقائب».

مثقلًا بحقائب أكثر مما قد نحتاج إليه لبضع ليالٍ. تحدق من أعلى كتفها كما لو أنني أسأت إليها.

تسأل وهي تعلم جيدًا أنها كذلك: «هل هذه حقيبة الحاسوب المحمول الخاصة بك؟».

أنا بالكاد مبتدئ لذا لا أستطيع شرح خطئي أو عذره. أتخيل أميليا تظهر تعابير وجه بطاقة «اذهب إلى السجن[1]». هذه ليست بداية جيدة. لن يُسمح لي بالكتابة في هذه العطلة ولا أستطيع تخطي الذهاب إلى السجن مباشرة. إذا كان زواجنا عبارة عن لعبة مونوبولي، فإن زوجتي ستكلفني ضعفًا في كل مرة هبطت فيها عن طريق الخطأ في أحد فنادقها.

تقول: «لقد وعدت، لا عمل».

بتلك النبرة الدالة على خيبة آمالها التي أصبحت مألوفة للغاية. لقد دفع عملي ثمن منزلنا وإجازاتنا؛ ولم تشكُ من ذلك.

عندما أفكر في كل شيء نملكه -منزل جميل في لندن، حياة جيدة، أموال في البنك- أفكر في الشيء نفسه كما هي الحال دائمًا: **يجب** أن نكون سعيدين. لكن من الصعب رؤية كل الأشياء التي لا نملكها. معظم الأصدقاء في سننا يملكون آباءً مسنين أو أطفالًا صغارًا للاهتمام بهم، ولكننا يملك أحدنا الآخر فقط. لا آباء ولا أشقاء ولا أطفال، نحن فقط. قلة الأشخاص الذين نحبهم هو شيء نشترك فيه دائمًا. غادر والدي عندما كنت صغيرًا جدًّا على تذكر أي شيء عنه، وتُوفيت والدتي عندما كنت لا أزال في المدرسة. لم تكن طفولة زوجتي أقل من طفولة **أوليفر تويست**، فقد كانت يتيمة قبل ولادتها.

ينقذنا بوب من نفسينا عن طريق الزمجرة على باب الكنيسة مرة أخرى. إنه أمر غريب، لأنه لم يفعل ذلك **قط**، لكنني ممتن للإلهاء. من الصعب تصديق أنه اعتاد أن يكون جروًا صغيرًا مهجورًا في صندوق أحذية ومُلقى في حاوية نفايات. منذ ذلك الحين نما ليصبح أكبر لابرادور أسود رأيته في حياتي. لديه مجموعة من الشعر الرمادي على ذقنه هذه الأيام، ويمشي ببطء أكثر مما اعتاد، لكن الكلب هو الوحيد الذي لا يزال قادرًا على الحب غير المشروط في عائلتنا المكونة من ثلاثة أفراد. أنا متأكد من أن الجميع يعتقد أننا نعامله كطفل بديل، حتى لو كانوا مهذبين جدًّا لدرجة عدم قدرتهم على قول ذلك. لطالما قلت إنني لا أمانع عدم امتلاك طفل حقيقي. الأشخاص الذين لن يحصلوا على فرصة لتسمية أطفالهم يمكنهم تسمية مستقبل مختلف. علاوة

(1) بطاقة في علبة مونوبولي تحتم على اللاعب الذهاب إلى السجن مباشرة دون فعل أي فعل آخر.

على ذلك، ما الهدف من الرغبة في شيء تعرف أنه لا يمكنك الحصول عليه؟ فات الأوان على ذلك الآن.

لا أشعر عادة بأنني في الأربعين من عمري. أجد صعوبة أحيانًا في فهم إلى أين مرت السنون ومتى انتقلت من صبي إلى رجل. ربما يكون لأداء عمل أحبه علاقة بذلك. عملي يجعلني أشعر بالشباب، لكن زوجتي تجعلني أشعر بالشيخوخة. كان الذهاب إلى مستشارة زواج فكرة أميليا، وكانت هذه الرحلة فكرتها. اعتقدتْ المستشارة «ادعُني باميلا» أو ما تسمى بـ «الخبيرة» أن هذه العطلة قد تُصلح علاقتنا. أعتقد أن جميع العطلات والأمسيات التي نقضيها معًا في **المنزل** كانت لاغية وباطلة. تكلف الزيارات الأسبوعية لمشاركة أركان حياتنا الأكثر خصوصية مع شخص غريب تمامًا أكثر من مجرد رسوم باهظة. لذا بسبب المال وأسباب أخرى عديدة ناديتها مرارًا بـ «بامي» أو «بام» في كل مرة التقينا فيها. لم يعجب الأمر «ادعُني باميلا»، لكني لم أحبها كثيرًا لذا فقد ساعد الأمر في جعل الأمور متساوية بيننا. لم تكن زوجتي تريد أن يعرف أي شخص آخر أننا نواجه مشكلات ولكني أظن أن البعض ربما لاحظ ذلك. يمكن لمعظم الناس رؤية الكتابة على الحائط، حتى لو لم يتمكنوا دائمًا من قراءة ما كُتب.

هل يمكن لقضاء عطلة بعيدًا أن ينقذ الزواج حقًّا؟ هذا ما قالته أميليا عندما اقترحته «ادعُني باميلا». أنا لا أعتقد ذلك. ولهذا السبب توصلت إلى خطتي الخاصة قبل وقت طويل من موافقتي على خطتها. لكننا الآن هنا... نتسلق درجات الكنيسة... ولا أعلم ما إذا كان بإمكاني المضي قدمًا في ذلك.

أقول متوقفًا قبل الدخول مباشرةً: «هل أنتِ متأكدة أنكِ تريدين فعل ذلك؟».

تسأل: «نعم، لماذا؟».

كما لو أنها لا تسمع صوت الكلب وهو يزمجر والرياح تصفر.

- لا أعلم. شيء ما لا يبدو على ما يرام.

- هذه ليست قصة رعب كتبها أحد المؤلفين المفضلين لديك يا آدم. هذا هو واقع الحياة. ربما فتحت الرياح الباب.

يمكنها قول ما تحب، لكن الباب لم يكن مغلقًا من قبل. لقد كانت دفتاه موصدتين بقفل وكلانا يعرف ذلك.

نجد أنفسنا فيما يسميه الأشخاص المتفاخرون غرفة الأحذية، أضع الحقائب. تتشكل بركة من الثلج الذائب حول قدمي. تبدو الأرضية الحجرية قديمة، وتوجد خزانة مدمجة على طول الجدار الخلفي مع فتحات حجرية خشبية ريفية مصممة للأحذية. توجد أيضًا صفوف من علاقات المعاطف، وكلها فارغة. لا نخلع حذائينا أو سترتينا المغطاتين بالثلوج. يرجع ذلك جزئيًّا إلى كون الجو باردًا هنا تمامًا كما كان في الخارج، لكنْ ربما أيضًا لأنه لا يزال يبدو غير مؤكد ما إذا كنا سنبقى أم لا.

أحد الجدران مغطى بالمرايا صغيرة الحجم، ليست أكبر من يدي. كلها أشكال وأحجام غريبة بإطارات معدنية معقدة، وقد عُلقت عشوائيًّا في مكانها بمسامير صدئة وخيوط ريفية. لا بد أن هناك نحو خمسين زوج من وجوهنا تنعكس علينا. تقريبًا كما لو أن جميع نسخ أنفسنا التي أصبحنا عليها فيما نحاول جعل زواجنا ينجح قد اجتمعت معًا للنظر بازدراء إلى ما أصبحنا عليه. جزء مني سعيد لأنني لا أستطيع التعرف عليهم. لست متأكدًا من أنني سأحب ما سأراه إذا استطعت.

هذه ليست السمة الوحيدة المثيرة للاهتمام للتصميم الداخلي. رُكِّبت جمجمتا اثنين من الغزلان وقرناهما مثل الجوائز على أبعد جدار أبيض، مع أربع ريشات بيضاء بارزة من الثقوب حيث كانت توجد أعينهما ذات يوم. إنه أمر غريب بعض الشيء، لكن زوجتي تلقي نظرة فاحصة وتحدق بافتتان، كما لو كانت تزور معرضًا فنيًّا. يوجد مقعد كنيسة قديم في الزاوية يجذب انتباهي. يبدو عتيقًا ومغطى بالغبار، كما لو لم يكن أحد هنا منذ فترة طويلة جدًّا. مع ظهور الانطباعات الأولى، هذا ليس انطباعًا رائعًا.

أتذكر الطريقة التي اعتدنا أن نكون عليها أنا وأميليا في البداية. في ذلك الوقت، انسجمنا مباشرة -لقد أحببنا الطعام نفسه والكتب نفسها وكنا نحظى بعلاقة حميمية، كل ما استطعت وما لم أستطع رؤيته عنها كان جميلًا. كنا نملك الكثير من القواسم المشتركة وأردنا الأشياء نفسها في الحياة. أو على

الأقل اعتقدت أننا فعلنا. في هذه الأيام يبدو أنها تريد شيئًا آخر. ربما **شخصًا آخر**. لأنني لست الشخص الذي تغير.

تقول أميليا: «لست بحاجة إلى الرسم على الغبار لتوضيح وجهة نظرك».

أحدق إلى الوجه الصغير الطفولي المبتسم الذي تشير إليه على مقعد الكنيسة. لم ألاحظه من قبل.

أنا لم أرسمه.

أُغلِقَ الباب الخارجي الخشبي الكبير خلفنا قبل أن أتمكن من الدفاع عن نفسي.

التفتنا حول نفسينا لكن لا يوجد أحد هنا سوانا. يبدو أن المبنى كله يهتز، والمرايا الصغيرة على الحائط تتأرجح قليلًا على مساميرها الصدئة، وينتحب الكلب. تنظر أميليا إليَّ وعيناها واسعتان، فمها فاغر على وسعه بمثالية. يحاول عقلي تقديم تفسير منطقي لأن هذا ما يفعله دائمًا.

قلت: «كنتِ تعتقدين أن الرياح قد فتحت الباب... ربما أغلقته أيضًا».

أومأت أميليا برأسها.

المرأة التي تزوجتها منذ أكثر من عشر سنوات لن تصدق ذلك أبدًا. لكن في هذه الأيام زوجتي لا تسمع إلا ما تريد سماعه، وترى ما تريد رؤيته.

حجر

كلمة العام:

التتيم (Limerence): حالة ذهنية لا إرادية ناتجة عن انجذاب رومانسي لشخص آخر مصحوبًا بالحاجة الهائلة المهووسة إلى تبادل المشاعر.

أكتوبر 2007

عزيزي آدم

لقد كان انجذابًا من النظرة الأولى عندما التقينا.

لم أكن متأكدة مما حدث، لكنني أعلم أنك شعرت به أيضًا.

السينما كانت أول موعد لنا، باختلاف أن كلًّا منا ذهب لمشاهدة فيلم بمفرده لكنني جلست في مقعدك بالخطأ وتحدثنا وغادرنا معًا بعد الفيلم. اعتقد الجميع أننا مجنونان وأن عاصفة المشاعر الرومانسية لن تدوم، لكنني دائمًا ما أشعر بالرضا الشديد من إثبات خطأ الناس. كما تفعل. إنه أحد الأشياء العديدة التي نشترك فيها.

أعترف أن الانتقال للعيش معًا لم يكن بالضبط كما تخيلت. من الصعب إخفاء الجانب الحقيقي لك عن شخص تعيش معه، وقد عملت عملًا أفضل في إخفاء كل الفوضى عندما أتيتُ للزيارة فقط. لقد أعدت تسمية الردهة بشارع القصص، لأنها محاطة بأكوام من المخطوطات والكتب المائلة، حتى إنه علينا تجنبها للمرور من خلالها. كنت أعلم أن القراءة والكتابة كانتا جزءًا كبيرًا من حياتك، لكننا قد نحتاج إلى العثور على مكان أكبر من استوديو في الطابق السفلي في منزل ريفي قديم في نوتنج هيل الآن بعد أن بدأت بالعيش هنا أيضًا. أنا سعيدة جدًّا رغم ذلك. لقد اعتدت كوني العازف المساعد في الأوركسترا الخاصة بنا، وأقبل أنه سيكون هناك دائمًا ثلاثة منا في هذه العلاقة: أنت وأنا وكتاباتك.

كانت سبب أول جدال كبير لنا، هل تتذكر؟ أعتقد أنه كان يجب ألا أبحث داخل أدراج مكتبك، لكنني كنت أبحث فقط عن أعواد ثقاب. حينها عثرتُ على مخطوطة **حجر ورقة مقص**، واسمك مكتوب بخط دقيق في الصفحة الأولى. جلست وحدي في الشقة ومعي زجاجة نبيذ جيدة، لذلك قرأت المخطوطة كلها في تلك الليلة. من النظرة على وجهك عندما عدت إلى المنزل، كان أي شخص سيعتقد أنني قرأت مذكراتك.

لكني أعتقد أنني فهمت الآن. لم تكن تلك المخطوطة مجرد قصة لم تُبَع. بل كانت مثل طفل مهجور. كان **حجر ورقة مقص** هو أول سيناريو لك ولكنه لم يُعرَض على الإطلاق. لقد تعاونت مع ثلاثة منتجين ومخرجين وممثل من الدرجة الأولى. لقد أمضيت سنوات عديدة في كتابة مسودة بعد مسودة، لكنها لم تتجاوز مرحلة التطوير. لا بد أنه من المزعج أن تُنسى قصتك المفضلة، وتُترك للموت في درج المكتب، لكنني متأكدة من أنها لن تبقى على هذا النحو إلى الأبد. لقد أصبحت أول قارئة رسمية لك منذ ذلك الحين -وهو دور أنا فخورة جدًّا به- وكتاباتك تستمر في التحسن.

أعلم أنه من الأفضل رؤية حكاياتك تتحول إلى أفلام، لكن في الوقت الحالي الأمر كله يتعلق بحكايات الآخرين. ما زلت لم أعتد تمامًا مقدار الوقت الذي تقضيه في قراءة رواياتهم، لأن شخصًا ما في مكان ما يعتقد أنهم قد

ينجحون على الشاشة. لكني شاهدتك تختفي داخل كتاب مثل أرنب داخل قبعة ساحر، وتقبلت أنك في بعض الأحيان لا تطفو على السطح لعدة أيام.

لحسن الحظ الكتب شيء آخر نشترك فيه، رغم أني أعتقد أنه من العدل القول إن لدينا أذواقًا مختلفة. فأنت تحب قصص الرعب وأفلام الإثارة وروايات الجريمة، فيما أنا لا أستمتع بها على الإطلاق. لطالما اعتقدت أنه يجب أن يكون هناك خطب ما في الأشخاص الذين يكتبون روايات مظلمة وملتوية. أنا أفضل قصة حب جيدة، لكنني حاولت فهم عملك، رغم أنه يؤلمني أحيانًا عندما تختار قضاء وقتك في عالم من الخيال، بدلًا من قضاء وقتك معي في العالم الحقيقي.

أعتقد أن هذا هو سبب غضبي عندما قلت إننا لا نستطيع الحصول على كلب. لم أكن إلا داعمة لك ولحياتك المهنية منذ أن التقينا، لكنني أخشى أحيانًا أن يكون مستقبلنا في الحقيقة متعلقًا بك فقط. أعلم أن العمل في مأوى باترسي للكلاب ليس ساحرًا مثل العمل كاتب سيناريو، لكني أحب عملي، فهو يجعلني سعيدة. كانت أسبابك لعدم الحصول على كلب منطقية (أنت دائمًا كذلك). الشقة صغيرة بشكل يبعث على السخرية، وكلانا يعمل لساعات طويلة، لكنني كنت أقول دائمًا إنه يمكنني اصطحاب الكلب للعمل معي. أنت تحضر عملك إلى المنزل بعد كل شيء.

أرى كلابًا ضالة كل يوم، لكن هذا كان مختلفًا. علمت أنه هو من سنحصل عليه بمجرد رؤيتي لتلك الكرة الجميلة من الفراء الأسود. أي نوع من الوحوش يضع جرو لابرادور صغيرًا في صندوق أحذية ويرميه في حاوية قمامة ويتركه هناك ليموت؟ قال الطبيب البيطري إن عمره لم يكن أكبر من ستة أسابيع، استحوذ عليَّ شعور الغضب. أعلم ما يعنيه أن يتخلى عنك شخص من المفترض أن يحبك. لا يوجد شيء أسوأ.

أردت إحضار الجرو إلى المنزل في اليوم التالي لكنك رفضت، وقد شعرت بالحزن للمرة الأولى منذ التقائنا. اعتقدت أنني ما زلت أملك الوقت لإقناعك، لكنْ بعد ظهر اليوم التالي جاء أحد موظفي الاستقبال في باترسي إلى مكتبي وقال إن شخصًا ما جاء لتبني الكلب. إن وظيفتي هي تقييم جميع أصحاب الحيوانات الأليفة المحتملين، لذلك كنت آمل سرًّا أن يكون غير مناسب فيما كنت أسير في الممر لمقابلته. لن يذهب أحد تحت إشرافي إلى منزل حيث لن يكون محبوبًا كليًّا.

كان الجرو هو أول شيء رأيته عندما دخلت غرفة الانتظار. جالسًا بمفرده في منتصف الأرضية الحجرية الباردة. لقد كان صغيرًا للغاية. ثم لاحظت الياقة الحمراء الصغيرة التي كان يضعها، وعلامة الاسم الفضية على شكل عظمة. لم يكن الأمر منطقيًّا. لم ألتقِ المالك المحتمل حتى الآن لذلك لم يكن له أي حق في التصرف كما لو كان الكلب ملكه بالفعل. رفعت الجرو عن الأرض لإلقاء نظرة فاحصة على النقش على المعدن اللامع:

هل تتزوجينني؟

كدت أسقطه.

لا أعلم ماذا انطبع على وجهي عندما خرجتَ من خلف الباب. أعلم أنني بكيت. أتذكر أن نصف الموظفين بدا كأنه يشاهدنا من نافذة المراقبة. كانت الدموع في أعينهم أيضًا، وابتسامات كبيرة على وجوههم. كان الجميع يعلم بالأمر سواي! من كان يعلم ببراعتكَ في حفظ الأسرار؟

أنا آسفة لعدم قولي نعم على الفور. أعتقد أنني أصبت بصدمة عندما جثوتَ على ركبة واحدة. عندما رأيتُ خاتم الخطبة من الياقوت -الذي كنت أعلم أنه ينتمي إلى والدتك- غمرتني موجة من المشاعر التي لم أستطع معالجتها تمامًا. وشعرت بالضغط الشديد مع وجود كل من يحدق إلينا.

قلتُ ساخرة: «أعتقد أنه من الأفضل اتخاذ جميع قرارات الحياة المهمة باستخدام لعبة حجر ورقة مقص».

لأنني أؤمن بكتاباتك بقدر ما أؤمن بنا، ولا أعتقد أننا يجب أن نستسلم أبدًا أيضًا.

ابتسمتَ مجيبًا: «لذا فقط للتوضيح، إذا خسرتُ فهل تقبلين؟».

أومأتُ وشكلت قبضتي.

قص مقصي ورقتك، تمامًا كما أفعل دائمًا عندما نلعب تلك اللعبة، لذلك لم تكن مجازفة كبيرة جدًّا. دائمًا تعتقد أنك سمحت لي بالفوز كلما ربحتُ في أي شيء.

خلال الأشهر القليلة الأولى من علاقتنا سخرتُ منك لاستخدامك الكثير من الكلمات الطويلة، وقد سخرتَ مني في المقابل لعدم معرفتي ما تعنيه تلك الكلمات.

«لا أعرف ما إذا كان هذا هو التتيم أم الحب».

هذا ما قلته بعد تقبيلي للمرة الأولى. كان عليَّ البحث عن الكلمة عندما وصلت إلى المنزل. بدأتُ تقليدنا المتمثل في «كلمة اليوم» قبل وقت النوم بسبب الأشياء الغريبة التي تختلقها أحيانًا جنبًا إلى جنب مع التباين في مفرداتنا. غالبًا ما تكون كلمتك أفضل من خاصتي لأنني أتركك تفوز أحيانًا أيضًا. ربما يمكننا البدء في الحصول على «كلمة العام»؟ كلمة هذا العام يجب أن تكون «التتيم»، وما زلت أمتلك نقطة ضعف لتلك الكلمة.

أعلم أنك تعتقد أن الكلمات مهمة -وهذا أمر منطقي بالنظر إلى مهنتك المختارة- لكنني أدركت مؤخرًا أن الكلمات مجرد كلمات، سلسلة من الحروف مرتبة بترتيب معين، على الأرجح في اللغة التي كُلفنا بها عند ولادتنا. الناس لا يبالون بكلماتهم هذه الأيام. يرمونها بعيدًا في رسالة أو تغريدة، يكتبونها، يتظاهرون بقراءتها، يحرفونها، يخطئون في اقتباسها، يستخدمونها للكذب بها ودونها وعنها. يسرقونها ثم يتخلون عنها. الأسوأ من ذلك كله، أنهم ينسونها. الكلمات ذات قيمة فقط إذا تذكرنا كيف نشعر بما تعنيه. لن ننسى، أليس كذلك؟ أحب الاعتقاد أن ما لدينا هو أكثر من مجرد كلمات.

أنا سعيدة لأنني وجدت السيناريو السري الخاص بك مخفيًّا بعيدًا في مكتبك، وأنا أفهم لماذا يعني لك أكثر من أي شيء آخر كتبته. كانت قراءة **حجر ورقة مقص** أشبه بإلقاء نظرة خاطفة على روحك؛ جزء منك لم يكن مستعدًّا تمامًا ليظهر لي، لكن لا ينبغي لنا إخفاء الأسرار أحدنا عن الآخر أو عن أنفسنا. قصة حبك المظلمة والملتوية عن رجل يكتب رسالة إلى زوجته كل عام في ذكرى زواجهما حتى بعد وفاتها، ألهمتني لبدء كتابة بعض رسائلي. لك. مرة كل سنة. لا أعلم حتى الآن ما إذا كنت سأشاركها معك، لكنْ ربما في يوم من الأيام يمكن لأطفالنا قراءة كيف كتبنا قصة حبنا الخاصة، وعشنا في سعادة دائمة.

زوجتك المستقبلية.

آدم

أغلقتُ باب الكنيسة. لم أقصد فعل ذلك بهذه القوة، ولم أدرك أنهما سيحدثان ضجة عالية. ولا أعلم لماذا لم أعترف بذلك فقط بدلًا من إلقاء اللوم على الريح. ربما لأنني سئمت من توبيخ زوجتي لي كل خمس دقائق.

يوجد باب آخر في غرفة الأحذية في منتصف جدار المرايا الصغيرة. بدأ بوب في خدشه تاركًا علامات على الخشب. إنه شيء آخر لم يفعله من قبل إضافةً إلى الزمجرة في وقت سابق.

أتردد قبل تحريك المقبض، لكن عندما أفعل يُفتح الباب ليكشف عن ردهة طويلة مظلمة. يبدو أن صوت خطواتنا على الأرضية الحجرية يتردد صداه على الجدران البيضاء، فيما نسير ثلاثتنا نحو الباب التالي. الظلام هو كل ما يمكنني رؤيته عندما نعبره. لكن عندما تجد أصابعي مفتاحًا للضوء، أرى أننا في مطبخ ذي مظهر طبيعي جدًّا. إنه ضخم لكنه لا يزال يبدو دافئًا وعائليًّا. إذا لم يكن الأمر يتعلق بالسقف المقبب والعوارض المكشوفة والنوافذ ذات الزجاج الملون، فلن تعرف أبدًا أن الغرفة كانت جزءًا من كنيسة.

يستحوذ الموقد الكبير ذو اللون الكريمي على منتصف المكان، وتحيط به خزانات باهظة الثمن. توجد طاولة خشبية صلبة المظهر في منتصف الغرفة محاطة بمقاعد الكنيسة التي رُمِّمَت. إنه نوع المطبخ الذي تراه في المجلات، باستثناء طبقة الغبار السميكة التي تغطي كل سطح.

شيء ما على الطاولة يلفت انتباهي. اقتربت أكثر وأرى أنها ملاحظة مكتوبة موجهة إلينا.

أعزائي أميليا وآدم وبوب

رجاءً اعتبروا أنفسكم في منزلكم.

جُهِزَت غرفة النوم في نهاية الردهة لكم. يوجد طعام في المُجمد، ونبيذ في القبو، وستجدون حطبًا إضافيًّا في مخزن الخشب بالخارج إذا احتجتم إليه.

نأمل أن تستمتعوا بإقامتكم.

تقول أميليا وهي تلف خاتم زواجها حول إصبعها: «حسنًا، على الأقل نعلم أننا في المكان الصحيح».

إنه شيء تفعله دائمًا عندما تكون متوترة. واحدة من تلك الأمور الصغيرة التي كنت أجدها محببة.

سألت: «من هم (نحن) في الملاحظة؟».

- ماذا؟

- نأمل (نحن) أن تستمتعا بإقامتكما. قلت إنكِ فزتِ بعطلة نهاية الأسبوع في يانصيب، لكن من يملك المكان؟

- لا أعلم... لقد تلقيت فقط بريدًا إلكترونيًّا ينص على أنني فزت.

- ممن؟

تهز أميليا كتفيها قائلة: «مدبرة المنزل. أرسلتْ الاتجاهات وصورة للكنيسة مع صورة لبحيرة بلاك ووتر في الخلفية. بدت رائعة. لا أطيق الانتظار حتى نراها في وضح النهار...».

- حسنًا، لكنْ ما اسمها؟

تهز كتفيها: «لا أعلم. ما الذي يجعلك تعتقد أنها امرأة؟ الرجال قادرون أيضًا على التنظيف، حتى لو لم تفعل ذلك قط».

أتجاهل كلماتها، لقد تعلمت أنه من الأفضل فعل ذلك، لكن حتى زوجتي لا تستطيع إنكار أنه يوجد شيء غريب جدًّا بخصوص كل هذا.

قالت وهي تلف ذراعيها حولي: «نحن هنا الآن».

العناق غريب، كأننا توقفنا عن فعله لمدة طويلة. تردف: «دعنا نحاول تحقيق أقصى استفادة منه. إنها لليلتين فقط وستكون واحدة من تلك القصص المضحكة التي يمكننا إخبار أصدقائنا بها بعدها».

لا أستطيع رؤية التعبيرات على الوجوه، لكنها تستطيع ذلك، لذا أحاول إبقاء وجهي محايدًا وأقاوم الإشارة إلى أنه لم يعد لدينا أصدقاء حقًّا بعد الآن. ليسوا هؤلاء الذين نراهم معًا. أصبحت دائرتنا الاجتماعية مملة قليلًا. لديها حياتها ولدي حياتي.

نستكشف باقي الطابق الأرضي، والذي قُسِمَ أساسًا إلى غرفتين كبيرتين: المطبخ وصالة كبيرة، والتي تبدو أشبه بمكتبة. تصطف خزائن الكتب الخشبية حسب الطلب من الأرض إلى السقف -باستثناء النوافذ ذات الزجاج الملون المعتادة- وجميع الأرفف ملآنة بالكتب. إنها مرتبة ومتناسقة الألوان بدقة، في الأغلب نظمها شخص لديه وقت فراغ طويل جدًّا.

يستحوذ سلم حلزوني خشبي مصمم بطريقة معقدة على منتصف الغرفة من أحد الجوانب. من ناحية أخرى توجد مدفأة حجرية ضخمة، سوداء بالسخام والقدم، وكبيرة بالمعنى الحرفي بما يكفي للجلوس داخلها. وقد جُهِّزَ الموقد بالفعل بالورق والحطب المشتعل وجذوع الأشجار، ويوجد بجانبه صندوق من أعواد الثقاب. أحرقها على الفور فإن المكان متجمد وكذلك نحن. تأخذ أميليا علبة الثقاب من يدي وتضيء شموع الكنيسة على رف الموقد ذي المظهر القوطي، بالإضافة إلى عدد قليل من المصابيح الأخرى التي تجدها في الفوانيس المخصصة للأعاصير المنتشرة في جميع أنحاء الغرفة. يبدو المكان أكثر دفئًا وراحة بالفعل.

الأرضية الحجرية غير المستوية -ربما هي الأرضية نفسها عندما كان المبنى لا يزال كنيسة- مغطاة بسجاد قديم المظهر، وتبدو الأرائك بنقوش الترتان على جانبي الموقد محبوبة وبالية. توجد فجوات على المقعد والوسائد، كما لو أن شخصًا ما كان جالسًا هناك قبل لحظات من وصولنا.

بمجرد أن بدأت في الاسترخاء سمعتُ صوت نقر واحتكاك مخيف في إحدى النوافذ. ينبح بوب وتبدأ نبضات قلبي بالتسارع قليلًا عندما أرى ما يشبه يدًا هيكلية تدق على الزجاج. لكنها مجرد شجرة. تتطاير أغصانها العارية الشبيهة بالعظام على المبنى بفعل العواصف الخارجية.

تقول أميليا: «لماذا لا نُشغل بعض الموسيقى؟ ربما يمكننا تغطية صوت العاصفة؟».

أبحث بطاعة عن الحقيبة حيث حزمت مكبرات الصوت الخاصة بالسفر. لدي مجموعة مختارة من الموسيقى على هاتفي أفضل بكثير منها، لكنْ بعدها أتذكر أنه لم يكن في السيارة. أحدق إلى زوجتي وأتساءل عما إذا كان هذا اختبارًا.

أقول وأتمنى أن أرى تعبير وجهها: «ليس لدي هاتفي المحمول».

لا أحب التحدث عن عمى الوجوه، ولا حتى معها. نادرًا ما تكون الأشياء التي تحددنا هي ما قد نختاره. لكن في بعض الأحيان عندما أنظر إلى وجوه الآخرين، تبدأ الملامح الموجودة عليهم في الدوران مثل لوحة لفان جوخ.

قالت: «أعتقد أن حتى جراحًا سيكافح لفصلك عن هاتفك معظم الوقت. ربما يكون تركك له في المنزل عن طريق الخطأ هو نعمة خفية. هناك بعض الألبومات التي تعجبك على هاتفي، وستفيدك الاستراحة من التحديق إلى الشاشات طوال اليوم».

لكنها إجابة سيئة وخاطئة.

رأيتها تُخرج هاتفي المحمول من صندوق القفازات قبل مغادرتنا المنزل هذا الصباح. دائمًا ما أضعه هناك في الرحلات الطويلة -أشعر بالغثيان إذا نظرت إلى الشاشات في السيارات أو سيارات الأجرة- وهي تعرف ذلك. شاهدتها وهي تخرجه وتعيده إلى المنزل. ثم استمعت إلى كذبها حول هذا الأمر طوال الطريق إلى هنا.

لكوننا متزوجين لفترة طويلة، أعلم أنه لا يجب الجزم بأن زوجتي ليس لديها بعض الأسرار -أنا بالتأكيد لدي- لكنني لم أعلم قط أنها تتصرف على هذا النحو. لست مضطرًا إلى رؤية وجهها لأعرف متى لا تخبرني بالحقيقة. يمكنك الشعور بالأمر عندما يكذب شخص تحبه. ما لا أعرفه حتى الآن هو سبب كذبها.

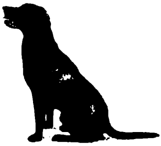

أميليا

أشاهد آدم وهو يضيف حطبًا إلى النار. إنه يتصرف بغرابة أكثر من المعتاد ويبدو متعبًا. يبدو بوب غير متأثر بقدره، ممددًا على السجادة. كلاهما يميلان إلى الغضب عند الجوع. لدينا الكثير من طعام الكلاب -يقول آدم دائمًا إنني أعتني بالكلب بشكل أفضل مما أعتني به- لكن هذا لا يساعد في حل مشكلة ما يمكننا تناوله. كان يجب أن أحزم أكثر من مجرد بسكويت ووجبات خفيفة للرحلة. كان المتجر الذي نويت التوقف عنده مغلقًا مبكرًا بسبب العاصفة، وكانت خطتي الاحتياطية للعشاء في حانة بلاك ووتر عبارة عن فشلًا ذريعًا، فقد بدت الحانة كأنها مهجورة لسنوات.

أقترح عائدةً نحو المطبخ دون انتظار إجابة: «تقول الملاحظة في المطبخ شيئًا ما عن وجود طعام في المُجمِّد. دعنا نرى ما يمكننا إيجاده؟».

الخزائن فارغة ولا يمكنني العثور على المُجمِّد.

الثلاجة أيضًا فارغة وغير موصلة بالكهرباء. توجد آلة لصنع القهوة لكن لا يوجد قهوة أو شاي. لا توجد حتى أي قدور أو مقالٍ. لقد وجدت طبقين ووعائين وكأسين للنبيذ وسكاكين وشوكات، لكن هذا كل شيء. المكان كبير جدًّا ويبدو من الغريب أن يكون لديك اثنان فقط من كل شيء.

أستطيع سماع آدم في الغرفة الأخرى. لقد وضع أحد الألبومات التي أحببنا الاستماع إليها عندما التقينا لأول مرة، وأشعر بنفسي تلين قليلًا. كانت تلك

النسخة منا جيدة. يذكرني زوجي أحيانًا بالكلاب الضالة في العمل -شخص يحتاج إلى الحماية من العالم الحقيقي-. ربما يكون هذا هو السبب في قضائه الكثير من حياته في الاختفاء داخل القصص. الإيمان بشخص ما هو أحد أعظم الهدايا التي يمكنك منحها له، وهو مجاني ويمكن أن تكون النتائج لا تقدر بثمن. أحاول تطبيق هذه القاعدة على حياتي الشخصية بالإضافة إلى عملي.

في الأسبوع الماضي أجريت مقابلات مع ثلاثة ملاك محتملين في باترسي من أجل كلب كوكابو يسمى بيرتي. الأولى كانت امرأة شقراء في أواخر الأربعينيات من عمرها. بيئة منزلية مستقرة وعمل جيد، تبدو رائعة على الورق، لكنْ أقل روعةً شخصيًّا. تأخرت دونا عن موعدها لكنها جلست في مكتبي الصغير دون أي تلميح للاعتذار، لابسة ملابس رياضية باللون الوردي الزاهي، وكانت تنقر على هاتفها بأظفار مزيفة بلون مطابق.

قالت وهي بالكاد تنظر: «هل سيستغرق هذا وقتًا طويلًا؟».

- حسنًا، نحب دائمًا مقابلة الملاك الجدد المحتملين. أتساءل عما إذا كان بإمكانكِ إخباري ما الذي جذبكِ لبيرتي لجعلك تتبنينه؟

تغير تعبير وجهها، كما لو أنني طلبت منها حل معادلة معقدة.

عبست قائلة: «بيرتي؟».

- الكلب...

ضحكت: «بالطبع، آسفة لكنْ سأغير اسمه إلى لولا بمجرد عودتي إلى المنزل. كل الناس تملك كوكابو الآن، أليس كذلك؟ لقد رأيتهم في جميع أنحاء تطبيق الإنستغرام».

- لا نوصي بتغيير اسم الكلب إذا كان متقدمًا في السن يا دونا. وبيرتي ولد. تغيير اسمه إلى لولا سيكون مثل مناداتي لكِ بفريد. بمجرد أن ننهي المحادثة سآخذك لمقابلة بيرتي ونرى كيف تنسجمان معًا. لكنكِ لن تكوني قادرة على اصطحابه إلى المنزل اليوم، أخشى ذلك. يوجد عدة خطوات لهذه العملية. حتى نتمكن من التأكد من أنه مناسب تمامًا.

- أنا متأكدة من أنني سأكون بخير.

- المناسب للكلب.

- لكن... لقد اشتريت الأزياء المتطابقة بالفعل.

- أزياء؟

- نعم، من متجر إيباي (eBay). أزياء فيلم «صائدو الأشباح». واحد لي ونسخة صغيرة للولا. سيحبها متابعو الإنستغرام! هل تفعل الحيل؟

لقد رفضت طلب دونا. لقد رفضت الشخصين التاليين اللذين جاءا لرؤية بيرتي أيضًا -رغم أن أحدهما هدد «بالتحدث إلى مديري» والآخر ناداني بـ «أراك الثلاثاء المقبل»-. لا أحد يذهب إلى منزل حيث لن يكون محبوبًا حقًّا تحت إشرافي.

هناك العديد من أنواع حسرة القلب مثلما يوجد من الحب، لكن الخوف هو نفسه دائمًا، ولا أخجل من الاعتراف بأنني خائفة من أشياء كثيرة في الوقت الحالي. أعتقد أن السبب الحقيقي لخوفي الشديد من فقدان زوجي- أو تركه- هو أنه ليس لدي أي شخص آخر. لم أكن أعرف قط ما معنى أن تكون لي أسرة حقيقية، وكنت دائمًا أفضل في جمع المعارف أكثر من تكوين الصداقات. في الأوقات النادرة التي أشعر فيها أنني قابلت شخصًا يمكنني الوثوق به أتمسك به بقوة. لكن حكمي يمكن أن يكون خاطئًا. هناك بعض الأشخاص في حياتي كان يجب ألا أبتعد عنهم بل كان يجب أن أركض.

لم أقابل والديَّ قطُّ. أعلم أن أبي كان يحب السيارات القديمة، ربما لهذا السبب أحبها أيضًا، وسبب عدم استطاعتي التخلي عن موريس مينور القديمة رغم شكاوى آدم المستمرة. أجد صعوبة في الوثوق بأشياء أو أماكن أو أشخاص جدد. استبدل والدي بسيارته القديمة إم جي ميدجيت سيارة عائلية جديدة تمامًا قبل ولادتي. الجديد لا يعني دائمًا الأفضل. تعطلت الفرامل في الطريق إلى المستشفى عندما كانت والدتي في حالة المخاض، اصطدمت شاحنة بجانب السائق من سيارتهما وتُوفي كلاهما على الفور. الطبيب -الذي كان يقود في الاتجاه الآخر- بطريقة ما أخرجني إلى العالم على جانب الشارع. نعتني بالطفل المعجزة، وأطلق عليَّ اسم أميليا بسبب هوسه بالطيارة «أميليا

إيرهارت». كانت تحب الطيران بعيدًا أيضًا. وأنا سافرت من بيت رعاية إلى آخر حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري.

«أعتقد أن الناس لا يبقون هنا كثيرًا. إن الجو بارد جدًّا وكل شيء مُغطى بالتراب».

قالها آدم وهو يظهر ورائي فجأة ويجعلني أقفز: «آسف، لم أقصد إخافتكِ».

قصد إخافتي بالفعل.

«لم أكن خائفة».

بل كنت كذلك.

وأردفت: «لقد سئمت من القيادة ولا يمكنني العثور على أي شيء لأكله».

يسأل: «هل جربتِ البحث هنا؟».

متجهًا نحو باب منحنٍ في زاوية المطبخ.

أجبت دون النظر إلى أعلى: «نعم، لكنه مغلق».

يعتقد آدم دائمًا أنه يعرف أفضل مني.

بينما ينفتح الباب يقول: «ربما كان المقبض متيبسًا بعض الشيء».

يضغط مفتاح الضوء، وعندما ألحق به أرى أن الباب يؤدي إلى ما يشبه غرفة تخزين الأطعمة. لكن الأرفف ملآنة بالأدوات بدلًا من الطعام. هناك صناديق مكدسة بعناية من المسامير والبراغي والصواميل والمتاريس، ومفاتيح الربط والمطارق بأحجام مختلفة، ومجموعة مختارة من المناشير والفؤوس المعلقة على الجدار الخلفي. يوجد أيضًا سلسلة من الأدوات الصغيرة ذات المظهر الغريب التي لا أتعرف عليها، مثل الأزاميل المصغرة والسكاكين المنحنية والشفرات المستديرة، وكلها مزودة بمقابض خشبية متطابقة. المساحة الرطبة والمظلمة مضاءة بمصباح واحد يتدلى من السقف. إنه يكافح لإلقاء الضوء على كل شيء أدناه، لكنْ من المستحيل تفويت المُجمِّد الكبير في زاوية الغرفة. إنه أكبر مني -من النوع الذي قد تجده في الأسواق- وعلى

عكس الثلاجة، أعلم بالفعل أنه موصول بالكهرباء بسبب صوت الطنين الذي يصدره.

أتردد قبل رفع الغطاء لكنْ لم يكن هناك داعٍ للقلق.

المُجمِّد ممتلئ بالوجبات المجمدة منزلية الصنع. كل حاوية من رقائق الألومنيوم وغطاء من الورق المقوى مميزة بعناية بكتابة مترابطة ومفصلة. لا بد أنه يوجد أكثر من مئة عشاء لشخص واحد هنا، ويوجد مجموعة من الاختيارات: لازانيا، ومعكرونة بولونيز، ولحم بقري مشوي، وفطيرة ستيك، وحلوى البودينج بالسجق...

أقترح: «دجاج بالكاري؟».

يقول آدم: «يبدو جيدًا. الآن نحن فقط بحاجة إلى بعض النبيذ. لحسن الحظ أعتقد أنني ربما وجدت القبو».

لقد وجد كشافًا من بين جميع الأدوات الأخرى، وسلطه على الأرضية الحجرية. عندها فقط أدركت أن بعض الألواح العملاقة التي نقف عليها هي شواهد قبور قديمة. دُفِنَ الناس هنا في أحد الأوقات، واعتقد أحدهم أنه يجب تذكرهم. لكنَّ الأسماء التي نُقِشَت قد تلاشت بعد سنوات من السير عليها.

يقول آدم وهو يضيء الكشاف على باب خشبي قديم المظهر: «في الأسفل هنا».

أرتجف، ليس فقط لأن هذه الغرفة باردة بشكل لا يمكن تفسيره.

ورق

كلمة العام:

ألاعيب (Shenanigans): سر أو نشاط غير شريف أو مناورة. سلوك سخيف أو جريء أو مؤذٍ.

28 من فبراير 2009 - الذكرى السنوية الأولى لنا.

عزيزي آدم

إنها الذكرى السنوية الأولى لزواجنا، وكما وعدت ها أنا أكتب لك رسالتي السرية السنوية، تمامًا مثل الشخصيات في السيناريو المفضل لك. أنا مقتنعة بأن **حجر ورقة مقص** سيحقق نجاحًا كبيرًا في هوليوود يومًا ما، وحتى إذا لم أتركك تقرأ الرسائل التي أكتبها، ما زلت أحب فكرة أن أتمكن من إلقاء نظرة على القصة الحقيقية لك ولي عندما نصبح أكبر سنًّا.

كانت الأشهر الاثني عشر الماضية متقلبة بالنسبة إلينا. كان الزواج في يوم كبيس (29 من فبراير) فكرتي، كان الذهاب إلى اسكتلندا لقضاء شهر العسل فكرتكَ. إذا وُجِدَ ركن أكثر جمالًا في العالم من هذا المكان فلا يزال يتعين عليَّ العثور عليه. آمل أن نزور هذا المكان كثيرًا. لقد ترقيت في العمل، وطُلب

منك كتابة اقتباس حديث لقناة «البي بي سي» (BBC) من رواية «ترنيمة عيد الميلاد» (A Christmas Carol). أعلم أن هذا ليس ما تريد فعله حقًّا، لكنَّ أموال العمولة كانت بمنزلة إغاثة. بعد فشل مشروعين تجريبيين، كان عملك الكتابي ينضب. ظللت تقول إن هذاِ يحدث للجميع، لكن من الواضح أنك لم تعتقد حدوث ذلك لك قطُّ.

كنت أحاول المساعدة -أقرأ كتبًا عن الكتابة والسيناريوهات، وأعلم نفسي رواية القصص- ودائمًا ما كنت تطلب مني قراءة ما كتبته. أستمتع بالشعور بأنني جزء من هذه العملية، وفضلًا عن كوني القارئ الأول فإني بدأت في تحرير بعض أعمالك. فقط بضع ملاحظات على المخطوطة هنا وهناك، والتي يبدو أنك تقدرها. أتمنى لو كان بيدي شيء أكثر يمكنني عمله للمساعدة. أنا أؤمن بك وبقصصك.

إن الزواج بكاتب سيناريو ليس أمرًا ساحرًا كما يعتقد الناس، ولا العيش في شقة استوديو في نوتينغ هيل. نظامنا الصباحي بصفتنا زوجًا وزوجة هو نفسه دائمًا تقريبًا. إذا كان هذا يومًا عاديًّا، كنت ستقبِّلني على خدي ثم تنهض وتلبس ثيابك وتصنع بعض القهوة والخبز المحمص، ثم تجلس إلى مكتبك الصغير في زاوية الاستوديو لبدء العمل. يبدو أن وظيفتك تتطلب الكثير من التحديق إلى الحاسوب المحمول الخاص بك ونقر لوحة المفاتيح من حين إلى آخر. تحب البدء مبكرًا، لكن هذا لا يمنعك دائمًا من الاستمرار في الكتابة إلى وقت متأخر من الليل. في بعض الأحيان يبدو أنك تتوقف عن العمل للنوم أو الأكل فقط. لكني لا أمانع. لقد علمت أنك تشعر بالملل بسهولة وأن العمل هو العلاج المفضل لديك.

إذا كان هذا يومًا عاديًّا، كنت سأكوي ثيابي على السرير -لا نملك طاولة للكي ولا توجد مساحة أو حاجة حقيقية إلى امتلاك واحدة- ثم كنت سألبس ملابسي فيما كان القماش لا يزال دافئًا. كنت سأضع بعضًا من بقايا قهوتك في زجاجتي، وأمسك بوب وأركب سيارتي القديمة التي أستخدمها لتنقلاتي. كل يوم هو يوم «إحضار حيوانك الأليف إلى العمل» في مأوى باترسي للكلاب.

لكنَّ اليوم لم يكن يومًا عاديًّا.

إنها الذكرى السنوية الأولى لنا، وعطلة نهاية الأسبوع، وقد قرأت شيئًا مثيرًا للغاية بمجرد استيقاظي.

«إنه ميت!».

سألت فيما تفرك عينيك محاولًا الاستيقاظ: «مَن مات؟».

كان صوتك منخفضًا بدرجة أقل من المعتاد، كما هي الحال دائمًا بعد تناول الكثير من النبيذ في الليلة السابقة. لقد بدأت في الشرب أكثر مما اعتدته، ويبدو أن الكحول الرخيص لا يؤدي إلا إلى تسهيل حركة عجلة الكتابة في وقت متأخر من الليل التي تحاصرك داخلها حاليًّا. لكننا لا نستطيع تحمل تكلفة الأشياء الجيدة. تبدو الميزانية المنخفضة التي نعيش عليها مهترئة قليلًا، وهذا ما يبقينا مستيقظين.

حملت هاتفي أمام وجهك مباشرة حتى تتمكن من قراءة العنوان الرئيسي.

«هنري وينتر».

قلتَ فيما تجلس وتمنحني نصف انتباهك الكامل: «مات هنري وينتر؟».

كنت أعلم بالفعل أن هنري وينتر هو مؤلفك المفضل، لقد تحدثت عنه وعن كتبه كثيرًا، وكيف تحب أن تراها على الشاشة. يشتهر الكاتب المسن بأنه ليس مشهورًا، ونادرًا ما يُجري مقابلات، وبدا كما هو منذ أكثر من عشرين عامًا: رجلًا عجوزًا لا يبتسم مع شعر أبيض كثيف وأكثر عينين زرقةً رأيتهما في حياتي. في الصور النادرة له على الإنترنت كان دائمًا ما يرتدي سترات من الصوف الخشن وربطة عنق. أعتقد أنه تمويه: شخصية يختبئ وراءها. أنا لا أشاركك حماستك للرجل أو لعمله، لكنَّ هذا لا يغير حقيقة أنه أحد أنجح المؤلفين في كل العصور. بيعَت أكثر من مائة مليون نسخة من كتب الجريمة والغموض والإثارة والرعب الخاصة به في بلدان حول العالم، وهو عملاق في عالم الأدب.

«لا، هنري وينتر على قيد الحياة وبصحة جيدة».

قاومت الرغبة في إضافة كلمة «للأسف» وأضفت: «سيعيش هذا الرجل ليصبح ذا مئة عام. إن وكيله هو الذي مات».

لقد انتظرت رد فعلك بالطريقة التي تمنيتها، لكنك بدلًا من ذلك تثاءبت فقط.

سألت: «لماذا توقظينني بهذه الأخبار؟».

وأغمضت عينيك فيما تعود إلى أسفل أغطية السرير. الثلاثينيات من العمر تناسبك، فأنت تكبر بمظهر جيد.

قلت: «أنت تعلم لماذا».

لقد توقفت عن التظاهر بأنك لم تعلم، لكنك هززت رأسك قائلًا: «لم يقبل قطُّ بأي اقتباسات تلفزيونية أو سينمائية من كتبه. مُحال. إن موت وكيله لن يغير ذلك، حتى لو حدث فلن يوافق هنري وينتر أبدًا على كتابة سيناريو لعمله، فيما أمضى حياته يرفض الجميع».

- حسنًا، أوافق على كونك لا تتمتع بفرصة مع هذه العقلية. لكن مع ابتعاد الرقيب عن الساحة، ألا يستحق الأمر فرصة؟ ربما وكيله هو الذي لم تعجبه الفكرة؟ يفعل بعض المؤلفين كل شيء يطلب منهم وكلاؤهم فعلَه. فقط تخيل لو وافق.

سقط شعرك على عينيك -دائمًا ما تكون مشغولًا جدًّا بالكتابة عن زيارة الحلاق- لذلك لم أستطع رؤية ما كنت تفكر فيه. لكني لم أكن بحاجة إلى ذلك. كلانا يعلم أنه إذا كان بإمكانك جعل هنري وينتر يسمح لك بتحويل إحدى رواياته، فسيغير ذلك مسار حياتك المهنية كليًّا.

قلت: «أعتقد أنه يجب أن تجعل وكيل أعمالك ينظم اجتماعًا».

- وكيل أعمالي يشعر بالملل مني. أنا لا أعود عليه بالربح الكافي.

- هذا ليس صحيحًا. الكتابة عمل متقلب، لكنك كاتب سيناريو حائزٌ جائزةَ بافتا...

- كانت جائزة البافتا منذ سنوات.

- تملك سيرة ذاتية ساحرة...

- لم يجرِ ترشيحي لأي جائزة منذ ذلك الحين.

- تملك سلسلة من الاقتباسات الناجحة. ما الضرر الذي يمكن أن يحدث؟

- ما الجيد الذي يمكن أن يحدث؟ علاوة على ذلك، إذا مات وكيل هنري وينتر للتو، فمن المحتمل أن يكون الرجل المسكين حزينًا. سيكون الأمر غير لائق.

- مثلما سيكون الأمر إذا لم ندفع إيجار هذا الشهر.

إن سذاجتك تجاه بعض المؤلفين الذين تحبهم كثيرًا تحيرني. أنت واحد من أكثر الأشخاص ذكاءً الذين قابلتهم على الإطلاق، ولكنك ترى جميع المؤلفين من خلال نظارة القراءة ذات اللون الوردي. القدرة على تأليف كتاب جيد لا تجعل المرء شخصًا جيدًا.

أستطيع القول إن هذه لم تكن معركة كنت سأفوز بها دون تغيير الاستراتيجية، لذا فتحت الدرج في الخزانة بجانب سريري، وأخرجت طردًا صغيرًا من الورق البني.

سألت وأنا أضعه على السرير: «ما هذا؟».

- افتحه وانظر.

فككت الخيط بعناية كما لو كنت ترغب في الاحتفاظ باللفافة. لم يكن لدى كلينا الكثير مما يمكن أن ندعوه خاصتنا كالأطفال، وأعتقد أن القليل من عقلية «الإصلاح وإعادة الاستخدام» تتبع أشخاصًا مثلنا في مرحلة البلوغ. كان العثور على المال لدفع تكاليف حفل زفافنا تحديًا آخر هذا العام. لم تكن قاعة زفاف، فصفوف الكراسي في مكتب التسجيل كانت خالية في الغالب دون وجود أي أفراد أسرة في كلا الجانبين، ولم يكن يوجد سوى عدد قليل من الأصدقاء المقربين الذين يعيشون في لندن. أعشق خاتم خطبة والدتك من الياقوت. إنه مناسب تمامًا -كما لو كان دائمًا ملكي- ولم أخلعه قطُّ، لكنْ لا يزال يتعين علينا شراء خاتمَي زفاف وبدلة وفستان. يكلف الزواج مبلغًا كبيرًا من المال، ويكون المبلغ أكبر عندما لا يكون لديك الكثير منه.

أوضحت: «إنه طائر الكركي».

لأوفر عليك الاضطرار إلى السؤال عن ماهية الهدية عندما رفعتها إلى النور لتراها: «الورق هو الهدية التقليدية للاحتفال بالذكرى السنوية الأولى للزواج، لذلك عندما تُرك كلب بودل ضال يسمى أوريجامي[1] على عتبة باب مأوى باترسي للكلاب في الليل الأسبوع الماضي، أعطاني الفكرة. علمت نفسي

---

(1) فن طي الورق الياباني.

كيفية صنعها من خلال مشاهدة مقطع فيديو على تطبيق اليوتيوب، واخترت طائر الكركي لأنه رمز للسعادة والحظ الجيد».

قلتَ: «إنه... جميل».

- من المفترض أن يجلب الحظ الجيد.

كنت أعلم أنك ستحبه أكثر بمجرد أن تعرف ذلك. أنت أكثر رجل مؤمن بالخرافات قابلته في حياتي. أنا في الواقع مغرمة جدًّا بالطريقة التي تلقي بها السلام على طيور العقعق، وتتجنب السير تحت السلالم، وتصاب بالفزع من الأشخاص الذين يفتحون المظلات في داخل المباني. أجد الأمر محببًا. الحظ، سواء كان جيدًا أم سيئًا، فإنه شيء تأخذه على محمل الجد.

ابتسمت فيما كنت تدخل المجسم الورقي الصغير داخل محفظتك. أتساءل عما إذا كنت ستحتفظ به هناك إلى الأبد؟ آمل ذلك، أحببت الفكرة. ما لم يأتِ شيء أكثر حظًّا.

قلتَ: «لم أنسَ. أنا فقط لم أكن أعلم أننا كنا سنحتفل هذا اليوم. من الناحية التقنية لن تكون الذكرى السنوية لزواجنا حتى عام 2012».

- هل هذا صحيح؟

- حسنًا، تزوجنا في 29 من فبراير 2008 اليوم هو الثامن والعشرون. لن نمر بسنة كبيسة مرة أخرى إلا بعد ثلاث سنوات.

- قد نكون في عداد الأموات بحلول ذلك الوقت.

- أو مطلقين.

- لا تقل ذلك.

- آسف.

لقد كنت مشغولًا جدًّا في الآونة الأخيرة. لست متفاجئة أنك نسيت. علاوة على ذلك أنت رجل، ونسيان الذكرى السنوية هو شيء أنت مبرمج مسبقًا لفعله.

قلت: «عليك فقط أن تعوضها لي».

أعتقد أنك ستتذكر ما فعلناه بعدها دون الحاجة إلى كتابته. لم أخبرك بالأمر ولكني تمنيت أمنية. إذا رزقنا بطفل في هذا الوقت من العام المقبل، فستعرف أنها تحققت.

كنت أعلم بحاجتك إلى العمل في هذه العطلة -رغم أنها الذكرى السنوية- والشقة الصغيرة بالكاد تكفي لثلاثة أفراد في أفضل الأوقات، لذلك تركتك لتكتب، وبوب ينام، وخرجت لقضاء فترة ما بعد الظهيرة في البلدة. أنا أستمتع تمامًا عندما أكون وحيدة، لذلك لم أمانع مطلقًا حاجتك إلى البقاء بمفردك أيضًا. تجولت في أنحاء منطقة كوفنت جاردن لفترة، ثم قضيت ساعتين في معرض الصور الوطني. أحب النظر إلى كل تلك الوجوه، وهو مكان لا يمكننا الذهاب إليه معًا. عدم القدرة على التعرف على أي شخص يجعله يومًا مملًّا بالنسبة إليك.

عندما وصلت إلى المنزل كانت شقتنا الصغيرة في الطابق السفلي ملآنة بالشموع لدرجة أنه سيتحتم عليك إزالة البطاريات من جهاز استشعار الحريق.

جُهِزَت طاولة القهوة -ليس لدينا غرفة مخصصة لتناول الطعام- بطبقين ومجموعتين من أدوات المائدة وكوبين وزجاجة شمبانيا. كانت قائمة الوجبات الهندية المفضلة لدي موضوعة على الطاولة، جنبًا إلى جنب مع مظروف عليه اسمي. شاهدتني أنت وبوب فيما أفتحه.

ذكرى سنوية سعيدة!

مكتوبة في الخارج. كانت الكلمتان في الداخل أقل قابلية للتنبؤ:

لقد وافق.

سألت: «ماذا يعني هذا؟».

لقد أخبرتني والابتسامة تعلو وجهك والنظرة في عينيك كافيتان للإجابة، لم أستطع تصديق ذلك.

قلت مبتهجًا كطالب مدرسي سجل هدف الفوز للتو: «أنتِ تنظرين إلى كاتب السيناريو الأول في التاريخ الذي يمكن الوثوق به على الإطلاق لتحويل إحدى روايات هنري وينتر».

– هل أنت جاد؟

- كليًّا.

- فلنفتح زجاجة الشمبانيا!

قلت: «أعتقد أن المجسم الورقي الجالب للحظ هو الذي ساعدني في الحصول على الصفقة».

ثم فتحت الزجاجة وملأت الكوبين المخصصين للمياه -لا نملك كؤوسًا- وقلت: «اتصل بي وكيل أعمالي فجأة ليقول إن هنري وينتر يريد مقابلتي. ظننت أنني كنت أحلم في البداية -نظرًا إلى كونكِ اقترحتِ الفكرة هذا الصباح فقط- لكنني لم أكن كذلك، لقد كان الأمر حقيقة! والتقيته بعد ظهر اليوم».

قرعنا كأسينا. أنت بالكاد ارتشفت منه فيما أنا أخذت جرعة كبيرة.

- و؟

- أعطاني وكيل أعمالي عنوانًا في شمال لندن، وقال إنه يجب أن أكون هناك في الساعة الواحدة بالضبط. كانت هناك بوابة ضخمة بالخارج، وفُتحت بشكل إلكتروني لكي أدخل، ثم قادتني امرأة -التي أفترض أنها مدبرة منزل- إلى مكتبة. كان الأمر أشبه بكوني في إحدى روايات الجريمة الخاصة بهنري وينتر، وتوقعت أن تنطفئ الأنوار وأن يهاجمني أحدهم بشمعدان. لكنه دخل حينها، يبدو أقصر قليلًا في الحياة الواقعية مما كنت أتوقع، لكنه كان يرتدي سترة صوفية وربطة عنق زرقاء. سكب كأسين من الويسكي -أول كأسين من بين الكثير- ثم بعدها تحدثنا فقط.

- وطلب منك كتابة سيناريو أحد كتبه؟

هززت رأسك قائلًا: «لا، لم يذكر ذلك ولو لمرة واحدة».

بدأت حماستي تتلاشى قليلًا عندما قلت ذلك.

- تحدثنا فقط عن رواياته، وطرح الكثير من الأسئلة عني... وعنك. أريته المجسم الورقي الذي صنعتِه لي وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي ابتسم فيها. شعرت كأنني أحلم طوال فترة وجودي، كما لو كنت قد اختلقت كل شيء، لكنْ بعد ذلك اتصل وكيل أعمالي مرة أخرى بعد نصف ساعة من مغادرتي وقال إن هنري يود أن أكتب مقتبسًا من

روايته الأولى «القرين» (The Doppelganger). إذا أحبه هنري قال إنه يمكنني بيعه! تلك ألاعيب!

مازحتك قائلة: «لم يستخدم أحد كلمة ألاعيب منذ الحرب، ربما قد تكون هذه كلمة اليوم، أو حتى كلمة العام».

ثم بكيت.

لقد افترضت أنها كانت دموع سعادة وكان بعضها كذلك على الأقل.

- أنا فخورة جدًّا بك.

ثم أضفت متيقنة من صحة ما أقول: «سترى، كل شيء سيتغير الآن. بمجرد كتابة أول اقتباس من عمل هنري وينتر ستبدأ شركات الإنتاج بالدق على الباب والتوسل إليك لتكتب لهم».

ثم قرعنا أكوابنا مجددًا وشربت ما تبقى من الشمبانيا الخاصة بي.

أنهينا الزجاجة ثم احتفلنا بطريقتي المفضلة، تضررت العديد من المخطوطات نتيجة لما حدث، لكنْ لا توجد مساحة كبيرة في شقتنا. من بعض النواحي شعرت الليلة بأنها أفضل ليلة في حياتنا. لكنك الآن نائم وأنا مستيقظة تمامًا -كالعادة- وللمرة الأولى منذ زواجنا يكون لدي سر جديد يجب أن أخفيه عنك. واحد لست متأكدة من أنه يمكنني مشاركته. نحن ننسج حياتنا من خيوط الفرص وغرز الصدف، لا أحد يريد مستقبلًا ممتلئًا بالثغرات. لكنني قلقة من أنك إذا علمت أن هنري وينتر لم يأتمنك على كتابه إلا بسببي، فقد تكون هذه هي نهايتنا.

أعتقد أنه لا يمكنني مشاركة هذه الرسالة معك الآن أيضًا. ربما سأفعل ذات يوم.

كل حبي

زوجتك

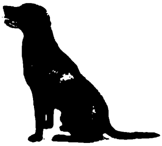

أميليا

يفتح آدم الباب المتهالك. تظهر مجموعة من الدرجات الحجرية التي تؤدي إلى أسفل، وهو لا يتردد في النزول.

أنادي من بعده قائلة فيما يضحك: «كن حذرًا».

- لا تقلقي، أعتقد أن الكثير من الكنائس القديمة بها أقبية. علاوة على ذلك ما هو أسوأ شيء يمكن حدوثه؟ ما لم يكن زنزانة سرية تحتوي على جثث متعفنة لآخر الأشخاص الذين بقوا هنا. هذا من شأنه أن يفسر الرائحة على الأقل.

بقيت في مكاني، لكن أستمع إلى صوت خطاه حتى يختفي عن الأنظار. يومض الكشاف ثم ينطفئ.

كل شيء صامت.

أدرك أنني أحبس أنفاسي.

لكنْ بعدها شتم آدم، وظهر ضوء في الأسفل.

سألته «هل أنت بخير؟».

- نعم، فقط صدمت رأسي بالسقف المنخفض عندما انطفأ الكشاف. ربما يحتاج إلى بطاريات جديدة. لكنني وجدت مفتاحًا للضوء، ويسعدني أن أبلغكِ أنه لا توجد أشباح أو جرغول[1] هنا، فقط أرفف ملآنة بالنبيذ!

يخرج آدم كمستكشف منتصر، بابتسامة وزجاجة حمراء مغبرة. تمكنت من العثور على مفتاح للزجاجة -ورغم أنه لم يكن أيٌّ منا من محبي النبيذ المغرورين- فقد أخذنا رشفة واستنتجنا أن عام 2008 كان عامًا ممتازًا لنبيذ ريبيرا ديل دويرو. يقول بعض الناس إن الزواج مثل النبيذ ويتحسن مع تقدم العمر، لكني أعتقد أن كل هذا يتوقف على العنب. هناك بالتأكيد سنوات كانت أكثر إمتاعًا من غيرها، وكنت سأضعها في زجاجات إن استطعت.

أبدأ في الاسترخاء بمجرد احتسائي كأسًا وتناولنا الطعام. كان كاري الدجاج المجمد لذيذًا بشكل غير متوقع بعد تسخينه في الميكروويف، ويمكنني الشعور بنفسي أبدأ في الاسترخاء فيما نشرب نبيذنا أمام النار، في الصالة التي تشبه المكتبة إلى حد كبير. صوت الهسهسة والفرقعة المريحة تمنحني تأثيرًا منومًا، تستمر ألسنة اللهب في التأرجح، وتلقي بأنماط من الظلال في جميع أنحاء الغرفة الملآنة بالكتب.

بدأت تزداد قوة العاصفة في الخارج. لا يزال الثلج يتساقط والرياح الآن تعوي، لكن الجو دافئ بدرجة كافية على الأريكة أمام النار. بوب يشخر بلطف على السجادة عند أقدامنا، وربما يكون بسبب التعب من الرحلة أو النبيذ، لكنني أشعر بالسعادة على غير المعتاد. تتحرك أصابعي باتجاه آدم -لا أتذكر آخر مرة لمس فيها أحدنا الآخر- لكن يدي تتوقف، كأنها خائفة من أن تحترق. إن المودة مثل العزف على البيانو ويمكنك نسيان كيفية عزفه دون ممارسة.

أستطيع الشعور به وهو يحدق لكني أستمر في النظر إلى يدي. أتساءل ماذا يرى عندما ينظر إليَّ؟ ملامح غير واضحة؟ مخطط مألوف لكنْ غير قابل للتحديد لشخص ما؟ هل أبدو مثل أي شخص آخر بالنسبة إليه؟

عشر سنوات هي فترة طويلة للزواج بشخص تنساه.

---

(1) تماثيل لمخلوقات قبيحة منحوتة ومصممة لنقل مياه السطح بعيدًا عن جانب المبنى.

لم أكن صريحة تمامًا معه بشأن هذه العطلة. لم أكن صريحة تمامًا بشأن الكثير من الأشياء، وأحيانًا أعتقد **أنه يعرف** ذلك. لكني أخبر نفسي أن هذا غير ممكن. لقد جربنا ليالي المواعدة والاستشارات الزوجية، لكن قضاء المزيد من الوقت معًا لا يعني دائمًا قضاء وقت أقل بعيدين أحدنا عن الآخر. لا يمكنك الاقتراب من حافة الجرف دون رؤية الصخور في الأسفل، وحتى إذا كان زوجي لا يعرف القصة الكاملة، فهو يعلم أن هذه العطلة هي محاولة أخيرة لإصلاح ما كُسر.

ما لا يعرفه هو أنه إذا لم تسر الأمور وفقًا للخطة، فسيعود واحد منا فقط إلى المنزل.

آدم

نجلس في صمت بعد العشاء. لم يكن الكاري المجمد سيئًا كما توقعت، وكان النبيذ أفضل بكثير. يمكنني شرب كأس أخرى. ألاحظ أن يد أميليا قريبة من يدي على الأريكة. لدي رغبة كبيرة في الإمساك بها ولا أعلم ما الذي يحدث لي -لقد غابت المودة دون عذر لفترة طويلة في زواجنا-. تسحب يدها إلى حجرها عندما كنت على وشك الوصول إلى يدها. ربما هذا للأفضل، بالنظر إلى ما تدور حوله هذه العطلة حقًّا، وما أخطط لفعله.

أحدق إلى ألسنة اللهب وهي ترقص في المدفئة الهائلة، يتجول عقلي في مسارات مختلفة لأشياء أخرى. العمل في الغالب. لقد حوَّلتُ ثلاثًا من روايات هنري وينتر إلى أفلام خلال العقد الماضي وأنا فخور بكل واحدة منها. كان حصولي على الإذن للعمل على تلك السيناريوهات نقطة تحول حقيقية في مسيرتي المهنية، لكنني لم أتحدث إلى الرجل لفترة طويلة. لا أعرف لماذا أفكر به الآن. ربما بسبب هذه الغرفة لأنها أشبه بمكتبة أكثر منها صالة، كان سيحبها.

أنا في مرحلة اختيار المشاريع في الوقت الحالي. لا يبدو أنني متحمس بشأن أي شيء يرسله وكيلي لي، وأتساءل عما إذا كان الوقت قد حان لبدء العمل على شيء خاص بي مجددًا. كنت أنوي عمل ذلك منذ فترة، لكنني أعتقد أن الثقة قد سُلبت مني. ربما هذا هو الوقت المناسب لــ...

تقول أميليا مقاطعة أفكاري كأنها تستطيع سماعها: «ربما يمكنك إعادة العمل على أحد سيناريوهاتك الخاصة، إذا كنت لن تعمل على أي شيء آخر لفترة من الوقت».

أكره أنها تستطيع دائمًا قراءة عقلي؛ كيف تفعل النساء ذلك؟

أجبت: «هذا ليس الوقت المناسب».

- ماذا عن ذلك الذي قضيت سنوات في العمل عليه، هل يستحق نظرة أخرى؟

إنها لا تستطيع حتى تذكر اسم السيناريو المفضل لدي. لا أعلم لماذا يزعجني ذلك، لكنه يفعل. لطالما كانت مهتمة أكثر بعملي، وكانت تبدو أنها تهتم حقًا بكتابتي. لا مبالاتها هذه الأيام تؤلم أكثر مما ينبغي.

- قال وكيلي إنه يوجد فيلم جديد من ثمانية أجزاء قد أكون مستعدًا له. اقتباس آخر. لكن قديم...

أنظر من فوق كتفي إلى جميع خزائن الكتب فيما أكمل قائلًا: «قد يكون موجودًا حتى نسخة منه على أحد هذه الأرفف».

قالت ويبدو أنها تعاني مع فهم روح الدعابة: «اتفقنا على عدم العمل في هذه العطلة».

- كنت أمزح، و**أنتِ** من قد طرحتِ الموضوع أولًا.

- فقط لأنني كنت قادرة على سماعك تفكر في الأمر. وكنت تظهر هذا الوجه الشاغر عندما يكون عقلك في مكان آخر وجسدك جالسًا بجانبي.

لا أستطيع رؤية تعبير الوجه الذي **تظهره**، لكنني مستاء من نبرة صوتها. أميليا لا تفهم. أحتاج دائمًا إلى العمل على قصة وإلا سيصبح العالم الحقيقي صاخبًا جدًا. لا أستطيع الحديث عن **أي شيء** مؤخرًا دون أن تنزعج. إنها تتجهم إذا كنت **هادئًا جدًا**، لكن بفتح فمي يبدو كأنني أتنقل في حقل ألغام. لا أستطيع الفوز. لم أخبرها بما حدث مع هنري وينتر لأن هذا شيء آخر لن تفهمه. لم يكن هنري وكتبه مجرد عمل بالنسبة إليَّ، لقد أصبح بمنزلة أب. أشك في أنه شعر بالطريقة نفسها، لكنْ يجب ألا تكون المشاعر متبادلة حتى تكون حقيقية.

تهز الرياح النوافذ ذات الزجاج الملون، وأنا ممتن لأي شيء قد يغرق الأفكار الصاخبة داخل رأسي. لا أريدها أن تسمع ذلك. لا تزال يدي بحاجة إلى شيء لفعله، لم أعد أرغب في إمساك يدها وأشعر أن أصابعي عاطلة دون هاتفي. أخرجت محفظتي من جيبي ووجدت المجسم الورقي المجعد بين ثنايا الجلد. لطالما جلب لي مجسم الطائر القديم السخيف الحظ والراحة. أمسكته لفترة من الوقت، ولا يهمني إن رأتني أميليا أفعل ذلك.

أقول: «لقد كنت أحمل هذا الطائر الورقي معي منذ فترة طويلة».

تتنهد قائلة: «أعلم».

- لقد أريته لهنري وينتر في المرة الأولى التي قابلته فيها في منزله الفخم في لندن.
- أتذكر القصة.

يبدو أنها تشعر بالملل والبؤس وهذا يجعلني أشعر بالمثل. لقد سمعت كل قصصها من قبل أيضًا ولم يكن أيٌّ منها مثيرًا بشكل خاص.

أتمنى لو كان الناس أشبه بالكتب.

إذا أدركت في منتصف رواية أنك لم تعد تستمتع بها يمكنك التوقف والعثور على شيء جديد لقراءته. الشيء نفسه مع الأفلام والمسلسلات التلفزيونية. لا يوجد حكم، ولا ذنب، ولا يحتاج أحد حتى إلى معرفة الأمر ما لم تخبره به. لكنك تميل إلى رؤية الناس حتى النهاية، وللأسف لا يستطيع الجميع العيش في سعادة دائمة.

تحول الثلج إلى أمطار ثلجية. قطرات كبيرة وغاضبة تقذف النوافذ قبل تساقطها على الزجاج مثل الدموع. أحيانًا أريد البكاء ولكني لا أستطيع. لأن هذا لا يتناسب مع الشخصية التي تعتقد زوجتي أنني أمتلكها. جميعنا مسؤولون عن إعطاء الأدوار في قصص حياتنا، وقد أعطتني دور زوجها. كان زواجنا تجربة أداء مفتوحة، ولست متأكدًا من أن أيًّا منا حصل على الأجزاء التي نستحقها.

وجهها ضبابي لا يمكن التعرف عليه، وملامحها تدور مثل بحر غاضب. أشعر كأنني جالس بجانب شخص غريب، وليس زوجتي. لقد كنا معًا **طوال**

اليوم وأشعر الآن بالاختناق. أنا شخص يحتاج إلى مساحته الخاصة وقليل من الوقت بمفردي. لا أعلم لماذا يجب أن تكون هكذا... خانقة.

تنتزع أميليا المجسم الورقي من أطراف أصابعي.

تقول: «تقضي وقتًا طويلًا في العيش في الماضي بدلًا من التركيز على المستقبل».

– انتظري، لا!

أصرخ وهي تلقي بمجسم الحظ في النار.

وقفت وابتعدت عن الأريكة في ومضة، وكدت أحرق يدي لاستعادة الطائر. حافة واحدة به محروقة، لكن غير ذلك فهو لم يتلف. هذا هو. الفصل الأخير من قصتنا. إذا لم أكن متأكدًا قبل الآن، فأنا أعد العد التنازلي للساعات حتى ينتهي هذا مرة واحدة وإلى الأبد.

قطن

كلمة العام:

حيز التذمر (growlery): مكان لجوء أو ملاذ للاستخدام حينما يشعر المرء بتعكُّر مزاجه. غرفة خاصة أو عرين للتذمر.

28 من فبراير 2010 – الذكرى السنوية الثانية لنا.

عزيزي آدم

سنة أخرى، ذكرى أخرى، وكانت سنة رائعة! منذ بيعك أول اقتباس من روايات هنري وينتر، بت أكثر انشغالًا بالعمل أكثر من أي وقت مضى. دفعت شركة إنتاج هوليوود التي اشترته في المزاد العلني مقابل تلك الصفحات البالغ عددها 120 صفحة أكثر مما يمكن أن أكسبه في عشر سنوات. كان الأمر رائعًا، وأنا سعيدة جدًّا من أجلك، لكنني حزينة جدًّا من أجلنا لأننا الآن يرى أحدنا الآخر أقل مما اعتدنا. لا يبدو أنك بحاجة إلى مساهمتي في عملك على الإطلاق الآن. لكنني أفهم. أنا حقًّا أفعل.

لقد تغير الكثير بالنسبة إليك خلال الاثني عشر شهرًا الماضية، لكن للأسف لم يتغير شيء لي. ما زلنا لم نحظَ بأطفال. لقد حافظت على كلمتك

بشأن الحصول على إجازة للذكرى السنوية، رغم ذلك -وهو أمر أصبح لا يصدق في الأشهر الأخيرة- حتى نتمكن من الذهاب بعيدًا في هذه العطلة. لقد رتبت لأحد الجيران ليهتم ببوب، وطلبت مني حزم حقيبة وجواز سفري، لكنك لم تخبرني إلى أين نحن ذاهبان. لقد استبدلت ببنطالي الجينز المغطى بشعر كلبي فستانًا مصممًا وجدته في متجر خيري في نوتينغ هيل، حتى إنني وضعت أحمر شفاه جديدًا.

لقد أوقفت سيارة أجرة سوداء بمجرد مغادرتنا الشقة لقضاء عطلة ذكرى زواجنا. اعتقدت أن سيارة الأجرة قد تأخذنا إلى محطة سانت بانكراس... أو المطار. لكنْ بعد ثلاثين دقيقة من التحرك في ساعة الذروة اليومية في لندن، توقفنا في شارع سكني في قرية هامبستيد، أحد الأجزاء المفضلة لديك في لندن. ربما لأن هنري وينتر يمتلك منزلًا هناك. إنه مكان فخم للغاية، لكنني لم أعتقد أن أشخاصًا مثلنا يحتاجون إلى جواز سفر لزيارته، لذلك تساءلت لماذا طلبت مني إحضار جواز سفري.

بعد الدفع للسائق وإعطائه إكرامية سخية صعدنا إلى الرصيف بحقائبنا وأدخلت يدك في جيبك.

سألت وأنا أنظر إلى الهدية الصغيرة لكنها مغلفة بالكامل في يدك: «ما هذا؟».

كان الشريط مربوطًا بشكل عقدة جميلة، تساءلت عما إذا كان شخص ما قد فعل ذلك من أجلك.

أجبت بابتسامة: «ذكرى سنوية سعيدة».

– لم يكن من المفترض أن نتبادل الهدايا حتى يوم الأحد...

– أوه حقًّا؟ سآخذها إذن.

أمسكت بالطرد الجميل: «لقد رأيته الآن، لذا ربما يجب أن أفتحه أيضًا. آمل أن يكون قطنًا. هذه هي الهدية التقليدية للنجاة لمدة عامين في الزواج».

– أعتقد أن الأمر يتعلق بالاحتفال، وليس النجاة، ولم أكن أعلم أنني تزوجت شخصًا صعب المراس.

قلت فيما أزيل الورق بعناية: «نعم، لقد فعلت».

لقد كشفت عن صندوق مخملي صغير -من النوع الذي قد يحتوي على جواهر- فيروزي اللون، اللون المفضل لدي. أعتقد أنني كنت أتوقع تقريبًا أن تكون قرطين، لكن عندما فتحت الغطاء وجدت مفتاحًا.

سألتني: «إذا كان بإمكانكِ العيش في أي منزل في هذا الشارع، فأي منهم ستختارين؟».

حدقت إلى المنزل الفيكتوري القديم المنفصل ذي الواجهة المزدوجة الذي كنا نقف خارجه. كانت جدرانه المبنية من الطوب الأحمر ملآنة بما يشبه مزيجًا من فروع شجرة الوستارية واللبلاب. كان بعض الزجاج محطمًا في المشربيات، والبعض الآخر غُطيَ بألواح خشبية. لقد كان تعريف جملة منزل مهجور بحاجة إلى الإصلاح -محطم لكن جميل- ولم أستطع عدم ملاحظة علامة **مبيع** بالخارج.

سألت: «هل أنت جاد؟».

– كليًّا.

شعرت كأنني طفل حصل على مفتاح لمصنع شوكولاتة.

كان الباب الأمامي باللون الفيروزي نفسه مثل الصندوق المخملي وطُلي مؤخرًا، على عكس أي جزء آخر من المبنى. عندما فتح المفتاح الباب، بكيت -لم أصدق أننا نمتلك منزلًا حقيقيًّا-، بعد كفاحنا لدفع إيجار شقة استوديو صغيرة لفترة طويلة.

كان المشهد في الداخل مهجورًا تمامًا مثل ذاك الذي في الشارع. كانت رائحة المكان كله رطبة، وتوجد ألواح أرضية مفقودة، وورق حائط مقشر، وأثاث وأجهزة قديمة مغطاة بالغبار وأنسجة العنكبوت. وتوجد أسلاك معلقة من ثقوب في السقف حيث افترضت أن الأضواء كانت موجودة في السابق، وتوجد رسومات على بعض الجدران. لكنني كنت بالفعل واقعة في الحب. كنت أتجول في الغرف الكبيرة والمشرقة، وكلها فارغة ولكنها ملآنة بالإمكانات والاحتمالات.

سألتك وأنت تضحك: «هل زينته بنفسك؟».

– لا، اعتقدت أنه يمكنك فعل ذلك. أعلم أنه يحتاج إلى القليل من العمل...

– القليل؟

– لكننا لم نكن لنتمكن من تحمل ثمنه بخلاف ذلك.

– أنا أحبه.

سألتني: «حقًّا؟».

– نعم، كل ما حصلت عليه هدية مني هو زوج من الجوارب.

– حسنًا، لقد دمر هذا المفاجأة...

– على الأقل كانت هديتي مصنوعة من القطن.

– في أي سنة يجب أن نعطي الطوب؟ يمكننا الانتظار حتى ذلك الحين ...

ازداد قلقي جدًّا وأفسد متعتنا: «هل يمكننا حقًّا تحمل التكلفة؟».

ابتسمت لتخفي ترددك، لكنني ما زلت أرى ذلك. لقد أحببت دائمًا قياس إجاباتك قبل إعطائها، ولا تقدم أبدًا الكثير أو القليل جدًّا.

– نعم، لقد كانت سنة جيدة للغاية. لقد كنت مشغولًا بعض الشيء بحيث لا يمكنني الاستمتاع بها، لكنني أعتقد أن الوقت قد حان لأن نبدأ في عيش الحياة التي طالما حلمنا بها. ألا تعتقدين ذلك أيضًا؟ اعتقدت أننا يمكننا أخذ وقتنا في تجديد المنزل... عمل بعض الأعمال بأنفسنا. نحوله إلى حيز التذمر الخاص بنا ونجعله موطنًا لنا إلى الأبد.

لقد دونت ملاحظة ذهنية للبحث عن كلمة «حيز التذمر».

أكملت: «إذا كنتِ تعتقدين أن الطابق الأرضي جيد، يجب أن تري الطابق العلوي».

وضعت يدي على الحاجز الخشبي القديم فيما أصعد، وكانت قدمي حذرة -حريصة على عدم ثني كاحلي على أي من الدَرجات المكسورة في الظلام-. توجد المزيد من خيوط العنكبوت والغبار والأوساخ التي تغطي كل سطح تقريبًا، لكنني كنت أرى بالفعل كيف يمكن أن تكون الأشياء جميلة يومًا ما. ولم أخف قط من العمل الجاد.

تبعتك على طول الردهة حتى وصلنا إلى غرفة نوم كبيرة. شهقت عندما رأيت السرير المصمم بشكل جميل -كان الأثاث الوحيد في المنزل- وكانت هناك زجاجة شمبانيا في دلو ثلج على الأرض.

قلت فيما حاوطتني بين ذراعيك: «الملاءات قطن مصري مائة بالمائة. انظري أنا لم أنسَ. ذكرى سنوية سعيدة يا سيدة رايت».

سألت: «ماذا عن غرف النوم الأخرى؟».

- حسنًا، أعتقد أنه علينا العمل على ملئها، أليس كذلك؟

نحن هنا منذ ثلاثة أيام، ولم نذهب إلا للتنزه والحصول على الطعام. شكرًا على عطلة نهاية أسبوع رائعة، وذكرى سنوية سعيدة للغاية، ولكونك حب حياتي. أخطط لقضاء كل وقت فراغي في تجديد هذا المنزل وتزيين كل غرفة حتى يصبح المنزل الأبدي الذي لطالما حلمنا به. من الصعب تخيل شعوري بالحظ أكثر مما أفعل الآن.

كل حبي

زوجتك

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

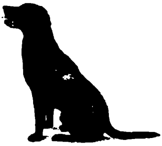

أميليا

من الصعب تخيل شعوري بالتعاسة أكثر مما أفعل الآن.

لم أقصد رمي المجسم الورقي في النار، أنا فقط... غضبت. لم يكن خطئي، بل كان خطأه لأنه جعلني بهذا الجنون في المقام الأول. أشاهده وهو يعيده إلى داخل محفظته قبل النظر إليَّ بلا شعور سوى الكراهية في عينيه.

أقول: «أنا آسفة، لا أعلم لماذا فعلت ذلك»، لكن آدم لا يجيب.

أشعر أحيانًا كأنني أحد الحيوانات الأليفة الضالة التي أراها في العمل كل يوم، بالطريقة التي يختفي بها زوجي داخل كتاباته طوال الوقت. يتركني وحيدة منسية. الآن هو وقت صعب من العام في وظيفتي. غالبًا ما يكتشف جميع الأشخاص الذين اشتروا كلابًا صغيرة لعيد الميلاد أنهم لا يريدونها مدى الحياة بحلول يوم عيد الحب. أُحضر كلب راعي ألماني يُدعى لاكي «محظوظ» هذا الأسبوع، وللأسف لم يكن على بطاقة اسمه عنوان. كنت أرغب في التمكن من تعقب أصحابه واعتقالهم. لقد تُرك لاكي مقيدًا بعامود إنارة تحت المطر، ويعاني سوء تغذية شديدًا ويتضور جوعًا، ومغطى بالبراغيث والقذارة، ومبللًا كليًّا. قال الطبيب البيطري إن جروحه كانت نتيجة الضرب المستمر لفترة طويلة. ذلك الكلب المسكين لم يكن «محظوظًا» على الإطلاق، تمامًا كذلك المجسم الورقي الذي يحتفظ به آدم في محفظته. إنه مجرد هراء خرافي.

يقول: «لا أعلم لماذا أنتِ غاضبة طوال الوقت».

كلماته تجعلني أكثر غضبًا.

أقول: «أنا لست **غاضبة**» فيما أبدو كذلك.

وأكمل: «لقد سئمت فقط من كوني الوحيدة التي تبذل جهدًا في هذه العلاقة. لم نعد نتحدث بعد الآن. إنه مثل العيش مع زميل في المنزل وليس مع زوج. أنت لا تسأل أبدًا عن **يومي** أو **عملي** أو ما **أشعر به**. فقط تسأل عن **ماذا سنأكل على العشاء؟** أو **أين قميصي الأزرق؟** أو **هل رأيت مفاتيحي؟** أنا لست ربة منزل. لدي حياة وعمل خاص بي. أنت تجعلني أشعر بأنني غير محبوبة ومكروهة **وغير مرئية** و...».

نادرا ما أبكي لكن الآن لا أستطيع منع نفسي.

نادرًا ما يظهر آدم مودة هذه الأيام، كما لو أنه لا يتذكر كيف، لكنه يفعل أغرب شيء في ذلك الوقت، ويحتضنني.

يهمس: «أنا آسف».

وقبل أن أسأل عن الجزء الذي يعتذر عنه على وجه التحديد، قبلني. أمسك وجهي بيديه بالطريقة التي اعتدنا أن يقبل بها أحدنا الآخر عندما بدأنا المواعدة، قبل أن تفرقنا الحياة.

أشعر باحمرار خدي كما لو يُقبلني شخص غريب وليس زوجي.

لقد نجحت في الشعور بالذنب لفعل ما هو أفضل بالنسبة إليَّ. والشعور بالذنب هو أحد تلك المشاعر التي نادرًا ما تأتي مع مفتاح إيقاف. أشعر أحيانًا أنني بحاجة إلى الخروج من الحياة بالطريقة التي يخرج بها الآخرون من الفنادق. أوقع كل ما أحتاج إلى التوقيع عليه، أسلم مفاتيح الحياة التي أعيشها وابحث عن مكان جديد. مكان آمن. لكنْ ربما لا يزال يوجد شيء يستحق البقاء من أجله.

يقول آدم: «لقد كان يومًا طويلًا، وأعتقد أننا متعبان قليلًا».

– يمكننا التوجه إلى الطابق العلوي وإيجاد غرفة النوم، والنوم مبكرًا.

– ماذا عن كأس نبيذ أخرى أولًا؟

– فكرة جيدة. سوف أخرج الأطباق وأحضر الزجاجة.

لا أعلم لماذا تركها في المطبخ إذا كان يريد المزيد، لكن لا مانع من إحضارها. لم تكن الأمور حميمية بيننا هكذا منذ شهور. توقفت الموسيقى ويمكنني سماع صوت الريح من خلال أي شقوق وصدوع موجودة في جدران الكنيسة. الأرضية الحجرية شديدة البرودة ويبدو أنها تعض قدمي المتورمتين. أنا في عجلة من أمري للعودة إلى دفء الغرفة الأخرى، لكن شيئًا ما عن النوافذ ذات الزجاج الملون لفت انتباهي. عندما ألقي نظرة فاحصة عليها، فإنها تبدو غير عادية للغاية. لا توجد مشاهد دينية، لكنْ فقط سلسلة من الوجوه الملونة المختلفة.

أتجمد عندما يتحرك أحدها.

ثم أصرخ لأن الوجه الأبيض في النافذة حقيقي. شخص ما في الخارج وهو يحدق إليَّ مباشرة.

آدم

سألت وأنا أركض إلى المطبخ: «ما الخطب؟».

سمعت شيئًا يتحطم قبل أن تبدأ أميليا في الصراخ، ويمكنني رؤية أنها أسقطت زجاجة النبيذ الأحمر. توجد قطع من الزجاج على الأرضية الحجرية، وأمسكت بطوق بوب لمنعه من المشي عليها.

– ماذا حدث؟ هل أنتِ بخير؟

– لا، يوجد شخص ما في الخارج!

– ماذا؟ أين؟

قالت وهي تشير: «النافذة».

أمشي وأنظر في الظلام: «لا أستطيع رؤية أي شيء...».

قالت: «لقد ذهب الآن، ركض حالما صرخت».

وبدأت في التقاط قطع الزجاج المكسورة.

– سأخرج لألقي نظرة.

– لا، هل جننت؟ نحن في وسط اللامكان، من يدري من يمكن أن يكون هناك؟ اللعنة!

لقد جرحت إصبعها على قطعة حادة من الزجاج، وأصابني مشهد الدم بالغثيان. يمكنني الكتابة عن جميع أنواع الأشياء المروعة على الشاشة، لكنْ عندما يتعلق الأمر بالحياة الواقعية فأنا جبان.

أقول: «تفضلي». وأسلمها منديلًا نظيفًا.

أحاوط ذراعي حول أميليا وأمسكها بقوة، قريبة بما يكفي لشم شعرها. رائحة الشامبو المألوفة تثير ذكريات الأوقات السعيدة. لا أستطيع رؤية الأوجه الجميلة لكنني شعرت دائمًا كما لو أن لدي غريزة لرؤية الجمال الداخلي. عندما أفكر في الليلة التي التقينا فيها لأول مرة، ما زلت أتذكر كل شيء عنها بكل وضوح، وكيف أردت و**احتجت** إلى التعرف عليها بشكل أفضل. لطالما وثقت بحدسي عندما يتعلق الأمر بالناس ونادرًا ما أكون مخطئًا. يمكنني معرفة ما إذا كان شخص ما جيدًا أم سيئًا في غضون دقيقتين من مقابلته، ويميل الوقت والحياة إلى إثبات كوني على حق. تقريبًا دائمًا.

أقول مبتعدًا: «سأنظف هذا».

وأجد مجرفة وفرشاة في الخزانة الأولى التي أفتحها.

سألتني: «كيف عرفت أن هذا كان موجودًا هناك؟».

– تخمين محظوظ، أفترض. هل أنتِ بخير؟ هل تحتاجين إلى جهاز الاستنشاق الخاص بكِ؟

تعاني أميليا الربو، وفي بعض الأحيان يمكن أن تؤدي أغرب الأشياء إلى حدوث نوبة. ذات مرة كانت تنظر إلى معطف وردي في نافذة متجر لعدة أشهر. بدأت في الاحتفاظ بنقودها لتدخر ثمنه. اشترته وارتدته مرة واحدة وعندما خُفض سعره إلى النصف في اليوم التالي، كانت تعاني نوبة فعلية. لطالما كانت أميليا شخصًا يحسب حساب كل شيء بدقة، على الرغم من أنها لم تعد بحاجة إلى فعل ذلك.

تقول: «أردت حقًّا أن تكون هذه العطلة مثالية».

ويبدو أنها قد تبكي وتكمل: «أشعر بالفعل أن لا شيء يسير وفقًا للخطة...».

– انظري! إن هذا المكان مخيف بعض الشيء، احتسينا بعض النبيذ وكنا متعبين. هل تعتقدين أنكِ ربما تخيلته؟

استخدمت النبرة التي أتحدث بها للأطفال الصغار، أو المؤلفين المتباهين الذين لا يحبون سيناريوهات كتبهم، لكن يمكنني القول إنه لم يكن الشيء الصحيح الذي يجب عمله حتى قبل غضبها.

– لا، لم أتخيل واللعنة. كان يوجد وجه في النافذة بالخارج ينظر إليَّ مباشرة.

أقول وأنا ألقي بالزجاج المكسور في سلة المهملات: «حسنًا، أنا آسف! كيف كان يبدو؟».

– كان وجهًا.

– رجل؟ امرأة؟

– لا أعلم، حدث كل هذا بسرعة كبيرة... أخبرتك لقد ركض بمجرد أن صرخت.

– ربما كانت مدبرة المنزل الغامضة؟

تحدق أميليا إليَّ لكنها لا تجيب: «ماذا؟».

– ربما يجب أن نتصل بمدبرة المنزل ونخبرها أنه يوجد شخص ما بالخارج.

أقول: «ماذا تعتقدين أنها ستفعل حيال ذلك». لكنها لا تستمع وتبحث بالفعل عن هاتفها.

تقول ساخرة فيما تجده: «يا للروعة».

– لا توجد تغطية؟

– ولا حتى إشارة واحدة.

بوب الذي يبدو أنه يشعر بالملل من حديثنا، تجول خارج المطبخ وأسفل الممر باتجاه غرفة الأحذية حيث أتينا. لم نلاحظ ذهابه إلا عندما بدأ في الزمجرة على باب الكنيسة الخشبي القديم بأسنان مكشوفة وبغضب. إنها

المرة الثالثة التي يفعل فيها كلبنا العجوز شيئًا خارجًا عن طبيعته تمامًا منذ وصولنا.

أقول فيما أرتدي معطفي: «هذا يكفي. سأذهب إلى الخارج لإلقاء نظرة».

تهمس أميليا كما لو أن شخصًا ما قد يكون قادرًا على سماعنا: «من فضلك لا تخرج إلى هناك».

قلت وأنا أربط الحبل بطوق الكلب: «لا تكوني سخيفة، أملك بوب للحماية. أليس كذلك يا فتى؟».

يتوقف بوب عن الزمجرة ويهزُّ ذيله بمجرد سماع اسمه.

– بوب هو أسوأ كلب حراسة في العالم، إنه يخاف من الريش.

– نعم، لكنه لا **يعرف** ذلك. إذا **كان** هناك شخص ما، فسأخيفه ويمكننا بعدها فتح زجاجة نبيذ أخرى.

يتساقط الثلج في الداخل بمجرد فتحي للباب، ويسلب تدفق البرودة الهواء من رئتي. يذهب بوب هائجًا فيما يزمجر وينبح منفعلًا وهو يقود الطريق أمامي، لدرجة أنني أجد صعوبة في التمسك به. إن الجو حالك الظلام، وتصعب رؤية أي شيء على الإطلاق في البداية، لكنْ عندما أرمش بعيني في الظلام سرعان ما يتضح بشكل مرعب سبب غضب الكلب. في الخارج على بعد أمتار قليلة يوجد عدة أزواج من الأعين تحدق إلينا.

جلد

كلمة العام:

سارق كتب (biblioklept): شخص يسرق القصص، لص كتب.

28 من فبراير 2011 الذكرى السنوية الثالثة لنا.

عزيزي آدم

أظن أن معظم الأزواج يحتفلون بالذكرى السنوية لهم بمفردهم -طاولة لشخصين في مطعم مميز ربما- لكن هذا لا ينطبق علينا. ليس هذا العام. الليلة قضينا الذكرى السنوية مع عدة مئات من الغرباء، وشعرنا أن كل الأنظار مسلطة علينا.

لم أعلم قط أي شخص يكره الحفلات بقدر ما تفعل، ومع ذلك فإنك تذهب إلى الكثير مؤخرًا. لا أفترض أنك غير اجتماعي، وأفهم سبب خوفك منهم كثيرًا. تشكل التجمعات التي تضم أكثر من حفنة من الأشخاص مشكلة عندما لا تتمكن من التعرف حتى على وجه واحد. لذا فإن حفلة صناعة السينما الفاخرة في فندق تاور بريدج مع مئات الأشخاص المتغطرسين الذين يعتقدون جميعًا أنه عليك معرفة من يكونون، يجب أن تكون مثل المشي معصوب العينين في حقل ألغام ممتلئ بالنفوس المغرورة.

قالت المرأة بجوار الباب بابتسامة عريضة، ممسكة بلوح ورقي ممتلئ بالأسماء: «من فضلك ادخل مباشرة يا سيد رايت».

شاهدتها في أثناء فحصها بعناية لأسماء أشخاص آخرين من قائمتها المرمزة بالألوان، لكن لم تكن هناك حاجة إلى فحص اسمكَ. الجميع يعرف من تكون الآن -الوافد الجديد الذي انتهى به الأمر بالبقاء-. كتابة السيناريوهات عمل تظهر نتيجته في النهاية. لم يلحظك أي من هؤلاء الأشخاص عندما كنت أتعس حظًّا، لكنْ مع فيلم ضخم في يدك -بفضل رواية هنري وينتر- يريدون جميعًا أن يكونوا أفضل أصدقائك مجددًا. في الوقت الراهن.

كان السبب الذي دفعك إلى دعوتي إلى الحفلات الكبيرة والفعاليات ومراسم توزيع الجوائز هو أنني أستطيع إخبارك هامسةً هوية الأشخاص عندما يقتربون منا، لأوفر لك الإحراج من عدم التعرف على شخص ما عليك التعرف عليه. ليس الأمر كأنني أمانع. بل أنا أستمتع به تمامًا -على عكسك- من الممتع التأنق بين الحين والآخر وتصفيف شعري وانتعال الكعب العالي مجددًا. لا توجد دعوات كثيرة لهذه الأنواع من المناسبات عندما تعمل مع الكلاب طوال اليوم.

لدينا نظام جيد الآن. بعد بضع سنوات من الاستماع إليك تتحدث عن المنتجين والمديرين التنفيذيين والمخرجين والممثلين والمؤلفين، كنت قد تخيلت بالفعل مجموعة من وجوههم. لكنني الآن أعرف كيف يبدون جميعًا في الواقع، ونقضي أمسيات مثل هذه في الدردشة مع أشخاص من عالمكَ. نادرًا ما أملك قواسم مشتركة معهم، لكنني أجد أنه من السهل جدًّا التحدث عن الكتب والأفلام والمسلسلات التلفزيونية، الجميع يحب القصة الجيدة.

كنت أتطلع إلى رؤية ما بداخل فندق تاور بريدج للمرة الأولى، ولا يزال الوعد بتقديم شمبانيا مجانية وطعام فاخر من إعداد طاهٍ حائز على نجمة ميشلان أمرًا ممتعًا. ولكنني شعرت بالخوف من الدخول بمجرد أن اكتشفت اسم هنري وينتر في قائمة المدعوين. منذ تلك اللحظة كان من الواضح أن السبب الحقيقي الذي جعلنا نقضي الذكرى السنوية مع مجموعة من الغرباء هو تأملك بلقاء هنري وإقناعه بإعطائك كتابًا آخر. لقد طلبت بالفعل مرتين. قلت لك لا تتوسل، لكنك لا تستمع. إن الكتابة طريقة صعبة لعيش حياة سهلة.

كان فندق تاور بريدج مضاءً مقابل سماء لندن ليلًا عندما وصلنا. كانت الحفلة بالفعل على قدم وساق، إيقاع الموسيقى الخافت وصوت الضحك فوقنا، يتنافس مع الحركة الهادئة لنهر التايمز المظلم أسفلنا. بمجرد أن أوصلنا المصعد إلى الطابق العلوي استطعت القول إنها ستكون أمسية شائقة. كانت مساحة المكان أصغر مما تخيلت، أكبر بقليل من ممر طويل ممتلئ بأنواع أفلام. كان نادل يمر بصينية شمبانيا وكنت سعيدة بتخليصه من كأسين. بعد إجراء اختبار الحمل في ذلك الصباح للاحتياط، علمت أنه لا يوجد سبب لعدم الشرب. لقد توقفتُ عن إخبارك بالأخبار السيئة الشهرية، وتوقفتَ أنتَ عن السؤال.

همستَ: «ذكرى سعيدة».

وقرعنا كأسينا قبل أن تأخذ رشفة.

في المقابل أخذتُ عدة رشفات، حتى إن كأس الشمبانيا الخاصة بي كانت نصف فارغة بالفعل. أجد أن الكحول يساعد على التخلص من قلقي الاجتماعي، والذي ما زلت أعانيه في كل مرة أحضر فيها حدثًا كهذا. الجميع هنا يعرف من تكون. التوقعات الوحيدة التي لا تزال تكافح من أجل الوصول إليها هي توقعاتكَ. لكني لم أشعر قطُّ أنني أتوافق مع هؤلاء الأشخاص، ربما لأنني لا أتوافق معهم. أنا أفضل الكلاب. أخذت رشفة أخرى، ثم فعلت ما كنت هناك لأفعله وتفحصت الغرفة بمهارة، وعيناي تبحثان عما لا تستطيع عيناك رؤيته.

تبادلنا هدايا الذكرى السنوية هذا الصباح. أعطيتك حقيبة جلدية عليها الأحرف الأولى من اسمك منقوشة بالذهب. لقد رأيتك تحمل مخطوطاتك الثمينة في حقائب قبيحة لسنوات، لذا بدت كأنها هدية مناسبة. كانت هديتك لي زوجين من الأحذية الجلدية التي تصل إلى الركبة والتي كنت أريدها. اعتقدت أنني قد أكون أكبر من أن أنتعلها -في الثانية والثلاثين- لكن من الواضح أنك لم توافقني الرأي. انتعلتهما لأول مرة الليلة ولاحظت تحديقك إلى ساقي في سيارة الأجرة في طريقنا إلى الحفلة. كان من الجيد الشعور بكوني مرغوبة.

همستُ في أذنك فيما كنا نسير في طريقنا عبر الممر المزدحم برواد الحفلات: «أحدهم قادم».

سألتَ: «جيد، سيئ، أم قبيح؟».

- سيئ. المنتجة التي أرادت منكَ العمل على اقتباس رواية الجريمة الشهر الماضي... السيدة التي تعجرفت عندما رفضتها. ليزا؟ ليندا؟ ليز؟
- ليزي باركس؟
- نعم.
- اللعنة. كل حفلة يوجد بها شخص ليفسدها. هل تبدو غاضبة بعد؟
- نعم، جدًّا.
- هل رأتنا؟
- نعم.
- اللعنة. تلك المرأة تعامل الكُتَّاب مثل المصانع وأعمالهم مثل علب الفاصولياء المطبوخة. لم يكن حتى كتابها لتجعلني أقتبسه. إنها سارقة كتب متحركة...
- إنذار!
- عزيزتي ليزي، كيف حالكِ؟ تبدين رائعة.

قلتَ بهذا الصوت الذي تستخدمه فقط عند التحدث إلى الأطفال الصغار أو الأشخاص المتغطرسين. أتمنى ألا تتحدث معي بهذه الطريقة أبدًا، سأكون مستاءة إذا فعلت ذلك.

لقد قبلتما الهواء بجانب خد أحدكما الآخر، وتفاجأت بكيفية فعلك ذلك. يبدو الأمر كما لو أن لديك مفتاحًا، ومن الواضح أنني لا أستطيع إيجاده. تصبح نسخة مختلفة عن نفسك في الحفلات، الشخص الذي يحبه الجميع: ساحر، مُجامِل، ذكي، محبوب، مركز اهتمامهم. لا تشبه مطلقًا الرجل الخجول والهادئ الذي أعرفه والذي يختفي في عزلة الكتابة الجديدة بل والجميلة الخاصة به كل يوم. كان الأمر أشبه بمشاهدة أداء. أحب جميع الإصدارات المختلفة منك، لكنني أفضل آدم، الشخص الحقيقي الذي لا يمكن لأي أحد رؤيته سواي.

- أحدهم قادم.

همستُ مجددًا، بعد أن استمتعت بطبق المحار المطبوخ جيدًا، مغطى بقليل من هريس البازلاء، ومُقدم على مصادفة صغيرة، ويُؤكل بملعقة فضية صغيرة.

سألتَ: «مَن الآن؟».

كنت أعرف الرجل: «ناثان».

شاهدتكَ تصافح يده واستمعتُ فيما كنت تتحدث عن عملك. رئيس الاستوديو الذي يستضيف الحفلة هو أحد هؤلاء الرجال الذين يختلطون بكل من في المكان. ينظر باستمرار فوق كتفه أو كتفك ليرى من يمكنه أو ينبغي له التحدث معه. لقد كان رجلًا يحب فرض الضرائب على الفرح، ودائمًا ما يسحب القليل مما يملكه شخص آخر من أجل زيادة ما لديه. لقد عرَّفتني إليه وشعرت بنفسي أنكمش قليلًا تحت نظرته.

سأل: «وماذا تعملين؟».

لقد كان سؤالًا كرهتُه. ليس بسبب الإجابة لكنْ بسبب ردود الآخرين عليها.

قلت وجعلت وجهي يبتسم: «أنا أعمل لدى مأوى باترسي للكلاب».

- يا إلهي. هنيئًا لكِ.

قررت ألا أشرح كيف أو لماذا لم يكن هنيئًا لي أن الكثير من الناس كانوا قساة أو غير مسؤولين عندما يتعلق الأمر بالحيوانات. اعتقدت أيضًا أنه من الأفضل تجاهل نبرته المتعالية. لقد تعلمت أن أكون مهذبة دائمًا: لا يمكنك عبور الجسر إذا أحرقته. لحسن الحظ مضت المحادثة والرفقة كما هي الحال دائمًا في هذه المناسبات، ووجدنا نفسينا وحدنا أخيرًا.

همستَ: «هل يوجد أي علامة على وجوده؟».

لم أكن بحاجة إلى أن أسأل عمن تتحدث: «أخشى أنه لا يمكنني رؤيته. يمكننا تجربة الجانب الآخر».

توجهنا إلى الممر الثاني، وهو نفق يربط أحد الأبراج بالآخر فوق الجسر الشهير. كان منظر نهر التايمز ولندن المضاء في الأسفل مذهلًا.

سألتَ مجددًا: «هل يمكنكِ رؤية هنري الآن؟».

وبدوت حزينًا جدًّا عندما قلت إنني لا أستطيع. مثل طفل صغير تجاهلته فتاة أحلامه.

كان هناك طابور غير مرئي من الأشخاص الذين يستعدون للانقضاض عليك طوال المساء، في انتظار فرصتهم ليقولوا مرحبًا، المنتجون الذين أرادوا العمل معك، والمديرون التنفيذيون الذين تمنوا أنهم لم يكونوا قساة معك في الماضي، وغيرهم من الكُتَّاب الذين تمنوا لو كانوا أنت. بدأت قدماي تؤلمانني لذلك شعرت بالسعادة -وكذلك الدهشة- عندما اقترحت المغادرة مبكرًا.

أوقفتَ سيارة أجرة سوداء، وقبلتني بمجرد جلوسنا في المقعد الخلفي. تحسستْ يدك الجزء العلوي من حذائي الجلدي الجديد.

احتسينا الويسكي لاحقًا في السرير، وتحدثنا عن الحفلة وجميع الأشخاص الذين التقيناهم الليلة: الجيد منهم والسيئ والقبيح.

سألتُ: «هل ما زلت تحبني بقدر ما كنت تفعل عندما تزوجنا؟».

أجبت بابتسامة لعوبة: «كليًّا».

إنها إحدى الكلمات المفضلة لديك. بدوت وسيمًا لدرجة أن كل ما أمكنني فعله هو الضحك.

أنا أحبك كليًّا أيضًا، لكنني لم أذكر أنني رأيت هنري وينتر عدة مرات خلال المساء، مرتديًا سترته الصوفية ذات العلامة التجارية وربطة عنق، ويظهر تعبير غريب على وجهه المجعد. لقد بدا أكبر سنًّا مما هو عليه في صوره. بشعره الأبيض الكثيف وعينيه الزرقاوين وبشرته الشاحبة للغاية، كان الأمر أشبه برؤية شبح. لم أخبرك أن مؤلفك المفضل كان يحدق إلينا، ويتابعنا باستمرار في جميع أنحاء الحفلة، ويحاول يائسًا لفت انتباهك.

ثلاث سنوات والكثير من الأسرار.

هل لديك أشياء تخبئها عني أيضًا؟

كل حبي

زوجتك

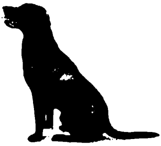

أميليا

يضحك آدم عندما تبدأ الأغنام خارج باب الكنيسة بالثغاء. حتى إنني أجد صعوبة في عدم الابتسام وهو يسحب بوب -الذي لا يزال ينبح كالمجنون- إلى الداخل.

عندما رأينا مجموعات الأعين الكثيرة التي تحدق إلى اتجاهنا في البداية، بدا الأمر كأنه مشهد من فيلم رعب، لكن كشاف آدم سرعان ما كشف أن الجيران الفضوليين الوحيدين الذين كانوا يختبئون خارج الكنيسة هم قطيع الأغنام الصغير الذي مررنا به في طريقنا سابقًا. ربما تبعتنا هنا على أمل أن يطعمها شخص ما. وامتزجت أجسادها في الظلام بالطبقة السميكة من الثلج الأبيض التي غطت كل شيء منذ وصولنا، بحيث كان كل ما يمكننا رؤيته هو أعينها.

يقول آدم وهو يخلع معطفه مجددًا: «سنضحك على هذا يومًا ما».

لست متأكدة من ذلك.

ما زلت أرتدي سترتي -أنا أتجمد- وأراقبه فيما يغلق دفتَي الباب الأمامي بمفتاح قديم عملاق. لم أره من قبل، لكنني متعبة للغاية، لذا ربما كان موجودًا طوال الوقت ولم ألاحظه. لقد كنت أخطط لهذه الرحلة منذ فترة طويلة، ولم أستطع الانتظار حتى أذهب وعمليًّا ضايقته ليأتي إلى هنا، لكنني الآن أشعر بالحنين إلى المنزل بغرابة.

إن آدم زاهد معترف بذاته. إنه أسعد ما يكون في عزلة كتاباته مع شخصياته، ويختفي كليًّا داخل العالم الخيالي في رأسه، وهو يكافح أحيانًا ليجد طريقه للخارج مجددًا. أقسم إننا لم نكن سنذهب إلى أي مكان إذا لم يكن الأمر عائدًا إليَّ. إنه فخور بمنزلنا، وأنا كذلك، لكن هذا لا يعني أننا يجب ألا نغادره أبدًا. المنزل الفيكتوري المنفصل ذو الواجهة المزدوجة في قرية هامبستيد مختلف جدًّا عن عقارات المجلس التي نشأ فيها، لكن آدم لا يخبر الناس عن هذا الجزء من ماضيه. إنه لا يعيد كتابة تاريخه فحسب، بل يحذفه.

لا أشعر دائمًا بانتمائي إلى مثل هذا الركن الثري من لندن، لكنه يناسبه تمامًا، رغم تركه للمدرسة في سن السادسة عشرة للعمل في السينما، مع طموح كبير وافتقار إلى شهادات الثانوية العامة. لكن الجميع يحب المُحَاوِل، ولم يتعلم آدم قط كيف يستسلم. يوجد مُخرج مسرحي على بعد بابين من منزلنا، ومذيع أخبار عن يميننا، وممثلة مرشحة لجائزة الأوسكار تعيش في الجوار عن اليسار. يمكن أن يكون الأمر مخيفًا، القلق بشأن من قد أصطدم به عندما أمشي مع الكلب. لدي القليل من القواسم المشتركة مع جيراننا العصاميين على عكس زوجي. لا يعني ذلك أنني أمتلك أي شيء ضد الوصوليين -فقد وجدت دائمًا أنه كلما صعدت إلى مستوى أعلى في الحياة، أصبح المنظر أفضل-. لكن في بعض الأحيان يجعلني نجاحه أشعر بالفشل. آدم هو الصفقة الرابحة هذه الأيام، فيما لم أكن أكثر من مسودة أولى؛ عمل قيد الإنجاز.

يقبلني على جبهتي بلطف، مثل تقبيل أحد الوالدين لطفله قبل النوم وإطفاء الأنوار. كانت هناك مرات كثيرة مؤخرًا جعلني أشعر كأنني لست جيدة بما فيه الكفاية. لكن ربما كنت فقط أُظهر قلقي. ربما لا يزال يهتم.

يقول: «لا حاجة إلى الشعور بالحرج».

وأخشى أنني ربما كنت أفكر بصوتٍ عالٍ.

- بشأن ماذا؟

- تخيلكِ وجهًا في النافذة وتحطيم زجاجة النبيذ الجميلة هذه.

يبتسم لي وأجعل وجهي يبادله الابتسامة، حتى يقول: «أنتِ فقط بحاجة إلى الاسترخاء».

كلما طلب مني زوجي الاسترخاء، يميل هذا إلى أن يكون له تأثير معاكس. لا أقول أي شيء -لن يأخذني على محمل الجد إذا فعلت- لكنني لا أعتقد أنني تخيلت الوجه في النافذة. فعلى عكسه أنا أعيش في الواقع بدوام كامل. أنا متأكدة مما رأيته -شبه مؤكد- ولا يبدو أنني قادرة على التخلص من الشعور بأنني مُراقَبة.

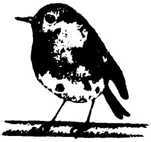

روبين

تراجعت روبين من نافذة الكنيسة بمجرد أن رأتها المرأة بالداخل، لكن بعد فوات الأوان. ركضت روبين عندما بدأت المرأة في الصراخ.

لقد مضى وقت طويل منذ أن أتى أي شخص لزيارة بلاك ووتر. مضى أكثر من عام منذ أن رأت أي شخص غير متوقع هنا، بصرف النظر عن الرحالة الموسميين - تائهين رغم كل الأدوات والمعدات التي يحملونها هذه الأيام- ويوجد دائمًا الكثير من الغزلان والأغنام في الوادي. لكن لا يوجد أناس. إنه مكان منعزل وبعيد جدًّا عن المسار الممهد لزيارة معظم السياح، وحتى السكان المحليين يعرفون أن عليهم البقاء بعيدًا. لطالما اشتهرت بحيرة بلاك ووتر والكنيسة المجاورة لها بقدر ما تتذكر، ولم تكن هذه السمعة جيدة على الإطلاق.

لحسن الحظ تحب روبين البقاء وحدها ولا تخشى الأشباح. لطالما كان الأحياء مصدر قلق لها، ولهذا السبب كانت تراقب الزائرين وكلبهما منذ وصولهما.

علمت روبين بقدوم عاصفة لذلك كانت متفاجئة عندما مرا بالقرب من كوخها الصغير المصنوع من القش في نهاية الطريق. لم تعتقد أن أي شخص سيكون مجنونًا بما يكفي لسلك الطريق الساحلي أو المخاطرة بالممرات الجبلية في هذا الطقس. لا تمتلك روبين تلفازًا، لكنْ وُجِدَت الكثير من التحذيرات على المذياع، ولم تكن بحاجة إلى أن تكون خبيرة أرصاد جوية

للنظر خارج النافذة. لقد كان الجو غائمًا وشديد البرودة لعدة أيام، تمامًا كما هي الحال دائمًا قبل تساقط الثلج. لقد أمضت روبين عدة سنوات من حياتها تعيش في المرتفعات، لذا فهي تعلم ألا تثق بالطقس الاسكتلندي، فلديه إيقاع خاص به ولا توجد قواعد. عندما تكون هناك عاصفة قادمة، يخصص جميع السكان المحليين الوقت للاستعداد واتخاذ الاحتياطات اللازمة، لأنهم يعلمون من التجارب السابقة أن ذلك يعني أن السبل قد تتقطع بهم أو سيظلون محاصرين داخل منازلهم لعدة أيام. لن يأتي أي شخص عاقل إلى هنا في هذا الوقت من العام، إلا إذا أراد الانفصال عن بقية العالم.

كانت روبين تراقب من النافذة في كوخها مختبئة خلف ستائرها، ومدهوشة برؤية سيارة الزائرين وهي تقترب. كانت شيئًا قديمًا باللون الأخضر مثل النعناع، وتبدو كأنها تنتمي إلى متحف وليس إلى الطريق. تمكنهما من الوصول إلى بلاك ووتر لم يكن أقل من معجزة أو لغز. لم تستطع روبين أن تقرر أيهما.

راقبتهما وهما يمضيان في الطريق باتجاه الكنيسة، قبل وقوفهما بخطر بالقرب من حافة البحيرة. كان الظلام يعم الأرجاء. وتهب الرياح ويتساقط الثلج بقوة، لكن بدا الزائران غافلين عن الخطر. كانت الكنيسة على بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام من كوخها، لذلك تبعتهما لإلقاء نظرة من كثب، وحافظت على مسافة بينها.

شاهدتهما روبين وهما يترجلان من سيارتهما، وكانت سعيدة برؤية الكلب الأسود الكبير يقفز من صندوق السيارة. لطالما كانت مولعة بالحيوانات، لكن الأغنام ليست الأفضل عندما يتعلق الأمر بالرفقة. حتى على بعد أمتار قليلة اعتقدت أن الرجل بدا متعبًا وغير سعيد، لكن تميل الرحلات الطويلة إلى أن يكون لها هذا التأثير في الناس، وكلاهما بدا كأنهما على متن واحدة. وقفت روبين ساكنة تمامًا فيما سار الزوجان وكلبهما إلى الكنيسة القديمة، فقط ليجدا الباب مغلقًا ولا يوجد أحد هناك لاستقبالهما. بدا كلاهما واهنين جدًّا ومهزومين. كان على شخص ما السماح لهما بالدخول.

كانت المرأة هي التي تقود السيارة، وكانت روبين مفتونة بكل شيء بها: الملابس العصرية التي تلبسها، وشعرها الأشقر الطويل، ومستحضرات

التجميل التي وُضعت بخبرة. لم تملك روبين أي شيء جديد لارتدائه لسنوات، فهي تلبس لتشعر بالدفء والراحة. لا يوجد شيء في خزانة ملابسها غير مصنوع من القطن أو الصوف أو التويد. ترتدي في معظم الأيام زيًّا من القمصان ذات الأكمام الطويلة تحت معطفها القديم، إلى جانب زوجين من الجوارب المحاكة للحفاظ على قدميها دافئتين. تملك روبين شعرًا طويلًا وأشيب الآن، وهي تقصه بنفسها عندما يصبح التشابك مزعجًا للغاية. خداها الورديان ناتجان عن الرياح الباردة وليس أحمر الخدود، وحتى إنها تجد صعوبة في تذكر وقت لم تكن تعيش فيه بهذه الطريقة.

شاهدتهما روبين وهما يدخلان، ثم تجولت حول الكنيسة الصغيرة وهي تنظر من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون. تمنت لو تسمع ما يقولانه لكن الريح سرقت كلماتهما من أذنيها. كانت الطبقات التي ترتديها تؤتي ثمارها لكنها لم تكن محصنة ضد البرد، أو الفضول. رغم الغبار الذي استقر منذ آخر مرة سكن فيها شخص ما هنا، سرعان ما بدا أن الزائرين اعتبرا نفسيهما في المنزل. أشعلا الشموع والنار التي أُعِدَّت لهما، وسخنا بعض الطعام، وشربا بعض النبيذ. تمدد الكلب على السجادة وكاد الزوجان يمسك أحدهما بيد الآخر عند نقطة ما. بالنظر من الخارج بدا كأنه مشهد رومانسي تمامًا. لكن يمكن أن تكون المظاهر خادعة، الجميع يعرف ذلك.

لم يبدوا **خائفين** على الإطلاق.

تساءلت عما إذا كان ذلك بسبب وجودهما معًا. يمكن أن يبدو العالم أقل رعبًا عندما لا تضطر إلى مواجهته بمفردك. لكن الحياة إذًا هي لعبة خيارات، وبعض خيارات روبين كانت خاطئة. يمكنها الاعتراف بذلك الآن، حتى لو كان لنفسها فقط لأنه لم يعد لديها من تخبره بذلك. عندما شاهدت الزوجين يبدآن بالاسترخاء داخل الكنيسة عرفت أنهما اتخذا خيارات سيئة أيضًا. وربما كان المجيء إلى هنا على رأس القائمة.

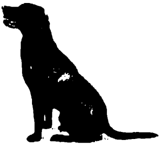

أميليا

يقول آدم: «ما الخطب؟».

إنه سؤال يسأله زوجي كثيرًا دون رغبة في معرفة الإجابة.

أجبت: «لا شيء. ماذا الآن؟».

ونحن نقف في غرفة الأحذية ويحدق أحدنا إلى الآخر. ألقي نظرة على انعكاسي في بعض المرايا الصغيرة على الحائط ثم أنظر بعيدًا. هذا المكان يشبه العالم في «أليس في بلاد العجائب» وهذا لا يروق لي، الفرق الوحيد هو عدم وجود أرنب أبيض.

يقول آدم: «كنت أتطلع إلى شرب كأس نبيذ أخرى لكنكِ حطمتِ هذه الفكرة عندما أسقطتِ الزجاجة...».

– حسنًا، قلت إن القبو كان ممتلئًا بها. يمكننا فقط فتح زجاجة أخرى...

– هذا صحيح، وقد حان دوركِ للنزول إلى هناك.

– ماذا؟

– بمجرد أن تري أنه لا يوجد شيء مخيف، ستتوقفين عن الشعور بالخوف.

لستُ متأكدة من أنني أتفق مع منطقه، لكن لدي عزيمة نسوية، ويمكنني فعل أي شيء يمكن لزوجي فعله أيضًا. لذا رغم كوني لا **أريد** النزول إلى القبو، فإنني سأفعل. لإثبات وجهة نظر وكذلك للحصول على بعض الكحول الذي أحتاج إليه بشدة الآن.

لاحظت أن آدم يغلق كل باب خلفنا فيما نعود نحو المطبخ، كأننا نحاول إبقاء شيء ما بالخارج. رغم تأكدي من أنه ربما يحاول فقط الحفاظ على درجة حرارة المكان. عندما نصل إلى غرفة المؤن، يفتح الباب السري على الأرض، وتهاجم حواسي على الفور رائحة رطبة ومتعفنة.

سألته: «ما هذه الرائحة؟».

يهز كتفيه: «رطوبة».

إنها أكثر رائحة نفاذة واجهتها من قبل.

أقول: «مرر لي الكشاف».

– نفدت البطارية بالكامل، لكنْ يوجد مفتاح إضاءة هناك. إنه على اليمين بمجرد وصولكِ إلى الأسفل.

يبقي آدم الباب السري مفتوحًا فيما أبدأ بنزول الدَرج. لا يوجد حاجز حديدي يمكنني التمسك به، لذلك أتحسس الحائط في طريقي إلى الأسفل. الجو ليس باردًا فحسب، بل رطبًا أيضًا. قد يكون لزج وصفًا أكثر دقة. تجد أصابعي المفتاح، وتدب الحياة في المصباح الفلوري القبيح في السقف، مما يخلق توهجًا أخضر غريبًا. صوت الطنين الذي يصدره مريح بغرابة.

كان آدم على حق، لا وجود للأشباح أو الجرغول، لكن المكان بالتأكيد **يبدو** مخيفًا. كل شيء مصنوع من الحجر قديم المظهر -الجدران والسقف والأرضية- والطقس بارد للغاية هنا لدرجة أنني أستطيع رؤية أنفاسي. أحصي ثلاث حلقات معدنية صدئة مثبتة في الجدار، وأبذل قصارى جهدي حتى لا أفكر فيما استُخدمت من قبل. رصدت رفوف النبيذ من بعيد وأسرعت لإلقاء نظرة من كثب، حريصة على العودة إلى الطابق العلوي. بعض الزجاجات مغطاة بالكثير من الأوساخ والغبار، ومن المستحيل قراءة الملصقات عليها، لكني لاحظت زجاجة تشبه نبيذ مالبيك.

ثم انطفأت الأنوار.

أنادي: «آدم؟».

انغلق الباب السري فوقي.

أصرخ: «آدم!».

لكنه لا يجيب، وكل ما يمكنني رؤيته هو الظلام.

روبين

لم تخف روبين من الظلام أو العواصف قط. أو الأشياء الغريبة التي تحدث أحيانًا في كنيسة بلاك ووتر. لكنْ على عكس الزائرين فإن روبين دائمًا مستعدة.

في وقت سابق اليوم ذهبت برحلة شهرية إلى المدينة للحصول على كل ما تحتاج إليه. تستغرق الرحلة عبر الوادي والجبال ما يزيد قليلًا على ساعة ذهابًا وإيابًا، ولم يكن التسوق أحد الأشياء المفضلة لدى روبين قط. لم تعد تملك مهارة التعامل مع الناس؛ فالعيش وحيدًا لفترة طويلة يمكن أن يفعل ذلك لشخص ما. إن عزلة حياتها هي شيء تعلمت التعايش معه، لكنها لا تزال قلقة بشأن الأصوات الغريبة التي يصدرها فمها هذه الأيام في المناسبات النادرة عندما تفتحه. لذلك تميل إلى إبقائه مغلقًا.

أن تكون خجولًا وغير ودود ليسا الشيء نفسه، لكنْ للأسف لا يستطيع معظم الناس معرفة الفرق.

شهدت سيارة اللاند روفر القديمة الخاصة بها أيامًا أفضل -تمامًا مثل مالكتها- لكنْ على الأقل من السهل قيادتها ويمكن الاعتماد عليها حتى في أسوأ أنواع الطقس. «المدينة» هي في الحقيقة أقرب قرية. مكان هادئ يسمى هولوجروف على الساحل الغربي المتوحش الاسكتلندي. وهو يتألف من مجموعة من المنازل و «متجر محلي». المتجر -الذي يعمل مكتب بريد- يخزن فقط المنتجات الأساسية في أفضل الأوقات. يبدأ الجميع في الشراء

بذعر عندما يعلمون بقدوم عاصفة، والكثير من الرفوف كانت فارغة بالفعل. نفدت كل من الفاكهة والخضروات الطازجة، وكذلك الخبز ولفائف ورق المرحاض. لم تكن تفهم سبب احتياج الناس إلى تخزينها.

اشترت روبين آخر نصف لتر من الحليب، وبعض الجبن وبعض أعواد الثقاب والشموع، وست علب من حلقات السباغيتي من شركة هاينز. كان لديها ما لا يقل عن عشرين علبة من الفاصولياء المطبوخة من الشركة نفسها في المنزل بالفعل، وخزانة مملوءة لا يوجد بها شيء عدا اليوسفي المعلب من شركة ديل مونتي، إلى جانب علب كرتونية كافية من الحليب طويل الأجل لتغذية مدرسة ابتدائية كاملة. خياراتها الغذائية لا علاقة لها بالعاصفة. تحب روبين الطعام المعلب. وهي تحب أن يكون لديها دائمًا ما يكفي منه مُخزن بنظام في المنزل لتعلم أنها لن تتضور جوعًا في أي وقت قريب.

أضافت البرطمانات القليلة الأخيرة من طعام الأطفال على الرفوف إلى سلتها. توقفت المرأة التي تقف خلف درج الخزينة مؤقتًا قبل مسح البرطمانات ضوئيًّا -كما هي الحال دائمًا- وشعرت روبين بأنها تنكمش قليلًا تحت وطأة تحديقها. لطالما كانت تشتري طعام الأطفال في هذا المتجر منذ فترة طويلة، لكنَّ الناس يعرفون أنه ليس عليهم السؤال عن طفل رضيع. كانوا يعلمون جميعًا أنها لا تملك أطفالًا.

تُقرأ شارة اسم البائعة: باتي. إلى جانب وجه المرأة، جعل ذلك روبين تفكر في لحم البرجر النيئ، مما جعلها تشعر بالغثيان. كانت باتي في الخمسينيات من عمرها لكنها بدت أكبر سنًّا بملابسها الرثَّة ومئزرها الأحمر. كان شعرها أشقر صبيانيًّا فوضويًّا، وبشرة شاحبة وظلال داكنة تحت عينيها الخرزيتين. لاحظت روبين أن المرأة كانت تستمر بابتلاع ريقها دون أي سبب، الأمر الذي أدى إلى إبراز فكها المتدلي. كانت باتي شخصًا غارقًا في الثرثرة والشفقة على الذات. لم تقصد روبين الحكم على المرأة التي كانت تحكم عليها في المقابل، فقد كانت تميل إلى الابتعاد عن البشر الوقحين أو غير الطيبين، وقد شهدت أن باتي كلاهما على حد سواء. ارتدت المرأة حدة طباعها كالشارة؛ كالشخص الذي يكتب مراجعات الكتب ويقيمها بنجمة واحدة.

فكرت روبين في إلقاء التحية، وهي تعلم أن هذا ما يفعله «الأشخاص العاديون». لكنْ إذا كان هناك اختبار حقيقي للطف، فمن الواضح أن باتي ستفشل في كل مرة. لذلك رغم أن روبين كانت تتوق أحيانًا إلى بدء محادثة، فقط لمعرفة ما إذا كان لا يزال بإمكانها ذلك، فإن باتي كانت شخصًا لا تهتم بالتحدث معه.

بحلول وقت عودة روبين إلى الكوخ، كانت الكهرباء قد انقطعت بالفعل، وبات المكان مظلمًا وباردًا. لم يكن كبيرًا، كان مبنى حجريًّا صغيرًا يضم غرفتين وسقفًا من القش ومرحاضًا خارجيًّا. لكنه كان مِلكها. وكان أقرب ما يمكنها أن تطلق عليه كلمة منزل في هذه الأيام. بُنِي الكوخ يدويًّا منذ أكثر من مائتي عام، للكاهن الذي كان يعتني بالكنيسة عندما كانت لا تزال تُستَخدم لغرضها الأصلي. وقد انهارت بعض الجدران الحجرية البيضاء السميكة في بعض الأماكن، لتكشف عن طوب من الجرانيت الداكن. لا تزال بصمات أصابع الرجال الذين صنعوها مرئية بعد مرور قرنين من الزمان، وتسعد روبين دائمًا للاعتقاد بأنه لا أحد يختفي تمامًا. كلنا نترك جزءًا صغيرًا من أنفسنا وراءنا.

كانت والدة روبين تنام أحيانًا في هذا الكوخ. منذ سنوات مضت، عندما كانت روبين مجرد طفلة وكانت الأمور... صعبة في المنزل. كان لدى والدتها مفتاح وتأتي إلى هنا كلما أرادت الهرب أو الاختباء. لقد كانت امرأة سعيدة محاصرة داخل امرأة حزينة. اعتادت حب الغناء والطهي والخياطة، وتمتعت بقدرة رائعة على جعل كل شيء -بما في ذلك نفسها- يبدو جميلًا. حتى هذا الكوخ الصغير الحزين. كانت روبين تتبعها إلى هنا، إذ كانت تنحاز دائمًا إلى جانب والدتها في أي جدال، وكانتا تجلسان معًا أمام النار. تريح كل منهما الأخرى دون كلمات، وتنتظران انتهاء العاصفة الزوجية الأخيرة. أصبح المكان مأوى متداعيًا لكليهما. لقد جعلتاه مريحًا، مع ستائر ووسائد محلية الصنع، وشموع للإضاءة وبطانيات للدفء. لكن كل ذلك كان انتهى منذ فترة طويلة عندما عادت روبين بعد سنوات. تمامًا مثل والدة روبين. لا شيء سوى غبار الذاكرة.

القش أحدث قليلًا من جدران الكوخ، ولا يخلو من الثقوب، لكنْ يمكن إصلاحها عندما يصبح الطقس أكثر دفئًا. وهو ما سيحدث، لأنه يصبح دافئًا

دائمًا. هذا هو الشيء الذي تعلمته روبين عن الحياة الآن بعد أن أصبحت أكبر سنًّا: العالم يستمر في الدوران، والسنوات تمر، بصرف النظر عن مدى رغبتها في العودة بالزمن إلى الوراء. تتساءل كثيرًا عن ذلك: لماذا يتعلم الناس عيش اللحظة فقط عندما تمر تلك اللحظة.

لا تملك روبين الكثير من الأثاث. سريرها مصنوع من سلسلة من الألواح الخشبية التي وجدتها على جانب الطريق، لكنه مريح بشكل مدهش بفضل الطبقة السميكة من البطانيات الصوفية والوسائد محلية الصنع. في الغرفة التي بها مدفأة -حيث تقضي معظم وقتها للتدفئة- توجد طاولة صغيرة ذات ساق متزعزعة، وكرسي جلدي قديم بذراعين حصلت عليه من حاوية نفايات في جلينكو. كان امتلاك متعلقاتها الخاصة أكثر أهمية بالنسبة إلى روبين من شكلها أو من أين أتت. لم تملك الكثير عندما وصلت إلى هنا، فقط حقيبة ملآنة بأغراضها المفضلة. تركت روبين كل شيء آخر خلفها.

جميع الأطباق وأدوات المائدة والأكواب والكؤوس الموجودة في المنزل مستعارة -وقد يقول البعض إنها مأخوذة- من المقاهي والحانات التي زارتها في المرتفعات. لم تعتبر روبين الأمر سرقة قط عندما أدخلت الأغراض المتسخة في حقيبتها، لأنها كانت تترك بقشيشًا دائمًا. لقد أخذت دفتر ضيوف من مطعم صغير لشرب الشاي ذات مرة، رغم أنها لم تكن متأكدة من السبب. ربما كل الرسائل الودية المكتوبة بخط اليد بداخلها جعلتها تشعر بوحدة أقل. جمعت روبين كل الأشياء التي **احتاجت إليها** قبل نفاد المال. لم تملك كل ما **أرادته**، لكن تلك كانت قصة مختلفة. احتفظت بالنقود التي تركتها لحالات الطوارئ فقط، وكانت هذه بالتأكيد واحدة من تلك الحالات.

ومع استمرار انقطاع الكهرباء في المستقبل القريب، أشعلت بعض الشموع قبل إشعال نار صغيرة في الموقد للحصول على الدفء. ثم سخنت علبة من الفاصولياء المطبوخة فوق النيران. الوجبات الساخنة مهمة في الطقس البارد، وهذه ليست المرة الأولى التي تطهو فيها روبين لنفسها في أثناء العاصفة. ستغسل العلبة عندما تفرغ وتحفر عينين وابتسامة فيها، ثم تستخدمها حامل شموع. توجد علب صفيح على شكل وجوه في جميع أنحاء منزلها الصغير. بعضها سعيد وبعضها حزين وبعضها غاضب.

تلبس قفازين واقيين من الحرارة غير متطابقين وتزيل العلبة من فوق النار وتأكل الفاصولياء الساخنة مباشرة من العلبة. فهذا يوفر الوقت والغسيل. تفتح مرطبانًا يحتوي على طعام الأطفال عندما تنتهي من تناول العشاء وتضع محتوياته في وعاء. هي تعلم أنه سيأكل عندما يجوع.

ترتاح روبين وتجلس على الكرسي الجلدي القديم. تلبس قفازين دون أصابع في الداخل، لكن يديها ما زالتا متجمدتين. ألقت قطعة خشب أخرى على النار ثم بحثت داخل جيب سترتها عن الغليون الخشبي، متمسكة به كصديق قديم. لم يكن ملكها دائمًا، بل كان شيئًا آخر اقترضته. أحيانًا يكفي الشعور به، لكنْ ليس الليلة. أخرجته مع علبة صغيرة مستديرة من التبغ. إنه غليون راتراي صنع في اسكتلندا، مثلها تمامًا. بجعة سوداء كلاسيكية.

فتحت العلبة، ورشت ثلاث رشات من التبغ مثلما **علمها** عندما كانت طفلة صغيرة. يبدو الأمر كأنه بناء عش بالريش قبل حرقه. يسقط بعض التبغ على حجرها، حيث يبقى مهجورًا بأيدٍ غير مستقرة. تلاحظ الجلد الجاف والأظفار المقضومة وهي تشعل عود ثقاب، فتغمض عينيها لفترة وجيزة لتخفي نفسها عن نفسها، فيما تستمتع برائحة الغليون ودفعة النيكوتين التي تشتهيها طوال اليوم.

تحدق روبين إلى الكنيسة من بعيد. تستطيع رؤية الأضواء لا تزال مضاءة من نافذتها. ولا تزال الكنيسة تتمتع بالتيار الكهربائي على عكس كوخها الصغير، لأن المالك عانى الكثير من العواصف الاسكتلندية وركَّب مولدًا كهربائيًّا قبل بضع سنوات. رغم عدم تأثيره. تستمع إلى المذياع في أثناء انتظارها، روبين تجيد الانتظار. الصبر هو الجواب عن الكثير من أسئلة الحياة. تجلس وتنتظر، حتى عندما يكون الغليون فارغًا والنار قد احترقت. تستمع إلى الأصوات في المذياع -المألوفة مثل الأصدقاء القدامى- فيما يبلغون أن العاصفة قد أدت بالفعل إلى العديد من حوادث الطرق. تتساءل روبين عما إذا كان الزائران يعرفان مدى حظهما في الهروب من الحوادث، حيث تمكنا من الوصول إلى هنا قطعة واحدة. عندما تنظر من النافذة مرة أخرى وترى أن الكنيسة غارقة في ظلام دامس، تعتقد أن حظ الزائرين الجيد قد يكون على وشك التغير.

ربما نفد كليًّا، الوقت وحده كفيل بإثبات ذلك.

تسمع روبين شيئًا ما بعدها، خطوات صغيرة في الظلام خلفها. وعاء طعام الأطفال فارغ. لقد لُحس بالكامل وهذا يجعلها سعيدة. الرفقة مهما كانت هي رفقة، بأي شكل تتمثل فيه.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

أميليا

أشعر بالجنون لتفكيري في ذلك، لكني لا أعتقد أنني وحدي في القبو. أحاول جعل عينيَّ تتأقلمان مع الظلام، وأدور في الأرجاء لكني لا أستطيع رؤية **أي شيء**. أتخيل الجدران تقترب مني، وأعتقد أنني سمعت اسمي يُهمَس في الظلال.

أميليا... أميليا... أميليا.

سرعان ما يبدأ تنفسي بالخروج عن السيطرة. وأشعر بصدري يضيق كما لو أن وزنًا ثقيلًا يضغط رئتي، وأتخيل يدًا غير مرئية تخنقني فيما يبدأ حلقي في الانغلاق.

ثم ينفتح الباب السري في الأعلى، لكني ما زلت لا أستطيع الرؤية.

صوت آدم ينادي في الظلام: «هل أنتِ بخير؟».

– لا، ماذا حدث؟

– لا أعلم، أعتقد أنه حدث انقطاع للتيار الكهربائي. أغلقتُ الباب بالخطأ عندما انطفأت الأنوار، أنا آسف. حاولي شق طريقكِ نحو الدَرج.

– أنا... لا أستطيع التنفس!

إنه لا يسمع كلماتي فقط، بل يسمع صوت أنفاسي الخشنة بينها.

يصرخ: «أين جهاز الاستنشاق الخاص بكِ؟».

– لا... أعلم. في حقيبة يدي.

- أين هي؟
- لا أستطيع التذكر، طاولة... المطبخ.
- انتظري هناك.

يقول كما لو كان لدي خيار آخر.

أعاني الربو منذ أن كنت طفلة صغيرة، وربما حقيقة أنني تربيتُ على يد أشخاص يدخنون بشراهة ويعيشون في شقق داخل المدينة لم تساعد أيضًا. لم تكن كل عائلة تبنتني ملائمة لتربية الأطفال. لا يمثل الربو مشكلة كبيرة هذه الأيام لكنْ لا تزال هناك أسباب يمكن أن تؤدي إلى حدوث نوبة. يبدو كونك مُحاصرًا في قبو تحت الأرض في الظلام أحد هذه الأسباب. أتقدم للأمام في محاولة للعثور على الدرج من هنا، لكن أصابعي لا تجد سوى جدار رطب وحلقة معدنية باردة. تجعلني أرتجف. فقط لو لم تنفد بطاريات الكشاف، أو كنت أملك هاتفي. أفكر في جميع الشموع الموجودة في المكتبة، أتمنى أن يكون لديَّ واحدة الآن، لكن بعد ذلك أتذكر علبة أعواد الثقاب التي كنت أضيئها بها. لا تزال في جيبي.

عود الثقاب الأول الذي أحاول إشعاله ينطفئ على الفور تقريبًا، إنها علبة قديمة.

أستخدم الثاني لمحاولة رؤية اتجاهاتي، لكن ما زلت لا أستطيع رؤية الدَرج، وأعاني من أجل الحصول على ما يكفي من الهواء في رئتي.

العود الثالث الذي أشعله يضيء لفترة وجيزة جزءًا من الجدار، ولاحظت كل علامات الخدوش عليه. يبدو أن شخصًا أو شيئًا ما حاول مرة أن يشق طريقه للخروج من هنا.

أحاول البقاء هادئة، وأتذكر أن أتنفس، لكنْ بعد ذلك أحرق اللهب أطراف أصابعي وأسقطتُ عود الثقاب الأخير على الأرض.

المكان يعمه الظلام.

ثم أسمع الصوت مرة أخرى. يُهمس اسمي خلفي تمامًا.

أميليا... أميليا... أميليا.

أنفاسي ضحلة للغاية لكن لا يمكنني التحكم فيها وأعتقد أنني سيُغمى عليَّ. كل ما يمكنني رؤيته هو الظلام بصرف النظر عن الاتجاه الذي أنظر إليه. ثم أسمع صوت خدش.

آدم

يستغرق مني الأمر وقتًا أطول مما ينبغي لأعثر على جهاز الاستنشاق الخاص بأميليا.

نوبات الربو التي تصيبها قليلة ومتباعدة، لكنني أعتقد دائمًا أنه من الأفضل الاستعداد للأسوأ. جعلتني الحياة أفكر بهذه الطريقة وأنا في أفضل حال نتيجة لذلك. إن البحث عن حقيبة يد زوجتي ليس بالمهمة السهلة أبدًا -حتى بالنسبة إليها- ولكنَّ محاولة تخمين المكان الذي تركتها فيه في مبنى غير مألوف في ظلام دامس أمر يستغرق وقتًا. الوقت الذي أعرف أنها في أمس الحاجة إليه. عندما شعرت أخيرًا بالحقيبة الجلدية، أجد جهاز الاستنشاق بالداخل وأسرع إلى الباب السري. بدأ بوب في خدش الخشب، ويمكنني سماع أميليا تبكي.

أقول: «أنتِ بحاجة إلى العثور على الدَرج».

– ماذا تعتقد أنني أحاول... أن أفعل؟

لا تستطيع التنفس.

– حسنًا، سوف أنزل.

– لا! لا، سوف... تسقط.

– توقفي عن الكلام وركزي على تنفسكِ. أنا قادم.

أبدا بالنزول ببطء، خطوة تلو الأخرى على الدَرج، يقودني صوت تنفس أميليا المضطرب في الظلام. أجدها واقفة أمام الحائط المقابل للمكان الذي يجب أن تكون فيه، ووضعت جهاز الاستنشاق في يديها المرتعشتين. هزته وسمعت بختين. ثم يعود التيار الكهربائي، ويضيء المصباح الفلوري الموجود على السقف، ويُغمر القبو بضوء خافت.

أقول: «لا بد من وجود مولد للكهرباء».

وأميليا لا تجيب. لكنها اكتفت بالتمسك بي وأنا ألف ذراعي حولها. نبقى هكذا لفترة طويلة وأشعر بغرابة بأنني أريد حمايتها.

ما **يجب أن أشعر به** هو الذنب، لكنني لا أشعر بذلك.

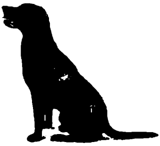

أميليا

يحتضنني وأسمح له، فيما أنتظر ليعود تنفسي إلى طبيعته. أفكر فيما سألته مستشارة الزواج في جلستنا الأولى. «ادعُني باميلا» -كما يلقبها آدم- بدت دائمًا كأنها تعرف ما كانت تتحدث عنه، لكنني أعترف أن ثقتي بها تضاءلت قليلًا بمجرد أن اكتشفت أنها كانت مطلقة مرتين. **ماذا يعني لكما الزواج؟** أتذكر كيف طرحت السؤال وأتذكر إجابة آدم. **الزواج هو إما تذكرة يانصيب فائزة وإما قيود**. يعتقد أن ذلك كان مضحكًا. لم أشاركه الرأي.

يقبلني على جبهتي بلطف كأنه خائف من أن أنكسر. لكنني أقوى مما يدرك. وأكثر ذكاءً أيضًا. تبدو القبلة كالمطهر، ليست أكثر من مجرد مهدئ.

يسأل: «ما رأيكِ إن أحضرنا هذه الزجاجة إلى الفراش».

فيما يحمل نبيذ المالبيك ويمسك بيدي وهو يقودني للخروج من القبو. أحيانًا يكون من الأفضل ترك الناس يعتقدون أنك ستتبعهم، حتى تتيقن من أنك لن تضيع بمفردك.

يوجد دَرج خشبي دائري في منتصف صالة المكتبة يؤدي إلى ما يُفترض أنها شرفة في الطابق الأول عندما كانت لا تزال كنيسة صغيرة. أعتقد أن الأعمال الخشبية كلها أصلية، ومن المؤكد أنها تبدو كذلك، وكل خطوة نخطوها تصدر صريرًا بطريقة درامية إلى حد ما. يتقدم بوب ويهرول على الدرج، كما لو كان يعرف إلى أين يتجه.

لا يسعني إلا التحديق إلى الصور التي نراها على الجدران الحجرية المطلية باللون الأبيض. تبدأ سلسلة الصور المؤطرة بالأبيض والأسود في أسفل الدرج، وتملأ الجدار على طول الطريق إلى الأعلى، مثل شجرة عائلة مصورة. بعض الصور قد تلاشت تمامًا تقريبًا، خلت من الحياة بفعل ضوء الشمس والوقت، لكن الصور الأحدث -الأقرب إلى الطابق الأول- تبدو في حالة جيدة، وحتى تبدو مألوفة بعض الشيء. رغم أنني لا أتعرف على الوجوه فيها. ولا جدوى من سؤال آدم الذي لا يتعرف حتى على وجهه في المرآة. لاحظت أن ثلاثة أطر مفقودة، الأشكال المستطيلة التي تغير لونها والمسامير الصدئة تظل حيث كانت تتدلى.

تمتد سجادة حمراء مثبتة في مكانها بقضبان معدنية في منتصف الدرج -على عكس الأرضيات الحجرية الباردة في الطابق السفلي- وتنفتح على بسطة دَرج ضيقة. أمامنا أربعة أبواب جميعها مغلقة وتبدو متشابهة تمامًا، باستثناء واحد به لافتة حمراء معلقة على مقبضه مكتوب عليها «لا تقترب، خطر». توجد سلة للكلاب من الصوف أمامها، بجوار ملاحظة مكتوبة مثل تلك التي وجدناها في المطبخ عندما وصلنا:

لا يُسمح بوجود الكلاب في غرفة النوم.

رجاءً

نأمل أن تستمتعا بإقامتكما.

تبدو كلمة «رجاءً» كأنها فكرة متأخرة وسلبية بعض الشيء لأنها كُتبت في سطر جديد وحدها، لكنْ ربما أبالغ في تفسير الملاحظة. يشم بوب السرير ويهز ذيله ويجلس باقتناع كما لو كان ملكه. لا يعاني كلبي قلق الافتراق بالطريقة التي أعاني بها، وعلى عكسي فهو يمكنه النوم في أي مكان ووقت.

يقول آدم: «حسنًا، جرى الاعتناء ببوب. ألم تنص الملاحظة السابقة على أن إحدى غرف النوم قد جُهزت لنا؟».

– نعم، لكن لا يمكنني تذكر أيها.

– يوجد طريقة واحدة لنعلم.

يجرب كل من الأبواب المتاحة، وكلها مغلقة، حتى يُفتح الباب الأخير بصرير درامي ليتناسب مع الموسيقى التصويرية للسلالم. بالإضافة إلى عواء الريح في الخارج، كافٍ لإعطاء أي شخص جرعة من التوتر الشديد.

يقول آدم فيما يشعل الضوء: «يحتاج هذا المكان إلى مزيل صدأ».

وأتبعه داخل الغرفة.

صُدمت مما أراه.

تبدو غرفة النوم تمامًا مثل غرفتنا في المنزل. ليست نسخة كربونية -الأثاث مختلف- لكن السرير مغطى الوسائد والبطانيات والأغطية نفسها. وطُليت الجدران بدرجة اللون نفسها: اللون الرمادي، قد أعدت طلاءها مفاجأةً منذ عامين، ولن أنسى أبدًا مدى كره آدم لها.

كلانا نقف ونحدق للحظة.

أهمس: «لا أفهم ما أراه».

– أعتقد أنها تشبه غرفتنا قليلًا...

– قليلًا؟

– حسنًا، لا نملك نوافذ زجاجية ملونة في لندن.

– هذا غريب جدًّا.

– لا نملك ساعة دقاقة أيضًا.

هذا صحيح. الساعة ذات المظهر العتيق في زاوية الغرفة تبدو غير ملائمة تمامًا، ويبدو أن صوت دقاتها يرتفع في أذني.

– آدم، أنا جادة. ألا تعتقد أن هذا كله غريب بعض الشيء؟

– نعم ولا. من المحتمل أنهم توصلوا إلى الفكرة من المكان نفسه مثلك. ألم تشتري كل شيء في غرفة نومنا من شركة واحدة لأنكِ حصلتِ على خصم خمسين بالمائة في التخفيضات؟ لقد وقعتِ في حب صورة غرفة نوم في الكتيب الخاص بهم، واشتريتِ كل شيء حرفيًّا. أتذكر

فاتورة بطاقة الائتمان بالتأكيد. ربما من يملك هذا المكان فعل الشيء نفسه؟

ما يقوله صحيح. لقد وقعت **فعلًا** في حب صورة غرفة نوم في كتيب، وقد اشتريت كل شيء تقريبًا فيها، رغم بطاقات الأسعار السخيفة. أعتقد أنه ليس مستحيلًا أن من جدَّد الكنيسة يملك الذوق نفسه. زُين المكان بشكل جميل، رغم كون كل الأسطح مغطاة بالغبار. مما يجعلني ألاحظ أن غرفة النوم نظيفة على عكس باقي المكان. يمكنني حتى شم رائحة ملمع الأثاث.

أقول: «إنها نظيفة».

– بالتأكيد هذا شيء جيد.

– كانت جميع الغرف الأخرى مغبرة و...

يقاطعني آدم قائلًا فيما يضيء أحد حوامل الشموع القديمة بجانب السرير: «ربما علينا استبدال هذه المصابيح بمصابيح الطاولة الخاصة بنا في المنزل».

كان يملك علبة أعواد ثقاب في جيبه، كما لو كان يعلم أنها ستكون هنا. عندما تبدأ في الوميض وتلقي بظلالها حول الغرفة لا يسعني إلا التفكير في أنها تبدو مستعارة من مجموعة الشموع في رواية «ترنيمة عيد الميلاد» (A Christmas Carol).

يقول وهو يرفع إحداها: «لا تزال بطاقة السعر عالقة في أسفلها. تبدو قديمة جدًّا، لكنْ لا بدَّ أنها جديدة».

– كل شيء يبدو... مزيفًا، كما لو كنا في فيلم عن حياتنا، ووضع شخص ما نسخًا رخيصة من النسخ الأصلية في موقع التصوير.

– أعتقد أنها رائعة.

– أعتقد أنها تشكل خطرًا لنشوب حريق.

أفتح بابًا آخر وأجد حمامًا لا يشبه حمامنا في المنزل. كل شيء قديم حقًّا، ويوجد علامات على الحائط والأرض حيث أعتقد أنه كان يوجد حوض استحمام. كان الأمر نفسه في دورة المياه في الطابق السفلي. لا يوجد حوض استحمام، فقط مساحة فارغة حيث كان موجودًا. ويوجد عفن فطري على

بلاط الجدران والمغسلة. يصدر صوت غريب عندما أشغِّل الحنفيات لكن لا شيء يحدث.

يقول آدم من غرفة النوم: «أعتقد أن الأنابيب مجمدة».

أجبته وأنا أنضم إليه: «يا للروعة. كنت آمل أن أستحم بماء ساخن».

الغرفة الآن مضاءة فقط على ضوء الشموع، وتبدو مريحة أكثر. لاحظت أنه فتح زجاجة النبيذ وسكب كأسين. أريد الاستمتاع به هذه المرة، لذا أذهب لإغلاق الستائر، ما زلت مرتعبة قليلًا من أن شخصًا ما ربما كان يراقبنا بالخارج سابقًا. توجد مدفأة قديمة أسفل النافذة، لكنها شديدة البرودة وهو ما يفسر سبب كوني أشعر بالبرد.

يقول آدم وهو يلف ذراعيه حول خصري ويقبل رقبتي: «يوجد طرائق أخرى يمكنني التفكير فيها للتدفئة».

كان الأمر مختلفًا عندما التقينا في البداية -لم نتمكن من إبعاد أحدنا يديه عن الآخر في ذلك الوقت- لكنني متأكدة من أن هذا هو الحال بالنسبة إلى الكثير من الأزواج. يبدو الأمر سخيفًا كوني متزوجة لفترة طويلة، لكن فكرة خلع ملابسي تملؤني بالخوف. جسدي لا يبدو كما كان من قبل.

أقول: «سأغتسل» وآخذ شيئًا من الحقيبة الليلية قبل أن أعود إلى الحمام ثم أضيف: «تحقق من وجود الأشباح تحت السرير في أثناء انتظاري».

- ثم ماذا؟

- انتظر لفترة أطول.

بدأت أشعر بالهدوء مجددًا وبمزيد من التحكم بوجود باب مغلق بيننا. أتظاهر بأنني لا أعلم لماذا أشعر بالتوتر الشديد حيال هذا الموقف، لكنها واحدة من تلك الأكاذيب البيضاء الصغيرة التي أقولها لنفسي مثلما نفعل كلنا. أقف حافية القدمين على الأرضية المكسوة بالبلاط البارد في الحمام غير المألوف، وأحدق إلى المرأة التي أراها في المرآة، ثم أنظر بعيدًا وأنا أنزع بقية ملابسي. ثوب النوم الجديد المصنوع من الحرير والدانتيل الأسود الذي اشتريته لهذه الرحلة لا يحولني إلى شخص مختلف، ولكنه قد يساعد في

إثارة إعجابه. هل من الخطأ أن أريد الشعور بكوني مرغوبة من قِبل الرجل الذي تزوجته؟

أفتح باب الحمام، محاولةً أن أبدو جذابة عندما أخرج من خلفه، لكني لم أكن بحاجة إلى إزعاج نفسي. فإن غرفة النوم فارغة. ذهب آدم.

آدم

ألا تجعل لافتة تنص على أنه «ممنوع الاقتراب» الجميع يريدون رؤية ما يقع وراءها؟ ولطالما كنتُ منجذبًا إلى الخطر.

أعلم أن أميليا سوف تستغرق وقتًا طويلًا في «الاغتسال» في الحمام وأشعر بالملل من الانتظار. لذلك أخذت رشفة من النبيذ ثم عدت إلى بسطة الدَرج لأرى ما إذا كان بوب يريد أن يرافقني. لكنه بدا نائمًا بالفعل ويشخر.

هذا عندما لفتت انتباهي لافتة «لا تقترب، خطر» ولا يمكنني مقاومة تجربة مقبض الباب المعلقة عليه. بالتأكيد لا يوجد شيء **بتلك** الخطورة يمكن أن يكمن وراءه. كانت جميع الأبواب الأخرى هنا مغلقة، لكن فُتح الباب عندما أدرت المقبض. لا أعرف ما كنت أتوقعه، لكني أفترض أنني كنت أتمنى شيئًا أكثر إثارة من سلم خشبي ضيق يؤدي إلى الأعلى. أستطيع رؤية باب آخر في الجزء العلوي منه. فتح بوب إحدى عينيه وزمجر في اتجاهي. لكن الفضول قتل القطة وليس الكلب أو الرجل، والآن أريد حقًّا معرفة ما يوجد أعلى الدرج.

لا يوجد ضوء، لذا أمسك بإحدى الشموع من غرفة النوم ثم أشق طريقي. يصدر صرير مع كل خطوة أخطوها. أشعر بشيء يلامس وجهي في الظلام، وأتخيل أصابع صغيرة لكنها مجرد خيوط عنكبوت. أعتقد أن أحدًا لم ينظف هذا الجزء من المنزل لفترة طويلة أيضًا. أتوقع أن **يكون** الباب الموجود أعلى الدرج الممنوع مُغلق، لكنه ليس كذلك. بمجرد فتحه تهب عاصفة من الرياح تطفئ الشمعة وكادت أن تفقدني توازني.

برج الجرس.

يبدو الهواء القطبي بالخارج كأنه لطمة على الوجه، لكن المنظر من أعلى الكنيسة مذهل. أشعر أنني أستطيع رؤية العالم كله من هنا، الوادي والبحيرة والجبال البعيدة كلها مضاءة بقمر كامل كبير. توقف الثلج أخيرًا وافترقت الغيوم لتكشف عن سماء سوداء مزينة بالنجوم. الجرس -الذي هو أكبر بكثير مما يبدو عليه من الأرض- محاط بأربعة جدران بيضاء يصل ارتفاعها إلى الركبة. لا يوجد حاجز أمان وبالكاد مساحة كافية للالتفاف حول العنصر الرئيسي، ولكنَّ الأمر يستحق المخاطرة لمشاهدة المنظر من كل زاوية ممكنة.

عندما أنظر إلى سماء الليل، لا يمكنني تصور شيء سحري للغاية مثلها موجود طوال الوقت. جميعنا مشغولون جدًّا بالنظر إلى الأسفل لنتذكر النظر إلى النجوم. أشعر بالحزن عندما أفكر في كل الأشياء التي ربما فاتتني بالفعل في الحياة، لكنني أخطط لتغيير ذلك.

أخرج هاتفي من جيبي لالتقاط صورة، الهاتف الذي تعتقد زوجتي أنه لا يزال في المنزل في لندن. شعرت بالإعياء عندما رأيتها تزيله من صندوق قفازات السيارة قبل مغادرتنا قبل أن تخفيه في المنزل. شعرت بالسوء عندما كذبت حول مكان وجوده وإلقائها باللوم **عليَّ** لنسيانه. لقد كانت تتصرف بغرابة منذ شهور وأعلم الآن أنني لم أتخيل الأمر.

ذهبت أميليا لمقابلة مستشار مالي مؤخرًا. لم تخبرني عن ذلك إلا بعد ذهابها. قالت إنني قضيت الكثير من الوقت في القلق بشأن الماضي، وإنها تريد الاستعداد بشكل أفضل للمستقبل. لم أدرك في البداية أنها تعني **مستقبلها** وليس **مستقبلنا**. ما التفسير الآخر الذي جعلها تنشئ تأمينًا على الحياة باسمي وتطلب مني التوقيع عليه عندما اعتقدت أنني كنت في حالة سكر قبل أسبوعين؟

قالت في يوم دراسي بعد الحادية عشرة مساءً وهي تحمل قلمًا في يدها: «أعتقد أننا في سن نحتاج فيه إلى التخطيط للمستقبل».

- عمري أربعون فقط.

أصرت قائلة: «وماذا لو حدث لك شيء ما؟ لن أستطيع تحمل تكلفة ثمن منزل كبير في قرية هامبستيد بنفسي من راتبي. سنصبح أنا وبوب بلا مأوى».

نظر إليَّ الكلب -عند سماعه اسمه- كما لو كان يوافقها الرأي.

- لن تصبحي **بلا مأوى**. أسوأ ما يمكن أن يحدث هو اضطرارك إلى العيش في بيت أصغر.

هزت رأسها وأعطتني القلم. وقعتُ على الأوراق لأنني كنت متعبًا جدًّا من المجادلة ولأن زوجتي واحدة من هؤلاء النساء اللاتي يصعب أن ترفض لهن طلبًا.

ربما يكون ذلك بسبب وفاة والديها عندما وُلدت، أو ربما بسبب كل الأشياء المحزنة التي تراها في العمل كل يوم تقريبًا، لكن أميليا تفكر في الموت أكثر مما أعتقد أنه أمر طبيعي. أو صحي. خاصة الآن بعد أن بدت مشغولة جدًّا بموتي.

زوجتي تخطط لشيء ما، أنا متأكد. لكنني فقط لا أعلم ماذا تخطط.

ولا أعاني أزمة منتصف العمر.

هذا ما ظلت تتهمني به في الآونة الأخيرة.

أظن أن الجميع يبلغون سنًّا يبدؤون فيه في التساؤل عما حققوه في الحياة. ما إذا كانت الخيارات التي اتخذوها هي الصائبة. لكنني أعتقد أيضًا أن ما أفعله -رواية القصص- مهم. تعلمنا القصص عن ماضينا، وتثري حاضرنا، ويمكنها التنبؤ بمستقبلنا. لكن بعد ذلك سأقول هذا. إن الكلمات التي كتبتها هي كل ما سيتبقى مني عندما أرحل.

يحصل الممثلون والمخرجون على كل المجد في مجال عملي، وقد قضيت معظم مسيرتي المهنية في اقتباس روايات الآخرين، لكنْ هذه **كلماتي** التي تسمعها عندما تشاهد برنامجًا تلفزيونيًّا أو فيلمًا عملت عليه. **مِلكِي**. لم أقرأ حتى الكتاب الذي طُلب مني تعديله العام الماضي. قررت -بطريقة أو بأخرى- أن القصة التي صُنعت ستكون ملكًا لي. قالت المنتجة في العرض إنها أحبت نسختي أكثر من الرواية نفسها وكنت سعيدًا لفترة وجيزة. لكنها طلبت بعد

ذلك إجراء تغييرات لأن هذا ما يفعله هؤلاء الأشخاص. لذلك أجريتها وقدمت المسودة التالية. ثم طلب المخرج تغييرات، لأن هذا ما **يفعلونه**. وبعد بضعة أشهر أحد الممثلين طلب إجراء تغييرات، **لأنهم** بالطبع يعرفون الشخصيات أفضل مني، رغم أنها جاءت من **رأسي**. لذا رغم أنني أقسم إن مسودتي الثالثة أو الرابعة كانت أفضل بكثير من نسختهم النهائية، فإنني أجريت التغييرات لأنني إذا لم أفعل لطُردت، واستُبدل شخص أخرق بي. لأن هذه هي الطريقة التي يعمل بها هذا المجال.

أشعر أن حياتي مثل عملي، حيث يريد الناس دائمًا تغييري. لقد بدأ الأمر مع والدتي. عندما غادر والدي، عملت والدتي نوبتين في المستشفى لتربيني ولتحافظ على سقف فوق رأسينا. كنا نعيش في الطابق الثالث عشر من مبنى سكني في ملكية تابعة لمجلس جنوب لندن. لم يكن لدينا الكثير لكن كنا نملك دائمًا ما يكفي. اعتادت إخباري بأنني أشاهد الكثير من التلفاز عندما كانت تعمل -قالت إن عينيَّ ستصبحان مربعتين- لكنْ لم يوجد الكثير لأفعله ولم يتضمن الوقوع في المشكلات. فضلتْ أن تراني أقرأ، لذا قرأت، وفي عيد ميلادي الثالث عشر أعطتني ثلاثة عشر كتابًا. كانت جميعها إصدارات خاصة لمؤلفين أحببتهم عندما كنت صبيًّا، وما زلت أحتفظ بها إلى الآن على رف صغير في السقيفة حيث أكتب. كتبت والدتي ملاحظة في الإصدار الأول من رواياتي المفضلة لستيفن كينج: **استمتع بقصص حياة الآخرين لكن لا تنس عيش حياتك الخاصة.**

تُوفيتْ بعد ثلاثة أشهر.

تركت المدرسة عندما كان عمري ستة عشر عامًا لأنني اضطررت إلى ذلك، لكنني لطالما كنت مصممًا على جعلها فخورة. **كل ما فعلته** منذ ذلك الحين كان يدور حول محاولة أن أصبح شخصًا لن تريد تغييره.

كان لدي مجموعة من الصديقات اللواتي حاولن تغييري أيضًا، لكن لم يستطعن فعل ذلك، حتى التقيت زوجتي. لأول مرة في حياتي وجدت شخصًا أحبني لكوني أنا، ولا تريد تغيير مَن أكون. يمكنني أخيرًا أن أكون نفسي وأكتب قصتي الخاصة دون خوف من التخلي عني أو استبدالي. ربما لهذا

السبب أحببتها كثيرًا في البداية. لكنَّ الزواج يغير الناس سواءً أحبوا ذلك أم لا. لا يمكنك إصلاح ما كُسر.

أحاول التخلص من الأفكار السلبية من ذهني والتركيز على المنظر. كوني بهذا الارتفاع يذكرني بالعيش في الطابق الثالث عشر عندما كنت طفلًا. في الليل عندما لم أستطع النوم -كانت الشقة ذات جدران رقيقة- كنت أفتح نافذة غرفة نومي بالكامل وأحدق إلى سماء الليل. أكثر ما أتذكره هو الطائرات، لم أركب واحدة من قبل. كنت أعدها، وأتخيل أن كل مَن على متنها أشخاص أذكياء ومحظوظون وأغنياء بما يكفي ليطيروا بعيدًا إلى مكان مختلف عني. شعرت بأنني محاصر حتى ذلك الحين. لا توجد مبانٍ هنا على عكس المنظر من مجمع الشقق في لندن، ولا توجد أي علامة على الحياة على الإطلاق، وكل شيء مغطى بالثلج ويغمره ضوء القمر. نحن وحدنا حقًّا هنا وهذا ما أرادته أميليا.

على الناس توخي الحذر مما يتمنون.

يوجد جانب من زوجتي لا يراه أحد، لأنها بارعة في إخفائه. فقط لأن أميليا تعمل في جمعية خيرية للحيوانات فهذا لا يجعلها قديسة. ولا يعني أنها لم تفعل شيئًا سيئًا قطُّ، بل على العكس تمامًا. يوجد غابات أقل ظلامًا من زوجتي. قد تكون قادرة على خداع الجميع لكنني أعرف من هي حقًّا وما هي قادرة على فعله. لهذا السبب أنا مفلس عاطفيًّا هذه الأيام، أي حب كنت أكنه لها أُنفِق.

أنا لا أتظاهر بأنني بريء في كل ما يحدث.

لم أعتقد قط أنني من النوع الذي قد يخون زوجته.

لكني فعلت. وبطريقة ما هي اكتشفت الأمر.

أعتقد أن هذا يجعلني أبدو كالشخص السيئ، لكنْ يوجد أيضًا فتاة سيئة في هذه القصة. لا يمكنك إصلاح خطأ بخطأ آخر بل سينتج شيء أكثر قبحًا. ولم أكن الوحيد الذي خان. فقد فعلت القديسة أميليا ذلك أيضًا.

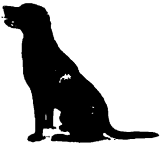

أميليا

«آدم؟».

أقف على بسطة الدَرج حاملة شمعة وأنادي اسمه. لكنه لا يجيب.

يحدق بوب إلى وجهي منزعجًا لأنني أزعجت نومه، ثم ينظر إلى الباب المعلق عليه لافتة عدم الاقتراب ويتنهد. أحيانًا أعتقد أن كلبنا أذكى مما نعرف. لكنْ بعد ذلك أتذكر كل الأوقات التي رأيته فيها يركض في دوائر يطارد ذيله، وأدرك أنه مدهوش من الحياة مثلنا تمامًا.

لم أكن بارعة في الالتزام بالقوانين قط، لذا تجاهلت اللافتة وفتحت الباب الذي كشف عن درج خشبي ضيق يؤدي إلى باب آخر في الأعلى. أمشي بضع خطوات ثم كدتُ أُسقط الشمعة عندما سرتُ من خلال شبكة عنكبوت. أحاول بشدة إبعادها عن وجهي، لكن ما زلت أشعر كما لو أن شيئًا ما يزحف على بشرتي في الظلام.

«آدم؟ هل أنت هناك؟».

يقول: «نعم، المنظر رائع. أحضري النبيذ وبطانيات».

ويفاجئني شعور الراحة الذي غمرني.

اجتمعنا معًا في برج الجرس في الكنيسة بعد خمس دقائق، وهو محق في أن المنظر ساحر حقًّا. لا يوجد متسع في المكان، وأشعر بالبرد -حتى مع

البطانية الملفوفة حول كتفي- لكن النبيذ يساعدني، ويضع آدم ذراعيه حولي عندما يراني أرتجف.

يهمس: «لا أتذكر آخر مرة رأيت فيها قمرًا مكتملًا».

أجبته: «أو الكثير من النجوم، السماء صافية جدًّا».

- لا يوجد تلوث ضوئي.

يسأل مشيرًا إلى السماء: «هل يمكنكِ رؤية ذلك النجم اللامع على يسار القمر؟».

أومأت برأسي، وشاهدته وهو يحرك إصبعه كما لو كان يكتب الحرف (W) قائلًا: «هذه النجوم الخمسة تشكل كوكبة ذات الكرسي (كاسيوبيا)».

إن آدم يعرف الكثير من المعلومات العشوائية، أحيانًا أعتقد أن هذا هو سبب عدم وجود مكان داخل رأسه ليفكر بنا أو بي.

- أخبرني مجددًا ما هي كاسيوبيا؟

- كانت كاسيوبيا ملكة في الأساطير اليونانية التي أدى غرورها وغطرستها إلى سقوطها.

يعرف زوجي معلومات عن أشياء كثيرة جدًّا أكثر مما أفعل. إنه قارئ جيد ومتفاخر كالطاووس عندما يتعلق الأمر بالمعرفة العامة. لكنْ إذا وُجِدَ اختبار للذكاء العاطفي فسأحصل على درجة أعلى في كل مرة. هناك حدة في صوته وهو يتحدث عن النجوم ولا أعتقد أنني أتخيلها.

كنت أُنظف مؤخرًا وأفرز بعض الأشياء القديمة، وجدت صندوقًا جميلًا من تذكارات حفلات الزفاف. كانت مثل كبسولة زمنية للزواج. واحدة نظمتها بعناية ثم أخفيتها لكي تجدها نفسي المستقبلية. كانت هناك بعض البطاقات من الأصدقاء والزملاء في باترسي، وبعض قطع تزيين الكعك من الليجو للعروس والعريس، وستة عملات جالبة للحظ. أصرت خرافات آدم على أنني بحاجة إليها في يومنا الكبير -الصغير نوعًا ما-، واتفقنا على أن خاتم والدته من الياقوت كان شيئًا مستعارًا وجالبًا للحظ لي. في الجزء السفلي من الصندوق وجدت مغلفًا يحتوي على وعودنا المكتوبة بخط اليد. كل تلك الوعود شكلت نوايا حسنة جعلتني أبكي. لقد ذكرني بمَن اعتدنا أن نكون،

ومَن اعتقدت أننا سنكون إلى الأبد. لكن الوعود تفقد قيمتها عند كسرها أو تقطيعها مثل التحف المتربة المنسية. الحقيقة المحزنة عن حاضرنا دائمًا ما تنهي ذكرياتي السعيدة عن ماضينا.

أتساءل ما إذا كانت جميع الزيجات تنتهي بالطريقة نفسها في الأخير. ربما تكون مسألة وقت فقط قبل أن تجعل الحياة الحب ينهار. لكنْ بعدها أفكر في هؤلاء الأزواج المسنين الذين تراهم في الأخبار كل عيد حب، أولئك الذين كانوا معًا لستين عامًا وما زالوا واقعين في الحب، ويبتسمون بأسنان زائفة للكاميرات مثل الأحبَّة المراهقين. أتساءل ما هو سرهم ولماذا لم يشاركه أحد معنا؟

بدأت أسناني يصطك بعضها ببعض: «ربما علينا العودة إلى الداخل».

- كما تريدين يا حبي.

يناديني آدم بـ «حبي» فقط عندما يكون في حالة سكر، وأدرك أن معظم الزجاجة فارغة، رغم أنني لم أحتسِ سوى كأس واحدة من النبيذ.

أحاول العودة نحو الباب لكنه يتمسك بي. يتحول المشهد من شيء مذهل إلى شيء شرير، إذا سقط أي منا من برج الجرس سنموت. ليس لدي خوف من المرتفعات لكنني أخاف من الموت، لذلك أبتعد عنه. وأصطدم بالجرس فيما أفعل ذلك. ليس بالقوة الكافية لجعله يرن ولكنه فقط تأرجح قليلًا، وبمجرد حدوث ذلك أسمع أصوات نقر غريبة يليها نشاز من الصراخ عالي الحدة. يستغرق ذهني بعض الوقت لاستيعاب ما يراه ويسمعه.

الكثير من الخفافيش تطير من الجرس إلى وجهينا. يتراجع آدم للخلف قريبًا بشكل خطير من الجدار المنخفض، فيما يحرك ذراعيه أمام وجهه ويحاول دفعها بعيدًا. يتعثر ويبدو أن كل شيء يتحرك ببطء. فمه مفتوح وعيناه واسعتان ومضطربتان. يسقط للخلف ويحاول الوصول إليَّ في الوقت نفسه، لكن يبدو أنني متجمدة في مكاني مشلولة من الخوف فيما تستمر الخفافيش في التحليق حول رأسينا. يبدو الأمر كما لو أننا محاصران داخل فيلم رعب خاص بنا. يسقط آدم بقوة على الحائط ويصرخ فيما ينهار جزء من الحائط ويسقط. أخرج من غيبوبتي وأمسك بذراعه وأبعده عن الحافة.

بعد ثوانٍ صدر صوت مدوٍّ حيث تحطم الطوب القديم على الأرض في الأسفل. يبدو صدى الصوت يتردد حول الوادي فيما تطير الخفافيش بعيدًا.

لقد أنقذته لكنه لم يشكرني أو يُظهر أي تلميح من الامتنان. يظهر على وجه زوجي تعبير لم أره من قبل، وهذا يخيفني.

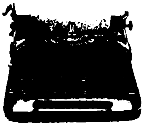

آدم

كادت تتركني أسقط.

أعلم أن أميليا كانت خائفة أيضًا، لكنها كادت تتركني أسقط. هذا ليس شيئًا يمكنني نسيانه. أو غفرانه.

سنغادر. لا يهمني كم هو الوقت متأخر، أو أنه يوجد ثلج على الطريق. لا أتذكر حتى أننا ناقشنا الأمر. أنا فقط سعيد لأننا سنغادر هذا المكان. رغم أنني لا أريد الاعتراف بذلك -لنفسي أو لأي شخص آخر- فإنني محاصر، في هذه السيارة، في هذا الزواج، في هذه الحياة. قبل عشر سنوات اعتقدت أنه يمكنني فعل أي شيء وأن أكون أي شخص. بدا العالم ممتلئًا بالإمكانات اللانهائية، لكنه الآن ليس سوى سلسلة من الطرق المسدودة. أحيانًا أريد فقط... البدء من جديد.

الطريق أمامنا مظلم ولا يوجد إنارة في الشوارع، وأعلم أنه لم يتبق لدينا الكثير من البنزين. لا تتحدث أميليا معي -لم تتكلم منذ أكثر من ساعة- لكن الصمت يبعث على الارتياح. الآن بعد أن تخلينا عن العطلة، الشيء الوحيد الذي ما زلت قلقًا بشأنه هو الطقس. توقف تساقط الثلج لكنْ بدأت الأمطار الغزيرة بالارتطام بغطاء المحرك محدثة صوتًا مزعجًا. يجب أن نبطئ لكنني أفضل عدم قول ذلك، لا أحد يحب الجلوس في مقعد الراكب. إنه لأمر غريب كيف أننا لم نشهد أي سيارة أو مبنى آخر منذ مغادرتنا. أعلم أنه منتصف الليل لكن حتى الطرق تبدو غريبة. نادرًا ما يتغير المشهد حولنا كما لو أننا عالقون في حلقة مفرغة. اختفت جميع النجوم وتبدو السماء قاتمة السواد. ألاحظ أنني أبرد من ذي قبل أيضًا.

ألتفتُ للنظر إلى أميليا ووجهها ضبابي لا يمكن التعرف عليها، ملامح وجهها تحوم مثل بحر غاضب. أشعر كأنني أجلس بجانب شخص غريب وليس زوجتي. تنتشر رائحة الندم في السيارة مثل معطر الجو الرخيص، ومن المستحيل عدم معرفة مدى تعاسة كلينا. عندما يتعلق الأمر بالزواج لا يمكنك دائمًا إصلاحه وإعادة استخدامه. أحاول التحدث لكن الكلمات تعلق في حلقي. لست متأكدًا حتى مما سأقوله.

ثم أرصد شكل امرأة تمشي على الطريق من بعيد.

إنها تلبس اللون الأحمر.

أعتقد أنه معطف في البداية لكنْ مع اقترابنا أستطيع رؤية أنها ترتدي كيمونو أحمر.

كان المطر يتساقط بقوة ويرتطم بالأسفلت، وتبدو المرأة مبللة بالكامل. لا ينبغي لها أن تكون في الخارج. لا ينبغي أن تكون على الطريق. إنها تحمل شيئًا لكني لا أستطيع رؤية ما هو.

أقول: «تمهلي!».

لكن أميليا لا تسمعني، ويبدو أنها تسرع.

أقول مرة أخرى بصوت أعلى هذه المرة: «تمهلي!».

لكنها تضع قدمها على دواسة الوقود.

أنظر إلى عداد السرعة وهو يرتفع من سبعين ميلًا في الساعة إلى ثمانين ثم تسعين قبل أن يدور القرص تمامًا خارج نطاق السيطرة. أضع يدي أمام وجهي كما لو كنت أحاول حماية نفسي من المشهد الذي أمامنا، وأرى أصابعي مغطاة بالدماء. صوت ارتطام قطرات المطر التي تبدو بحجم الرصاصة على السيارة يصم الآذان، وعندما أنظر إلى أعلى أرى أن المطر قد تحول إلى اللون الأحمر.

المرأة تقريبًا أمامنا الآن.

ترى مصابيحنا الأمامية وتحمي عينيها، لكنها لا تبتعد عن الطريق.

أصرخ وهي تصطدم بغطاء المحرك. ثم أشاهد برعب جسدها وهو يرتد عن الزجاج الأمامي المتصدع ويصعد في الهواء. الكيمونو الحريري الأحمر الذي ترتديه ينتفخ خلفها مثل رداء بالٍ.

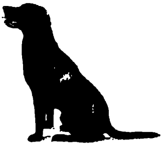

أميليا

«استيقظ!».

أقولها ثلاث مرات وأهزه برفق قبل أن يفتح آدم عينيه.

يحدق إليَّ: «المرأة، هي...».

- أي امرأة؟

- المرأة ذات الرداء الأحمر.

هذا الأمر مجددًا. كان يجب أن أعلم.

- المرأة التي ترتدي الكيمونو الأحمر؟ إنها ليست حقيقية يا آدم. أتذكر؟ لقد كان مجرد حلم.

ينظر إليَّ بالطريقة التي ينظر بها الطفل إلى أحد والديه عندما يكون خائفًا. وجهه شاحب ومغطى بالعرق.

قلت ممسكة بيده المتعرقة: «أنتَ بخير، لا توجد امرأة ترتدي الكيمونو الأحمر. أنت هنا معي. أنت آمن».

يمكن للأكاذيب أن تشفي مثلما يمكنها أن تؤذي.

بالكاد تحدث معي عندما نزلنا من برج الجرس في وقت سابق. لا أعلم ما إذا كان بسبب صدمة السقوط تقريبًا مع الجدار المنهار أو الخفافيش أو احتسائه للكثير من النبيذ الأحمر، لكنه نزع ملابسه وصعد إلى السرير غير

المألوف -الذي يبدو تمامًا مثل سريرنا في المنزل- وغط في النوم مباشرة دون كلمة.

لقد مر وقت منذ أن راود آدم أحد كوابيسه، لكنه يعانيها معظم الوقت وغالبًا ما تكون الكوابيس نفسها، باستثناء أنه يرى الحادث من وجهة نظر مختلفة. أحيانًا في الحلم يكون في السيارة، أو يسير في الشارع، أو يحلم أنه يشاهد المشهد من نافذة شقة في الطابق الثالث عشر من برج، ويضرب بقبضتيه على الزجاج. هو لا يتعرف عليَّ بعد ذلك مباشرة -وهو أمر طبيعي بالنسبة إلينا نظرًا إلى عمى الوجوه الذي يعانيه- لكنه يعتقد أحيانًا أنني شخص آخر. يستغرق الأمر دائمًا عدة دقائق لتهدئته وإقناعه بأنني لست كذلك. عادة ما تطارده أحلامه بصرف النظر عما إذا كان نائمًا أو مستيقظًا. عقله لا يبحث عن الذهب بل يبحث عن شيء أكثر قتامة. أحيانًا تتسلل شذرات صغيرة من الندم المدفون عبر الفجوات، لكن تميل أثقل الذكريات إلى الغرق بدلًا من الصعود إلى السطح.

أتمنى معرفة كيف أجعلها تتوقف.

أفكر في تمسيد النمش على كتفه، أو تمرير أصابعي في شعره الرمادي كما اعتدت. لكني لا أفعل. لأنني أستطيع سماع صوت أجراس.

بعد عزف لحن مخيف، تبدأ الساعة الدقاقة في زاوية غرفة النوم بالدق دلالة على حلول منتصف الليل مثل ساعة بيج بن مبتدئة. إذا لم نكن مستيقظين كليًّا بالفعل، فكلانا استيقظ الآن.

يقول ولا يزال تنفسه أسرع مما ينبغي: «أنا آسف لأنني أيقظتكِ».

أخبره: «لا بأس، إذا لم توقظني، بالتأكيد كانت الساعة ستفعل».

ثم أفعل ما أفعله دائمًا: أخرج دفتري وقلم رصاص واكتب كل شيء في أقرب وقت ممكن. لأنه ليس مجرد حلم -أو كابوس- إنها ذكرى.

يهز رأسه: «ليس علينا فعل ذلك الليلة...».

أبدأ بصمت تسجيل مشاعره، واضعة علامة على النمط المألوف واحدًا تلو الآخر: الخوف، والندم، والحزن، والشعور بالذنب. إنه نفسه في كل مرة.

أقول بعد عثوري بالفعل على إحدى الصفحات الفارغة القليلة المتبقية في دفتر الملاحظات: «بلى، يجب أن نفعل ذلك».

اعتقدت دائمًا أنني أستطيع التنقيب عن ذكرياته التعيسة واستبدال ذكريات أفضل عنا بها. لم أعد متأكدة هذه الأيام.

تنهد آدم واتكأ على السرير، وأخبرني بكل شيء يمكنه تذكره قبل أن تتلاشى معظم تفاصيل الحلم.

تبدأ الكوابيس دائمًا بالطريقة نفسها: مع المرأة التي ترتدي الكيمونو الأحمر.

رغم لباسها، فهي ليست يابانية. يجد آدم صعوبة في وصف وجهها -فهو يكافح في التعرف على الملامح في الأحلام بالطريقة نفسها التي يفعلها في الحياة الواقعية- لكننا نعلم أنها امرأة بريطانية في أوائل الأربعينيات من عمرها، في عمري نفسه الآن. إنها جذابة. يتذكر دائمًا أحمر شفاهها الأحمر بدرجة لون الكيمونو نفسها. تملك شعرًا أشقر طويلًا مثلي أيضًا، لكن شعرها أقصر بطول الكتف.

لم يقل اسمها الليلة، لكن كلانا يعلم ما هو.

يتغير ترتيب ما يحدث في الحلم أحيانًا، لكن المرأة ذات الرداء الأحمر موجودة دائمًا، وكذلك السيارة في المطر. هذا هو السبب في أن آدم لا يمتلك سيارة ولا يقود. لم يكن يريد حتى أن يتعلم القيادة.

يوجد صبي مراهق في الكوابيس أيضًا وهو مرعوب.

رأى آدم حدوث الأمر: المرأة، السيارة، الحادث.

ليس فقط في الحلم، بل في الحياة الواقعية.

كانت تلك الليلة التي ماتت فيها والدته. كان عمره ثلاثة عشر عامًا.

لم يستطع آدم التعرف على الشخص في السيارة قبل خمسة وعشرين عامًا، عندما صعدت السيارة على الرصيف واصطدمت بوالدته وهو يشاهد. لكن هذا لا يعني أنه لم يكن يعرف من يكون. يمكن أن يكون صديقًا أو مدرسًا أو جارًا -كل الوجوه تبدو متشابهة بالنسبة إليه-. تخيل أنك لا تعرف ما إذا كان شخص تعرفه مسؤولًا عن قتل شخص تحبه. لا عجب أنه يكافح

من أجل الوثوق بالناس، حتى بي. إذا لم يكن زوجي يعاني عمى التعرف على الوجوه، فربما كانت حياته تغيرت كليًّا، لكنه لم يكن قادرًا على وصف من رآه للشرطة. ليس آنذاك، وليس الآن. ولا يزال يلوم نفسه. كانت والدته تمشِّي كلبه عندما حدث ذلك لأنه كان كسولًا جدًّا ليفعل ذلك بنفسه.

أشعر بالحزن لأنه مهووس بشبح.

بكل المقاييس كانت والدة آدم امرأة لطيفة -كانت ممرضة وتحظى بشعبية كبيرة في العقار الذي يعيشان فيه- لكنها لم تكن مثالية. وهي بالتأكيد لم تكن قديسة. أجد أنه من الغريب كيف يقارن كل امرأة أخرى في حياته بها، بمن فيهم أنا. الركيزة التي وضع عليها والدته الميتة ليست فقط متزعزعة بل محطمة أيضًا. على سبيل المثال يبدو أنه نسي بسهولة سبب ارتدائها الكيمونو الأحمر. إنه ما كانت ترتديه دائمًا - بجانب أحمر الشفاه المطابق- كلما جاء «الأصدقاء» الذكور لزيارة شقة المجلس الصغيرة التي كانا يعيشان فيها. كان للمكان جدران رقيقة، رقيقة بما يكفي لسماع آدم أن والدته لديها «صديق» مختلف كل أسبوع تقريبًا.

الذكريات تتغير والأحلام ليست مقيدة بالحقيقة، ولهذا السبب أكتب كل ما يختار تذكره. أريد مساعدته وأريده أن يحبني لذلك. لكنْ لا يمكن إصلاح كل ما يُكسر.

قد يتذكر الوجه الذي رآه في تلك الليلة في يوم من الأيام، وقد يُجاب أخيرًا عن الأسئلة التي لم يُجَبْ عنها والتي ظلت تطارده لسنوات. لقد حاولت جاهدة أن أوقف الكوابيس، عن طريق العلاجات العشبية، وجعله يستمع إلى المدونات الصوتية الذهنية قبل النوم، والشاي الخاص... لكنْ لا شيء يبدو أنه يساعد. عندما أنتهي من تدوين كل شيء، أطفئ الضوء حتى يعم الظلام مرة أخرى، وآمل أن يتمكن من العودة إلى النوم.

لا يستغرق الأمر وقتًا طويلًا.

سرعان ما يشخر آدم بلطف، لكنْ لا يبدو أنني قادرة على النوم.

أبتلع حبة منومة -إنها وصفة طبية، ولا أتناولها إلا عندما لا يعمل أي شيء آخر- لكنني بدأت تناول الكثير منها مؤخرًا. أنا مشغولة جدًّا بالعدد المتزايد

من التشققات في علاقتنا، أكبر من أن تملأها أو تتخطاها. أعلم بالضبط لماذا ومتى بدأ زواجنا في الانهيار. الحياة لا يمكن التنبؤ بها في أحسن الأحوال، ولا تُغتفَر في أسوأ الأحوال.

لا بد أنني غفوت في مرحلة ما -بدأت الحبوب في العمل أخيرًا- لأنني أستيقظ بإحساس مقلق بحدوث شيء مألوف. يستغرق الأمر بضع ثوان حتى أتذكر مكاني -الغرفة حالكة السواد- لكنْ عندما أرمش في الظلام وعيناي تتكيفان مع الضوء، أتذكر أننا في كنيسة بلاك ووتر. يتسلل ضوء القمر بين ستارة النافذة والجدار ويضيء زاوية صغيرة من الغرفة، وأحاول جاهدةً رؤية الوقت في الساعة الدقاقة. لا تزال عقاربها المعدنية النحيلة تشير إلى أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل بنصف ساعة، مما يعني أنني لم أنم لفترة طويلة. أشعر بالضبابية في ذهني، لكن بعدها أتذكر ما أيقظني لأنني سمعته مجددًا.

ضوضاء في الطابق السفلي.

روبين

لا تستطيع روبين النوم أيضًا.

إنها قلقة على الزائرين. ما كان يجب أن يأتيا إلى هنا.

عندما تنظر من خلف ستارتها وترى أن الكنيسة في ظلام دامس، تعرف ما عليها فعله.

تبدو المسافة أبعد مما هي عليه. لكن روبين تعتقد أن المسافة بين الأماكن قد يكون من الصعب أحيانًا إدراكها مثل المسافة بين الناس. يبدو بعض الأزواج أقرب مما هم عليه في الواقع، فيما يبدو آخرون أكثر تباعدًا. عندما شاهدتهما يأكلان وجبات العشاء المجمدة على صينيتين في أحضانهما في وقت سابق، لم يبد الزائران سعيدين بشكل خاص معًا. أو في حالة حب. لكن الزواج يمكن أن يفعل ذلك لأفضل الناس كما يفعل لأسوئهم. أو ربما كانت تتخيل الأمر فقط.

لا يستغرق المشي عبر الحقول من كوخها إلى الكنيسة الصغيرة عادةً أكثر من عشر دقائق. وأقل عند الجري كما اكتشفت سابقًا. لكنِ الآن بعد أن تساقطت كمية كبيرة من الثلج، يستغرق الأمر وقتًا أطول مما ينبغي لوضع مسار لنفسها دون الانزلاق. لا يساعد كون حذائها أكبر من قدميها بعدة مقاسات. إنه مستعمل: لا تملك حذاء خاصًا بها. كان عليها قيادة سيارتها طوال الطريق إلى فورت ويليام لشراء واحد، ولا توجد متاجر أحذية بالقرب

من بحيرة بلاك ووتر أو حتى في هولوجروف. كان بإمكانها شراء بعض المنتجات عبر الإنترنت لكن ذلك يتطلب بطاقة ائتمان بدلًا من النقد، وهي لا تملك سوى النقود هذه الأيام. قطعت روبين كل بطاقاتها منذ زمن بعيد. لم تكن تريد أن يجدها أحد.

تستمتع بصوت الثلج المضغوط تحت قدميها، وهذا هو الضجيج الوحيد الذي يكسر الصمت، بصرف النظر عن صوت النقر البعيد للخفافيش. إنها تحب مشاهدتها وهي تنقض فوق البحيرة ليلًا، إنه مشهد جميل إلى حد ما. قرأت روبين مؤخرًا أن الخفافيش تلد أطفالها وهي معلقة رأسًا على عقب. ثم يتعين عليها الإمساك بأطفالها قبل أن يسقطوا، لكن هذا الجزء هو نفسه بالنسبة إلى جميع الآباء. مسارها الليلة مضاء بنور قمر مكتمل، دونه ستكون سماء الليل بحرًا أسود، إذ إن الغيوم قد أخفت كل النجوم باستثناء ألمع النجوم الآن. لكن هذا على ما يرام: لم تخشَ روبين الظلام قط.

لا تزعجها عاصفة ثلجية أو عواء رياح، ولا تمانع في انفصالها عن بقية العالم لبضعة أيام -لا يختلف الأمر كثيرًا عن حياتها المعتادة إذا كانت صادقة- وتحاول روبين دائمًا أن تكون صادقة. خاصة مع نفسها. لقد اعتادت العيش هنا الآن، رغم أنها كانت تخطط عند وصولها للبقاء لفترة قصيرة فقط. تضع الحياة خططًا أخرى عندما ينسى الناس العيش. أسابيع تحولت إلى أشهر، وتحولت الأشهر إلى سنوات، وعندما حدث ما حدث، علمت أنها لا تستطيع المغادرة.

لن يتمكن الزائران من المغادرة عندما يريدان أيضًا. ليس الأمر كأنهما يعرفان ذلك بعد. من المستحيل ألا تشعر بقليل من الأسف تجاههما.

تصل روبين إلى سيارتهما المغطاة بالثلوج وتتوقف للحظة. لقد تعرفت على الرجل بمجرد ترجله من السيارة، وأزعجتها هذه الذكرى. لم تكن تعرف ما إذا كانت ستراه مرة أخرى. لم تكن متأكدة حتى من رغبتها في ذلك. إنه أكبر سنًّا الآن لكنها نادرًا ما تنسى وجهًا، ولا يمكنها نسيان وجهه أبدًا. يعود عقلها بالزمن إلى الوراء وتفكر فيما حدث عندما كان صبيًّا. ما رآه وما لم يره. القصة مأساوية الآن بقدر ما كانت في ذلك الوقت، وتتساءل روبين عما إذا

كان لا تزال تنتابه كوابيس حول المرأة ذات الرداء الأحمر. هي تعتقد أن الوقت قد حان لكي يعلم الحقيقة، لكنها لن تعجبه. نادرًا ما تعجب الحقائق الناس.

عندما تصل روبين إلى الباب الخشبي الكبير للكنيسة تلقي نظرة أخيرة حولها، لكنْ لا يوجد أحد هنا ليرى ما هي على وشك فعله. ضوء القمر الذي كان لطيفًا بما يكفي لإضاءة مسارها يكشف البحيرة والجبال البعيدة، ولا يسعها إلا ملاحظة مدى كون هذا المكان غير ملوث وجميلًا. تفكر فيما تنظر إلى سيارة الزائرين المغطاة بالثلج بأن الأشخاص الذين يفعلون أشياء قبيحة لا ينتمون إلى هنا. إنه الطقس المفضل لديها، لأن الثلج يكسو العالم بغطاء أبيض جميل، خافيًا كل ما هو مظلم وقبيح تحته.

إن الحياة لعبة شطرنج حيث يمكن للبيادق أن يصبحوا ملكات، لكن لا يعرف الجميع كيف يلعبونها. بعض الناس يظلون بيادق طوال حياتهم لأنهم لم يتعلموا أداء الحركات الصحيحة قط. هذه ليست سوى البداية. لم يلعب أي شخص أوراقه بعد لأنهم لم يعرفوا أنها قد وُزِّعت.

تُخرج روبين المفتاح من جيب معطفها وتدخل الكنيسة بهدوء.

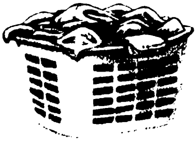

كتان

كلمة العام:

يخدع (hornswoggle): التغلب على شخص ما عن طريق الغش أو الخداع.

29 من فبراير 2012 الذكرى السنوية الرابعة لنا.

عزيزي آدم

أشعر كما لو أننا نتشارك دائمًا الأحلام -والكوابيس- نفسها لكنها كانت سنة صعبة. لقد كان ينبغي أن تكون بجانبي، لكنك لم تكن كذلك. جلست في غرفة الانتظار خائفة بمفردي، رغم وعدك بالحضور معي.

بعد ثلاث سنوات من المحاولة وسنتين من المواعيد، وطاقم كامل من الأطباء والممرضات المختلفين، ورحلات لا نهاية لها إلى المستشفيات والعيادات خلال الاثني عشر شهرًا الماضية، وجولة فاشلة من التلقيح الصناعي، أشعر بأنني محطمة. لم تكن هذه هي الطريقة التي أردت قضاء ذكرى زواجي بها.

كان عليَّ معرفة أن اليوم سيكون فظيعًا، فهو لم يبدأ بشكل جيد.

أُنقذ كلبان صغيران الليلة الماضية من شقة في جنوب لندن. أُحضِرا إلى باترسي وكنت من أوائل من رآهما. رغم كل سنواتي في هذه الوظيفة فإنني صدمت. تُرك الكلبان من فصيلة البيجل بمفردهما لفترة طويلة. خمن طبيب الطوارئ البيطري أن الفترة كانت أسبوعًا على الأقل. لو لم يشربا الماء من المرحاض لكانا قد ماتا بالفعل. جسداهما الهزيلان جعلاهما يبدوان كأنهما دمى أُخرجَت أحشاؤها. فعلنا كل ما في وسعنا لمحاولة إنقاذهما لكنهما ماتا هذا الصباح. في النهاية لم يوجد شيء يمكننا فعله وكان من الأفضل أن نتركهما. كانت مالكتهما في عطلة في إسبانيا وأتمنى لو كان بإمكاننا إعطاؤها حقنة مميتة. أحيانًا أحتقر البشر، لذلك ربما يكون من الجيد أننا لم نتمكن من صنع واحد.

كان من المفترض أن نلتقي عند جسر لندن الساعة الواحدة بعد الظهيرة. كنت أعاني مشكلات في النوم مؤخرًا، أنا مرهقة، لكنني ذهبت إلى هناك وفي الوقت المحدد. لأن موعدنا في عيادة الخصوبة كان مهمًّا بالنسبة إليَّ. اعتقدت أنه مهم بالنسبة إلى كلينا، لكنك أصبحت أكثر تشتتًا من أي وقت مضى مؤخرًا. كنت قلقة من أنك قد تنسى لذلك أرسلت رسالة نصية لتذكيرك.

خمس مرات.

أنت لم تجب.

في هذا الظرف أعتقد حقًّا أنه كان عليك وضع زوجتك قبل كتاباتك.

كان جسر لندن مزدحمًا وصاخبًا، وليس فقط بسبب الركاب. بدا الرجال الذين يضعون الخوذات موجودين في كل مكان عندما خرجت من المحطة، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الرافعات التي تحجب رؤيتي للسماء. يبدو أن برجًا شاردًا قيد الإنشاء، ووفقًا للمارة الذين تنصتُّ عليهم فإنه سيكون أطول مبنى في أوروبا. أنا متأكدة من أنه سيكون لفترة من الوقت حتى يبني شخص ما شيئًا أطول. أنا على استعداد للمراهنة على أن ذلك لن يستغرق وقتًا طويلًا، لأن البشر يحاولون دائمًا أن يتفوق بعضهم على بعض.

حتى عندما يتظاهرون بالاهتمام.

اتصلت بك عندما وصلت إلى مدخل العيادة. رن هاتفك مرتين قبل أن يجري تحويلي إلى البريد الصوتي. أنا أعرف مع مَن كنت. منتج أبدى اهتمامًا بأول سيناريو لك على الإطلاق: حجر ورقة مقص. إنه السيناريو الذي وجدته في الدرج الذي ألهمني لكتابة خطاباتي السرية لك. بعض الانتباه من شخص ما في مجال عملك حول قصة كتبتها، ليس اقتباسًا لقصة شخص آخر، وأنت متحمس ونشط للغاية. أتساءل عما إذا كان جميع الكُتاب مجانين بالأنا مع تدني احترام الذات؟ أم أنه أنت فقط؟ لقد قلت إن اجتماع الغداء معها لن يستغرق وقتًا طويلًا، لكن أعتقد أن إنتاج طفلك الأول كان أكثر أهمية من صنع طفل حقيقي لنا.

أحالنا الطبيب العام إلى عيادة لندن بريدج. مؤخرًا كل ما يتعلق بنا في محاولة لإنجاب طفل كان معركة منذ اليوم الأول. لم أفكر قط في أن ذلك سيؤدي إلى شجار أحدنا مع الآخر. لقد أصبحت على دراية بالمكان العقيم الخالي من الروح خلال الأشهر القليلة الماضية. إذا كنت سأضيف كل الساعات التي جلست فيها في غرفة الانتظار تلك -غالبًا بمفردي- فأعتقد أنه لا بد أنني قضيت عدة أيام من حياتي هناك. انتظار شيء لطالما كنت أعرف أنه قد لا يحدث أبدًا.

استغرق الأمر شهورًا للحصول على موعد، تبعها عدة أشهر أخرى من حثنا والتلصص علينا وإجراء المقابلات معنا من قبل المستشارين الذين تطفلوا على أحزاننا الخاصة. بالنظر إلى الوراء الآن أتساءل أحيانًا كيف تمكنا من النجاة لتلك الفترة الطويلة. كلما شعرت بالوحدة قلت لنفسي إنك أحببتني وإنني أحببتك. أصبحت تعويذة صامتة داخل رأسي، موجودة هناك لتثبيتي كلما شعرت أنني قد أسقط. لكن زواجنا ليس قويًا أو مستقرًا كما اعتقدت.

أعلم أنك وجدت المواعيد صعبة. أنا متأكدة من أن دخولك إلى غرفة خاصة والقدرة على إغلاقك للباب والخضوع للفحوصات يجب أن يكون مرهقًا للغاية. آسفة. لا أرغب في التقليل من شأن تجربتك لكنني أعتقد أن معظم الأشخاص الأسوياء سيوافقون على أن مساهمتك في هذه العملية كانت أقل مأساوية، وإن كانت لا تزال مؤثرة من الناحية النفسية.

كان عليَّ بسط ساقي أحيانًا في غرفة ملآنة بالأطباء والممرضات، والسماح لهم بوضع أدوات معدنية في جسدي. لقد رآني الغرباء أنفسهم فيما كنتُ عارية، وفحصوني ولمسوني، لقد خضعت للاختبار، وحُقِنتُ بالإبر مرارًا وتكرارًا، وخُدِرتُ وأُجبِرتُ على النوم وأجرِيت لي العمليات. لقد أُخذت بويضاتي، وتبولت الدماء لعدة أيام بعدها، ولم أستطع الوقوف ناهيك بالمشي بسبب الألم الحاد بعد عملية فاشلة. لكننا تجاوزناها معًا. قلت إن كل شيء سيكون على ما يرام. لقد وعدتَ، وأنا صدقتُكَ.

بعد كل شيء يملك الآخرون أطفالًا.

الناس الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم. إنهم يجعلون الأمر يبدو سهلًا جدًّا. حتى إن بعض النساء يحملن عن طريق المصادفة، ولا يضطررن حتى إلى المحاولة. بعضهن يقتلن الأطفال الذين ينمون بداخلهن لأنهن لا يردنهم في المقام الأول. بعض الأشخاص الذين نعرفهم لم يرغبوا في إنجاب الأطفال لكنهم رُزقوا بأية حال. لأنهم يستطيعون. لأن الجميع يستطيع. الجميع سوانا. هذا ما يبدو عليه الأمر؛ كما لو أننا الزوجان الوحيدان في التاريخ اللذان حدث لهما هذا الأمر. في بعض الأحيان يكون الأمر أسوأ من ذلك؛ أشعر كأنني وحدي في العالم، وأنك الشخص الذي تركني.

كنت أرغب في طفل بشدة لدرجة أن الأمر يؤلمني جسديًّا. ثم اليوم في أول موعد لنا بعد الجولة الثانية -وربما النهائية- من التلقيح الصناعي، لم تكن موجودًا.

لم تكن موجودًا عندما اتصل بنا موظف الاستقبال واضطررت إلى الذهاب إلى تلك الغرفة بمفردي. أو عندما جلس الرجل الملقب بالدكتور «دوم» خلف مكتبه وأشار إلى المقعدين الفارغين المقابلين له. أو فيما كنا ننتظرك في صمت محرج، ودقق في ملفه ليذكر نفسه باسْمَيْنا. لم تعاملنا العيادة قط مثل البشر بل مثل دفتر شيكات متحرك.

الأسوأ من ذلك كله أنك لم تكن هناك لسماع الأخبار التي كنا ننتظرها.

بعد كل ما مررنا به، قال الطبيب أخيرًا إنني حامل.

لم أصدقه في البداية.

جعلته يكرر كلامه. ثم جعلته يتحقق من الملف مقتنعة أنه كان يقرأ نتائج ملاحظات شخص آخر. لكنها كانت صحيحة.

حتى إن دكتور دوم جعلني أستلقي على السرير وفحص بطني. أشار إلى بقعة صغيرة على الشاشة وقال إنها جنيننا. زُرعت محتويات وعاء العينة الخاصة بك وبويضتي اللذان نموا معًا في المختبر بنجاح في رحمي، وكان موجودًا على الشاشة. حيًّا وينمو بداخلي.

لقد فاتك الأمر.

لقد وصلتَ إلى مكتب الاستقبال في العيادة عند مغادرتي، وعندما بدأت في محاولة التوضيح، أخبرتك ألا تهتم. لقد سئمت سماعك تتحدث عن عملك كما لو كان الشيء الوحيد الذي يهم. أنت تصنع الهراء لتكسب لقمة العيش ويبيعها وكيلك. أعتقد أن الوقت قد حان لتتجاوزوا جميعًا أنفسكم. المنتجون والمخرجون والممثلون والمؤلفون الذين تخبرني قصصًا عنهم، يبدون مثل مجموعة من الأطفال المدللين، ولا أفهم لماذا تجاريهم أو تجاري نوبات غضبهم. لقد تعرضت حقًّا للخداع من قبل واحد منهم على الأقل، حتى لو كنت بتلك الدرجة من العمى بحيث لا يمكنك رؤية الأمر.

أنا آسفة. أتمنى ألا تجد هذه الرسالة أبدًا وفي حالة أنك وجدتها، لم أقصد ما قلته. أنا أتألم كثيرًا الآن، وهذا الأذى يحتاج إلى مكان ليذهب إليه. يتحطم قلبي أحيانًا من الطريقة التي تمنح بها هؤلاء الأشخاص كل وقتك ولا تحتفظ بأيٍّ من نفسك من أجلي. أنا زوجتك. قصصي حقيقية. هل هذا يجعلها لا تستحق الاستماع إليها؟

كنت أرغب بركوب مترو الأنفاق لكنكَ أصررت على أن نستقل سيارة أجرة. لقد رفضت التحدث إليك في النصف الأول من الرحلة. أنا آسفة لذلك الآن أيضًا، لكنني لم أكن شخصًا يتحدث عن أمور خاصة في الأماكن العامة قط. رغم أنني أتمنى لو كنت قد أخبرتك عاجلًا. كان يمكننا أن نصبح أكثر سعادة لفترة أطول مما كنا عليه.

لم أخبرك إلا بعد وصولنا إلى المنزل. لقد أعددتُ بالفعل طاولة المطبخ بقطعة قماش من الكتان -يجب دائمًا الاحتفال بالذكرى السنوية- لكن تعبيرات وجهي أوضحت مشاعري عندما أخرجتُ زجاجة شمبانيا من ثلاجة

سميج الجديدة. لقد ساعدني تجديد المنزل في إبقائي مشغولة وفي إلهاء ذهني عن أشياء أخرى. انتهينا أخيرًا من الطابق الأرضي، وأنا فخورة لأدائي معظم العمل بنفسي: صنفرة الأرضيات وجص الجدران وصنع الستائر الرومانية، إنه لأمر مدهش ما يمكنك تعلمه بمجرد مشاهدة بعض مقاطع الفيديو على اليوتيوب.

لقد بكيتَ عندما أخبرتك أنني حامل. وبكيتُ عندما أريتك الفحص. بعد أن حلمت بتلك اللحظة لفترة طويلة كانت تلك الصورة بالأبيض والأسود هي الشيء الوحيد الذي جعلني أشعر بأن ما حدث حقيقي. لأنك لم تكن هناك لسماع الأمر، ظللت أشعر بالقلق من أنني ربما تخيلت ما قاله الطبيب.

همستُ: «أتمنى أن تكون فتاة».

- لماذا؟ أتمنى أن يكون فتى. دعينا نلعب حجر ورقة مقص لنقرر.

ضحكت قائلة: «هل تريد أن تلعب حجر ورقة مقص لتحديد جنس الجنين؟».

أجبتَ بوجه جاد: «هل هناك طريقة علمية أكثر؟».

قص مقصي ورقتكَ كما هي الحال دائمًا.

قلتُ: «لقد تركتني أفوز!».

- نعم، لأنني لا أمانع حقًّا ما إذا كان صبيًّا أم فتاة. سأحبهما في كلتا الحالتين، لكنني سأحبكِ دائمًا أكثر.

فتحتَ زجاجة الشمبانيا -لم أحتسِ سوى كأس صغيرة- وطلبنا بيتزا.

بعد ساعة، قلتَ فيما تلتهم الشريحة الثالثة من بيتزا البيبروني: «لم أنس ذكرى زواجنا بالمناسبة».

سألت وأنا أرتشف عصير الليمون من كأس الشمبانيا: «هل هذا صحيح؟».

- لقد عانيت بسبب موضوع الكتان، وكنتُ قلقًا هذا الصباح من كوني اشتريت الشيء الخطأ...

- إذًا أعطني إياه الآن. ثم ستعلم.

أدخلت يدك في الحقيبة الجلدية التي أعطيتها لك العام الماضي، وسلمتني طردًا مربعًا. كان ناعمًا. عادة ما أكون حذرة للغاية عندما أفك أغلفة الأشياء،

لكنني كنت أعلم أن البيتزا تبرد لذا مزقت الورق. كان هناك وسادة من الكتان بالداخل. واسمي مخيطًا عليها مع الكلمات التالية تحتها:

كانت تؤمن بأنها تستطيع فعل أي شيء، لذا فعلت.

حاولتُ ألا أبكي لكنني فعلت مجددًا. دموع سعادة. شعرت كما لو كنت تعلم بالفعل أنني حامل. لقد آمنت بي حتى عندما لم أكن قادرة على الإيمان بنفسي.

كنت على وشك شكرك عندما نظرت إلى أعلى ولاحظت التعبير الغريب على وجهك. كنت تحدق إلى ساقي وعندما تابعت نظرتك استطعت رؤية السبب. قطعت قطرة كثيفة من الدم الأحمر القاني طريقها إلى نعلي. وعندما وقفتُ في ذعر كان هناك المزيد.

وفقًا لأول طبيب رأيناه في قسم الطوارئ، لم أكن حاملًا لفترة تكفي لأطلق عليه اسم إجهاض. كان طبيب أمراض النساء الذي فحصني بعد ذلك أكثر تعاطفًا قليلًا، لكن ليس كثيرًا. إذا نظرنا إلى الوراء الآن أتمنى لو لم أخبرك على الإطلاق، فلن تكون قادرًا على الحزن على شيء لم تكن تعرفه قط. وأنا أشعر بالآسف والحزن بما يكفي لكلينا.

ذهبتُ مباشرة إلى غرفة نومنا عندما وصلنا إلى المنزل، حتى إنني تركت بوب يتمدد على نهاية السرير. حاولت البكاء حتى أنام لكن ذلك لم ينجح، لم ينجح شيء. أعتقد أنني سأتحدث إلى الطبيب العام حول الحصول على بعض الحبوب المنومة. لاحظت أن ساعتي توقفت عند الساعة الثامنة وثلاث دقائق، وتساءلت عما إذا كان هذا هو الوقت المحدد لوفاة طفلنا. خلعت الساعة من معصمي، لا أريد رؤيتها أو وضعها مرة أخرى. سأتذكر دائمًا ما قلته عندما صعدت إلى الطابق العلوي واحتضنتني:

- لطالما أحببتكِ وسأظل أحبكِ دائمًا.

- ليس كليًّا؟

سألتك محاولة جعلك تبتسم رغم كوني محطمة. لكنك لم تبتسم. بدلًا من ذلك بدوت جادًّا أكثر من أي وقت مضى.

- دائمًا وأبدًا. أنا آسف جدًّا لأنه يبدو أننا لن نحظى بالأطفال، ولأنني أعرف كم يعني ذلك بالنسبة إليك، وكيف كنتِ ستصبحين أمًّا رائعة. لكن ذلك لا يغير شيئًا بالنسبة إليَّ. أنا معك مدى الحياة، بصرف النظر

عن أي شيء آخر، لأن هذه عائلتنا: أنتِ وأنا وبوب. لسنا بحاجة إلى أي شخص أو أي شيء آخر. لا شيء سيغير تلك الحقيقة.

لكن الكلمات لا تستطيع إصلاح كل شيء، مهما كنت مولعًا بها.

بعد ساعات، عندما كنت نائمًا ولكني ما زلت لا أستطيع النوم، اعتقدت أنه من الأفضل أن أنهض وأنزل إلى الطابق السفلي. تبعني بوب كما لو كان يعلم أن شيئًا ما كان خطأ. أضع البيتزا الباردة غير المأكولة -التي كانت لا تزال حيث تركناها عندما بدأت أنزف- في سلة المهملات، بجانب وسادة الكتان التي أهديتني إياها. الكلمات التي نُقشت عليها مؤلمة جدًّا بحيث لا يمكن قراءتها مرة أخرى. كنت تعتقد أنني أستطيع فعل كل شيء، ثم اعتقدتُ ذلك أيضًا لفترة وجيزة. الآن لستُ متأكدة من أي شيء. لا أعرف من يُفترض أن أكون إذا لم أستطع أن أصبح الشخص الذي حلمت أن أكونه. ولا أعرف ماذا يعني ذلك بالنسبة إلينا.

لقد أصبحت مغرمة بكتابة الرسائل ولن أسمح لك بقراءتها أبدًا. أجدها طريقة للتفريغ عما أشعر. إنها تجعلني أشعر بتحسن، رغم علمي أنك سوف تدمَّر إذا وجدتها. لهذا السبب أخفيها بعيدًا. سأحتفظ بالفحص من المستشفى معها. تذكيرًا بما كاد أن يكون لدينا. لقد وضعته بالفعل داخل الظرف الذي أعطتني إياه العيادة باسمي:

السيدة أ. رايت.

أحمله الآن ولا يمكنني تركه. استخدم موظف الاستقبال خطًّا زخرفيًّا في كتابة اسمي الأول، كما لو كان شيئًا جميلًا. أتذكر عندما تزوجنا وأخذت لقبك لأول مرة، تدربت على توقيعي الجديد لأسابيع بأحرف زخرفية خاصة بي. كنت سعيدة جدًّا لكوني زوجتك، لكن لم تتحقق أي من الأمنيات التي تمنيتها منذ ذلك الحين. أعتقد أن هذا قد يكون خطئي، وليس خطأك. آمل أنه إذا اكتشفت الحقيقة فستتمكن من مسامحتي وأن تحبني مهما كان الأمر. دائمًا وأبدًا. كما وعدت.

زوجتك

أميليا

أسمع ضوضاء أخرى في الطابق السفلي من الكنيسة وأعلم أنني لا أتخيلها.

أحاول الوصول بعمى إلى مفتاح الضوء بجوار السرير، لكنه لا يعمل. إما أن يكون هناك انقطاع آخر للتيار الكهربائي -والذي يبدو غريبًا إذا كان هناك مولد- وإما أن شخصًا ما قطع التيار. أحاول ألا أسمح لخيالي النشط بجعل هذه التجربة أكثر ترويعًا مما هي عليه الآن. أقول لنفسي إنه لا بد من وجود تفسير منطقي. لكنْ بعدها سمعت صوتًا واضحًا لخطوات أقدام تطأ أسفل السلم مصدرة صريرًا.

أحبس أنفاسي عازمةً على ألا أسمع سوى الصمت.

لكن يصدر صرير آخر من ألواح الأرضية القديمة، يليه صرير آخر، وصوت الشخص الذي يصعد الدرج يرتفع ويقترب. أغطي فمي بيدي لأمنع نفسي من الصراخ عندما تتوقف الخطوات خارج باب غرفة النوم مباشرة.

أريد الوصول إلى آدم لكن لا يمكنني التحرك من الخوف.

عندما أسمع صوت مقبض الباب يبدأ في الدوران، أسقط من السرير في عجلة من أمري للابتعاد عن أيٍّ مَن كان موجود، وأتمنى لو كنت ألبس أكثر من مجرد ثوب نوم واهٍ. أمسك بالأثاث غير المألوف وأتحسس بطريقي في الظلام، وأمشي بأسرع ما يمكن بهدوء نحو الحمام. أنا متأكدة من أن بابه به

قفل. بمجرد أن أجد ما أبحث عنه أغلق الباب خلفي وأحصن نفسي بالداخل. مفتاح الضوء لا يعمل هنا أيضًا، لكنْ ربما يكون هذا أمرًا جيدًا.

سمعت باب غرفة النوم ينفتح ببطء والمزيد من الخطوات الزاحفة. أغمض عيني في الظلام راغبةً في أن تتكيف عيناي مع الإضاءة المنخفضة، ثم أحبس أنفاسي وأتراجع بقدر ما أستطيع فيما يقترب صوت صرير ألواح الأرضية. أدرك أنني كنت أحرك خاتم خطبتي حول إصبعي -وهو شيء أفعله فقط عندما أكون في غاية القلق-. لم أعد أستطيع إخراج الخاتم -الذي كان يخص والدة آدم- من إصبعي بعد الآن، وبدأت أشعر بضيقه الشديد. وأشعر بالإحساس نفسه في صدري، وقلبي ينبض بصوت عالٍ للغاية، أخشى أن مَن كان في الخارج يمكنه سماعه عندما يتوقف خارج باب الحمام مباشرة.

يدور المقبض ببطء شديد. ويحاول مجددًا عندما يكتشف أن الباب مغلق. بقوة أكبر هذه المرة. أشعر كأنني في فيلم «البريق» (The Shining)، لكن النافذة الوحيدة في هذا الحمام مصنوعة من الزجاج الملون، حتى لو **فُتحت** فلن أتمكن من المرور منها أبدًا، ومن المحتمل أن يقتلني السقوط من هذا الارتفاع إلى الأرض بالأسفل. أبحث عن سلاح، أي شيء لأدافع عن نفسي به، أجد القليل من الراحة في ماكينة الحلاقة من جيليت فينوس. ولكني أمسكها أمامي بصرف النظر، ثم أضغط نفسي على الحائط غير قادرة على الابتعاد أكثر. البلاط على ظهري العاري قارس البرودة.

كل شيء هادئ لبضع ثوان. ثم يحطم الصمت صوت قبضة يد على الباب. أنا خائفة جدًّا وبدأت في البكاء والدموع تنهمر على خدي.

«أميليا، هل أنتِ هناك؟ هل كل شيء بخير؟».

صوت زوجي يحيرني ويهدئني في الوقت ذاته.

- آدم؟ هل هذا أنت؟

- مَن سيكون غيري.

فتحت الباب ورأيته يقف هناك لابسًا بيجامته، ويحاول ألا يتثاءب، وشعره مبعثر في كل الاتجاهات. الضوء من حامل الشمعدان قديم الطراز الذي يحمله

يلقي بظلال خافتة حول غرفة النوم، لذلك أشعر الآن أنني في رواية لتشارلز ديكنز.

يسأل: «لماذا تبكين؟ هل أنتِ بخير؟».

تتعثر كلماتي في عجلة من أمري لأقولها: «لا، لستُ كذلك. شيء ما أيقظني، سمعتُ ضجيجًا في الطابق السفلي، ولم تعمل الأضواء، ثم سمعت شخصًا يصعد السلالم و...».

- لقد كان هذا أنا أيتها السخيفة. كنت أشعر بالعطش وذهبت لإحضار كوب من الماء. لكنني أعتقد أن **جميع** الأنابيب قد تجمدت لأن كل الصنابير لا تعمل.

- لا يوجد ماء؟

- ولا يوجد كهرباء. يبدو أن العاصفة قد أوقفت المولد. حاولت العثور على صندوق المصاهر في أثناء وجودي هناك -فقط في حال تمكنت من إصلاح شيء ما- لكنْ لم أجده. من الجيد أنه لدينا هذه الشمعدانات المخيفة!

يحمل الشعلة الوامضة أسفل ذقنه ويصنع مجموعة من الوجوه السخيفة، كما يفعل الأطفال بالمصابيح في عيد الهالوين. بدأت أشعر بالتحسن قليلًا. على الأقل يوجد تفسير منطقي. ثم أشعر بالحماقة...

«ظننت أنني سمعت ضجيجًا في الطابق السفلي. صوت شخص ما يتسلل. كنت خائفة جدًّا...».

يقاطعني آدم: «أنا أيضًا، هذا ما أيقظني».

يعود خوفي مجددًا بعد فترة وجيزة من شعوري بالراحة: «ماذا؟».

- كان هذا هو السبب الآخر الذي جعلني أذهب إلى الطابق السفلي، للتحقق من أن كل شيء على ما يرام. لكن الباب الرئيسي لا يزال مغلقًا، ولا توجد طريقة أخرى للدخول أو الخروج، يبدو هذا المكان محصنًا كقاعدة الجيش فورت نوكس. ألقيت نظرة فاحصة على المكان، لم يتمكن أي لص -أو خراف- من اقتحام المكان وكل شيء على ما يرام. تمامًا كما تركناه. إلى جانب أن بوب كان سينبح إذا دخل شخص غريب.

هذا صحيح، إن بوب يزمجر إذا جاء شخص غريب إلى الباب الأمامي في منزلنا، لكنْ فقط حتى نفتحه. ثم يهز ذيله بسرعة مضاعفة ويتدحرج ليُظهر للزوار بطنه، كلاب اللابرادور ودودة للغاية بحيث لا يمكنها أن تكون كلاب حراسة جيدة.

نعود إلى السرير وأطرح سؤالًا لا يريد الإجابة عنه أبدًا.

- هل تمنيت يومًا أن يكون لدينا أطفال؟

- ليس حقًّا.

- لماذا؟

أتوقع أن يغير آدم الموضوع -وهذا ما يحدث عادةً بعدها- لكنه لم يفعل ذلك وقال: «أحيانًا يسعدني أنه ليس لدينا أطفال، لأنني خائف من أننا قد نحطمهم نفسيًّا بطريقة ما، كما فعل آباؤنا. أعتقد أنه ربما وصل نسلنا إلى نهايته لسبب ما».

أعتقد أنني فضلت الأمر عندما لم يرد. لا أحبه عندما يصفنا بهذا الشكل، لكن جزءًا مني يتساءل عما إذا كان على حق. لطالما شعرت بأن الأشخاص الذين كنت أهتم بهم بحماقة تخلوا عني، بما في ذلك والداي. نعم لقد ماتا في حادث سيارة قبل ولادتي، لكن النتيجة -كبرت وحدي- هي نفسها كما لو أنهم هجروني عمدًا. إذا لم يكن لديك أي شخص تحبه أو يحبك عندما كنت طفلًا، فكيف ستتعلم أن تحب؟

لكنْ أليس الحب مثل التنفس؟ أليست غريزة؟ شيئًا ولدنا ونحن نعرف كيف نفعله؟ أم الحب مثل التحدث بالفرنسية؟ إذا لم يعلمك أحد فلن تصبح طليقًا أبدًا، وإذا لم تتدرب فستنسى كيف تتحدث...

أتساءل ما إذا كان زوجي لا يزال يحبني حقًّا.

أعترف: «أنا لا أحب الوجود هنا».

- أنا أيضًا. ربما يجب أن نغادر في الصباح، ونجد فندقًا لطيفًا في مكان ما أقل بُعدًا.

- فكرة جميلة.

- نعم. دعينا نحاول الحصول على قسط من النوم حتى يحل الضوء بالخارج، ثم نحزم أمتعتنا ونذهب. ربما يجب أن تأخذي حبة منومة أخرى، قد تساعد.

أفعل كما يقول -على الرغم من التحذيرات الواردة في الوصفة الطبية- لأنني مرهقة، وإذا كنت سأضطر إلى القيادة لساعات مجددًا غدًا فأنا بحاجة إلى قسط من الراحة. لكن قبل أن أغمض عيني لاحظت أن الساعة الدقاقة في زاوية الغرفة قد توقفت. أنا سعيدة فعلى الأقل **ذلك** لن يوقظنا مجددًا في الليل. حدقت إلى الوقت ورأيت أنه توقف عند الساعة الثامنة وثلاث دقائق، وهو ما يبدو غريبًا -اعتقدت أننا سمعنا الأجراس في منتصف الليل- لكن عقلي متعب جدًّا لدرجة أنه لا يمكنني حتى محاولة الفهم. وضع آدم ذراعه حول خصري وجذبني إليه. لا أستطيع تذكر آخر مرة فعل ذلك في السرير، أو جعلني أشعر بالأمان هكذا. بعيدًا عن أي شيء آخر فقد قربتنا الرحلة بالفعل أحدنا من الآخر. كالعادة ينام في غضون دقائق.

آدم

أتظاهر بالنوم، وأتساءل لكم من الوقت سأضطر إلى احتضانها قبل أن أتمكن من العودة إلى ما كنت أفعله في الطابق السفلي.

لطالما كانت أميليا تعاني مع النوم، لكن الحبوب تساعدها، وتبدأ أنفاسها تنتظم عندما تعمل الحبوب. لذلك كل ما عليَّ فعله هو الانتظار والاستماع. بالطريقة نفسها التي انتظرت بها قبل قليل. يجب أن تفي الحبة الثانية بالغرض، إنها تفعل عادةً، حتى عندما أسحقها سرًّا وأضعها في شايها. إنها شخصية قلقة للغاية. هذا لمصلحتها. بمجرد أن تنام مجددًا أنهض من تحت الملاءات ممسكًا بالشمعدان من جانب السرير، وتاركًا الغرفة بهدوء قدر الإمكان. لا أحتاج إليها حقًّا لتضيء طريقي -أعلم إلى أين أنا ذاهب- لكنْ أدوِّن ملاحظة ذهنية لتجنب الألواح الأرضية المزعجة: أعرف أيها يصدر صريرًا.

يتبعني بوب أسفل الدرج الخشبي الحلزوني، أحب امتلاك كلب لهذا السبب: فالكلاب محبة ومخلصة للغاية. وهي ليست قاسية القلب ولا شكاكة. إنها لا تشعر بالغيرة ولا تبدأ الشجار طوال الوقت حتى تخاف من الوجود معها. الكلاب لا **تكذب**. قد يكون أصم قليلًا هذه الأيام، لكن بوب يسعد برؤيتي، فيما أميليا ترى الأشياء من وجهة نظرها فقط.

أنا متعب، من كل ذلك.

اعتدت الإيمان بالحب، لكني كذلك اعتدت الإيمان ببابا نويل وجنية الأسنان. لقد سمعت الناس يصفون الزواج على أنه قطعتان مفقودتان من اللغز يجتمعان معًا ويكتشفان أنهما مناسبتان تمامًا. لكن هذا فقط خطأ. الناس **مختلفون** وهذا شيء جيد. قطعتان من الألغاز المختلفة لا يمكن أن تتلاءما معًا ولن تتناسبا إلا إذا أُجبرت إحداهما على الانحناء أو الانكسار أو التغير لتلائم الأخرى. أستطيع الآن رؤية أن زوجتي قد أمضت الكثير من الوقت في محاولة تغييري، وجعلي أشعر بأنني أصغر، حتى نكون أكثر ملاءمة.

يجب ألا يعِد أحد بحب شخص آخر إلى الأبد، أكثر ما على أي فرد عاقل فعله هو الوعد بالمحاولة. ماذا لو أصبحت غير قادر على التعرف على الشخص الذي تزوجته بعد عشر سنوات؟ الناس يتغيرون والوعود -حتى تلك التي نحاول الوفاء بها- تُخلَف أحيانًا.

لقد بدأت في الجري مرة أخرى قبل بضعة أشهر. إن الكتابة مهنة فردية وهي أيضًا ليست نشطة بشدة. أقضي كمية وقت مخيفة في الجلوس على مؤخرتي في السقيفة، والجزء الوحيد من جسدي الذي يحصل على تمرين لائق هو أصابعي، بفعل الكتابة على لوحة المفاتيح. يأخذني بوب للمشي مرة واحدة في اليوم ولكنه -مثلي- يتقدم في السن. كان الجري يتعلق فقط بالرشاقة ومحاولة الاعتناء بنفسي بشكل أفضل. لكن **بالطبع** افترضت زوجتي أن هذا يعني أنني كنت أخطط لخيانتها. قبل أسبوعين وضعت حذائي للركض مع القمامة في الليلة التي سبقت جمع صناديق القمامة. رأيتها تفعل ذلك. هذا ليس سلوكًا طبيعيًّا.

اشتريت للتو حذاء جري جديدًا، لكنه ليس الشيء الوحيد في حياتي الذي يحتاج إلى الاستبدال. قد لا أكون جيدًا في التعرف على الوجوه لكن يمكنني القول إنني أبدو أكبر سنًّا. أنا بالتأكيد أشعر بالأمر. ربما لأن الجميع في مجالي يبدو أنهم أصبحوا أصغر سنًّا هذه الأيام: المديرون التنفيذيون والمنتجون والوكلاء. بدا كل شخص موجود في غرفة الكاتب التي شاركت فيها مؤخرًا كأنه كان ينبغي أن يكون في المدرسة بدلًا من الوجود هنا. اعتدت أن يكون هذا أنا. كنت الطفل الجديد في المجال. من الغريب أن تكون ما زلت

تشعر بأنك صغير، لكن يبدأ الجميع في معاملتك كما لو كنت كبيرًا في السن. أنا في الأربعينيات من عمري فقط، ولست مستعدًّا للتقاعد بعد.

هل أنا منجذب لأشخاص آخرين؟ بالتأكيد فأنا إنسان، لقد خُلقنا لنكون كذلك. ليس بسبب وجه جميل، لا أستطيع أن أراهم على أي حال. الناس يشبهون الكتب قليلًا بالنسبة إليَّ بهذه الطريقة، وأميل إلى أن أكون مفتونًا بصدق بما هو في الداخل بدلًا من مجرد غلاف لامع. أعترف أنني كنت أفكر كثيرًا في الآونة الأخيرة في امرأة أخرى، تخيلت كيف سيكون الأمر إذا كنت معها بدلًا من ذلك. لكن ألا يملك الجميع القليل من التخيلات من حين إلى آخر؟ هذا كل ما في الأمر ولا يعني ذلك أنني **سأفعل** شيئًا حيال ذلك. المرة الأخيرة التي صاحبت فيها امرأة ما كان يجب أن أصاحبها لم تنتهِ بشكل جيد بالنسبة إليَّ. أعتقد أنني قد تعلمت هذا الدرس. علاوة على كوني أعمل دائمًا، وليس لدي وقت لأقيم علاقة غرامية هذه الأيام. أبذل قصارى جهدي لتهدئة الغيرة المستمرة لزوجتي، لكنْ بصرف النظر عما أقول، فإنها لا تبدو قادرة على الوثوق بي.

بطريقة ما من حقها ألا تثق بي.

لم أكن صادقًا تمامًا مع زوجتي قط، لكن هذا لمصلحتها.

هناك أشياء كثيرة لا أستطيع إخبارها بها؛ مثل الحبوب المنومة التي أضعها أحيانًا في مشروباتها الساخنة قبل النوم. أشياء لا تحتاج إلى معرفتها. لقد كنتُ من قطع الكهرباء عندما كانت في القبو في وقت سابق. إنها لا تفهم صناديق المصاهر، كل ما كان عليَّ فعله هو النقر على مفتاح التيار وإغلاق الباب السري. لقد نسيت أمر المولد بالخارج، لكنني أوقفت تشغيله الآن أيضًا، ولن تعود الكهرباء في أي وقت قريب.

خشب

كلمة العام:

شخص نزيه (mensch): شخص طيب القلب ويتصرف بأمانة وشرف.

28 من فبراير 2013 - الذكرى السنوية الخامسة لنا.

عزيزي آدم

أنا آسفة لتصرفي بغيرة شديدة مؤخرًا، وآمل أن نتمكن من ترك هذه الأشهر القليلة الماضية وراءنا. قد يبدو من الغريب عدم ذكر موضوع الأطفال على الإطلاق. لا أستطيع التظاهر بأن ذلك لم يحدث، أو أنني لا أريد أن أكون أمًّا. لم يكن الأمر يتعلق بإنجاب أطفالك (آسفة)، أردت فقط أن أحظى بأطفالي. لقد توقفت عن التخلي عن الكثير من الأشياء في الحياة، لكنني كنت أعلم عدم مقدرتي على الاستمرار في محاولة الإنجاب. ليس بعد فشل الجولة الأخيرة من أطفال الأنابيب. كانت الحسرة تقتلني، وكان حزني يقتل زواجنا.

لفترة من الوقت كنت آمل سرًّا أن يحدث الأمر. لقد قرأت كل تلك القصص عن الأزواج الذين حملوا بمجرد توقفهم عن المحاولة، لكن هذا ليس ما خططتْ له الحياة لنا. كنت أبكي في الأشهر القليلة الأولى كلما أتتني فيها

الدورة الشهرية، ليس الأمر كأنني أخبرتكَ. لكن أعتقد أنني تخطيت ما حدث الآن، أو على الأقل ابتعدت بما يكفي لأتنفس مجددًا. يمكن أن تبدو الحياة ملآنة بالثغرات عندما لا يكون للحب ملاذ.

بوب ليس طفلًا -أعلم ذلك- لكني أفترض أنني أعامله كطفل لم أحظَ به. وقد كرست نفسي مجددًا لعملي في مأوى الكلاب في الأشهر القليلة الماضية. الترقية غير المتوقعة التي حصلت عليها لم تزد راتبي أكثر من ذي قبل، لكنْ من الجيد الشعور بالتقدير. وأدركت أنني شخص جيد. عدم القدرة على الحمل لم يكن عقابًا، بل فقط لم تكن الخطة. عندما كنت طفلة قيل لي مرارًا وتكرارًا إنني سيئة، وأحيانًا ما زلت أصدق ذلك. لكنهم كانوا مخطئين بشأني. كلهم.

تشاجرنا الأسبوع الماضي، أول شجار لنا منذ وقت طويل، هل تتذكر؟ ما زلت أشعر بالذنب حياله. لكي نكون منصفين أعتقد أن الكثير من الزوجات قد يكون رد فعلهن بالطريقة نفسها. لقد عدت إلى المنزل في حالة سكر وتأخرت كثيرًا عما قلت إنك ستفعل. ربما لم يكن سيزعجني الأمر كثيرًا لو لم أبذل جهدي للطهي. لكن بدلًا من تفهم غضبي الصامت عندما صنعت مشهدًا برمي عشائك البارد غير المأكول في سلة المهملات، لقد أخبرتني كل شيء عن أكتوبر أوبراين. وقعت الممثلة الأيرلندية الشابة الحائزة على جوائز في حب السيناريو الخاص بك: **حجر ورقة مقص**. لقد تواصلتْ مع وكيلك وتحول اجتماع بعد الظهيرة لثلاثة أشخاص إلى مشروبات ووجبة لشخصين. فقط أنتَ وهي. لم أكن قلقة على الإطلاق حتى بحثت في محرك البحث عن الفتاة ورأيت كم كانت جميلة.

تثرثر بابتسامة سخيفة على وجهك: «عليكِ مقابلتها بنفسكِ».

كانت شفتاك ملطختين قليلًا بالنبيذ الأحمر، على الأقل كنت آمل أن يكون هذا ما كانتا ملطختين به، وأكملت: «أفكارها حول كيفية تحسين النص... عبقرية!».

لقد ساعدتُكَ أيضًا على هذا السيناريو منذ سنوات. قد لا أكون ممثلة هوليوود لكني أقرأ، كثيرًا. واعتقدت أن فريقنا أدى عملًا جيدًا جدًّا.

قلت: «ستحبينها...».

لكنني أشك في ذلك كثيرًا، وأكملتَ قائلًا: «إنها بكل بساطة مبهجة... ساحرة جدًّا وذكية و...».

قاطعته: «لم أدرك أنها كانت كبيرة كفاية لشرب الكحول».

احتسيت بعض النبيذ فيما كنت أنتظر.

قلتَ بنظرة جعلتني أرغب في لكمك: «لا تتصرفي هكذا».

- كيف أتصرف؟ ليس الأمر كما لو أن هذا لم يحدث من قبل. قال ممثل أو ممثلة إنهم يحبون قصتك، ولن يرتاحوا حتى تُصنع في هوليوود...
- هذا مختلف.
- حقًّا؟ الفتاة بالكاد تخرجت في المدرسة...
- إنها في العشرينيات من عمرها وقد فازت بالفعل بجائزة بافتا.
- لقد ربحتَ جائزة بافتا في العشرينيات من عمرك أيضًا، لكنها لم تحقق لك ما تريد. بالتأكيد هي منتجة تحتاج إليها لدعم المشروع ... أو شركة إنتاج.
- أملك فرصة أفضل بكثير مع ممثلة مثل أكتوبر. إذا قرعت الأبواب في لوس أنجلوس فسوف يفتحون لها. فيما بالنسبة إليَّ ما لم أحصل على كتاب مشهور آخر لاقتباسه قريبًا، فيبدو أن جميع الأبواب تغلق.

شعرت بالسوء حينها. لقد كان الأمر صعبًا عليك هذا العام. ما زلت تحصل على أعمال لكنها ليست من النوع الذي تريده حقًّا. كنتُ على وشك تغيير الموضوع محاولةً أن أكون أكثر لطفًا، لكنكَ بعدها انتقدتني بشدة مدافعًا عن نفسك: «إنه لأمر مخزٍ أنك لم تعودي مولعة بحياتك المهنية، عندها ربما كنتِ ستتفهمين».

قلت: «هذا ليس عادلًا».

رغم أنه كان كذلك.

- حقًّا؟ لم تحصلي على زيادة مناسبة في راتبك من باترسي لسنوات، لكنك ما زلتِ تعملين هناك.

- لأنني أحب العمل هناك.

- لا، لأنكِ خائفة للغاية حتى من التفكير في العمل في مكان آخر.

- لا نريد جميعًا حكم العالم، وبعضنا يريد فقط جعله مكانًا أفضل.

كان التفكير في كونكَ لست فخورًا بي مؤلمًا. كثيرًا. أعلم أنك تعتقد أنه يمكنني فعل المزيد في حياتي، لكن هذا ليس خطئي بالكامل. عندما يكون لدى الشخص الذي تحبه الكثير من الأفكار الرائعة، فيمكنه أن يتفوق على أفكارك كليًّا. وما زلتُ أحبكَ. لقد وضعت كل شغفي على أحلامك بدلًا من أحلامي.

لقد نمتَ في غرفة النوم الإضافية في تلك الليلة، لكننا تصالحنا منذ ذلك الحين. في الوقت المناسب للاحتفال بالذكرى السنوية لهذا العام.

لقد كنت مستيقظًا قبلي هذا الصباح، وهو أمر لم يحدث من قبل، وغير متوقع نظرًا إلى التأخير الذي تأخرته في إعادة كتابة سيناريو عمره عشر سنوات مرة أخرى الليلة الماضية. عندما أحضرت صينية الإفطار إلى غرفة نومنا ظننت أنني أحلم. لم تفعل ذلك من قبل طوال السنوات التي كنا فيها معًا. لذلك كان يجب أن أعرف أن شيئًا ما كان خطأ.

تناولنا البيض السائل، كما أحب أن أطلق عليه -البيض نصف المطهو هو مصطلحك المفضل للكبار- مع شرائحِ الخبز المحمص. كنت أتطلع إلى قضاء اليوم معًا لذلك لم أستطع فهم سبب استيقاظك مبكرًا، أو سبب حرصك على إعادة الأكواب والأطباق المتسخة إلى الطابق السفلي.

سألتُ: «لسنا بحاجة إلى التسرع، أليس كذلك؟».

اعترف وجهك قبل أن تفعل كلماتك: «أنا آسف جدًّا، أريد الذهاب لمقابلة وكيل أعمالي. لن أستغرق وقتًا طويلًا حقًّا...».

- لكننا اتفقنا على قضاء اليوم كله معًا هذا العام. لقد أخذتُ إجازة سنوية.

- سنقضي اليوم معًا. سأذهب لبضع ساعات فقط. أعتقد حقًّا أن **حجر ورقة مقص** قد يُصنَع هذه المرة. أريد فقط التحدث إليه شخصيًّا -تعلمين أنها الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها معرفة ما يفكر

فيه حقًّا بشأن كل شيء- فيما يتقدم المشروع مجددًا. لأرى ما إذا كان سيوافق على الخطوات التالية و...

أعلم أنك لا تستطيع رؤية التعبير الذي يظهر على وجهي، لكن يبدو أنك تمكنت من قراءة لغة جسدي.

- أعلم أنها الذكرى السنوية لكني أعدك بأنني سأعوضكِ الليلة...

قلتُ: «هل سنتناول العشاء معًا؟».

- سننتهي الساعة الخامسة مساءً. على أبعد تقدير. سأتصل بك بمجرد انتهائي، أحضرت لكِ هذا.

لقد كانت تذكرة لأداء صباحي لعرض كنت أرغب في رؤيته لأشهر. لقد بيع منذ افتتاحه. كانت التذكرة لليوم، لذلك على الأقل سأستمتع بفعل شيء في أثناء عملك. لكن هذا يعني أيضًا أنك **تعلم** أنني كنتُ سأحتاج إلى شيء لفعله. لوحدي. كانت هناك تذكرة واحدة فقط. لقد قدمت لك هدية الذكرى السنوية الخاصة بكَ بعدها. من المفترض أن تكون الهدية للذكرى الخامسة مصنوعة من الخشب. لذلك أهديتكَ مسطرة منقوش عليها الآتي:

متزوجان منذ خمس سنوات، هل تصدق ذلك؟

ابتسمت ورفعت ربطتَي عنق وطلبت مني اختيار واحدة. لأكون صادقة أنا أكره كلتيهما، لكنني أشير إلى التي تحتوي على الطيور. بدا الأمر غريبًا حتى في ذلك الوقت، نظرًا إلى أنك لم تتأنق عادةً لرؤية وكيلك.

قلت وأنت تقرأ أفكاري: «إنها ليست لي، بل لكِ».

لففت ربطة العنق الحريرية حول وجهي لتغطي عيني. ثم أخذتني من يدي وقدتني إلى الطابق السفلي.

همستُ عندما سمعتك تفتح الباب الأمامي: «لا يمكنني الخروج بثياب النوم!».

- بالتأكيد يمكنكِ الخروج، ما زلتِ تبدين جميلة مثل يوم زواجنا، بالإضافة إلى أن هذه هي الطريقة الوحيدة لأريكِ هدية الذكرى السنوية الحقيقية.

قلتُ: «اعتقدتُ أنها تذكرة المسرح».

- أعطيني بعض الفضل.

- لا أستطيع، آسفة. أنت بالفعل تدين لي بالكثير.

- هدية هذا العام من المفترض أن تكون مصنوعة من الخشب، أليس كذلك؟

تقدمت بضع خطوات بتردد، الطريق البارد يؤلم قدميَّ العاريتين حتى وصلتا إلى العشب. توقفنا وأزلتَ العصبة المحكمة عن عيني.

كانت هناك شجرة صغيرة قبيحة بلا أوراق في منتصف ما كان في السابق حديقتي المثالية.

قلتَ: «إنها شجرة».

- أستطيع رؤية ذلك.

- أعلم أنكِ كنتِ ترغبين دائمًا في الحصول على شجرة ماجنوليا، لذا...

- هل هذا ما يجب أن تكون.

بدوت مجروحًا. لذا أكملتُ قائلة: «أنا آسفة، هذا لطف منك حقًّا. أنا أحبها. أعني ربما ليس الآن، لكنْ عندما تزدهر، أراهن أنها ستبدو رائعة».

بدوت سعيدًا مجددًا.

- شكرًا لكَ، إنها الهدية المثالية. اذهب الآن واجعل سيناريو الفيلم الخاص بك يتحول إلى فيلم ضخم في هوليوود، حتى نتمكن أنا وبوب من السير على السجادة الحمراء في ميدان ليستر.

كنت خارج الباب بمجرد حصولك على إذن مني، وكنت وحدي في ذكرى زواجنا. مجددًا.

إذا نظرنا إلى الوراء الآن -الإدراك المتأخر أمر سيئ- أعتقد أن كل شيء كان سيكون على ما يرام لو لم ينطلق إنذار الحريق في المسرح بعد ظهر ذلك اليوم. أُجلي الجميع بعد فترة وجيزة من بدء العرض، واستُدعيتْ فرقة الإطفاء، وأُلغي العرض الذي كان من المفترض أن أراه.

لهذا السبب عدت إلى المنزل في وقت أبكر مما كان مخططًا له.

في طريقي إلى المنزل وجدت نفسي أحدق إلى زوجين في مترو الأنفاق. كانا في سننا لكنهما يمسك أحدهما بيد الآخر ويبتسمان مثل مراهقين مغرمين. أراهن أنهما يقضيان دائمًا احتفالات الذكرى السنوية معًا، وبدأت أتساءل عن مكاننا في مقياس العلاقات الطبيعية. لم أكن توصلت بعد إلى إجابة عندما عدت إلى محطة هامبستيد. أمطرت السماء عندما بدأت المشي وغمرتني في الوقت الذي وصلت فيه إلى بوابة حديقتنا. شعرت بغضب لا يمكن تفسيره عند رؤية شجرة الماجنوليا التي زرعتها، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى الباب الأمامي، كانت يداي ترتعشان من الغضب والبرد.

بينما كنت أجاهد لإدخال المفتاح في القفل، سمعت امرأة تضحك داخل منزلنا. عندما فتحت الباب ودخلت الردهة، شعرت كأنني أحلم. كانت هناك ممثلة هوليود تشرب النبيذ في مطبخي. معك. في ذكرى زواجنا.

سألتَ وتبدو منزعجًا مثلما شعرتُ: «ماذا تفعلين في المنزل في وقت مبكر؟».

قلتُ وأنا أحدق إليها طوال الوقت: «أُلغِيَ العرض».

لم أستطع التوقف عن النظر. كانت أكتوبر أوبراين أكثر جمالًا في الحياة الواقعية مما كانت عليه في جميع الصور التي بحثت عنها على الإنترنت في جوجل. كانت بشرتها الشاحبة للغاية الشبيهة بالبورسلين خالية من العيوب، وشعرها النحاسي القصير يضيء تحت أضواء مطبخنا. إذا صففت شعري بالطريقة نفسها كنت سأبدو كفتى، لكنها بدت كأنها أميرة جنية سعيدة، بعينيها الخضراوين الكبيرتين وابتسامتها البيضاء الواسعة. حتى في العشرينيات من عمري، لم أبدُ بذلك الجمال.

ثم قدمتَ إحدانا للأخرى، كما لو أن عودتي إلى المنزل لأجد زوجي يشرب النبيذ بعد الظهيرة مع امرأة أخرى -لم أشاهدها إلا في التلفاز وفي الأفلام- كان أمرًا طبيعيًّا. كنت على وشك قول شيء غبي وإحراج نفسي، لكنْ بعد ذلك ابتسمت الشفتان الحمراوان المثاليتان لأكتوبر وشرحتا الموقف، وهو شيء كان عليك فعله.

قالت وهي تمد يدها بأظفارها المقلمة بمثالية: «إنه لمن الرائع أن ألتقيكِ».

للحظة لم أكن متأكدة مما إذا كنت سأصافحها أو أقبلها أو أصفعها بعيدًا. كان لدي دافع غريب للانحناء لها، أكملتْ: «اعترفَ زوجك الليلة الماضية أنه لم يطبخ لك قطُّ وجبة للذكرى السنوية. قلت إنني لا أريد أي علاقة بالسيناريو حتى يصحح هذا الوضع، وعرضت عليه المساعدة عندما قال إنه لا يستطيع الطهو. كان من المفترض أن تكون مفاجأة... لكن ربما كانت مفاجأة سيئة».

شعرت أن وجهي أصبح ساخنًا لعدة أسباب في وقت واحد.

السبب الأول أنني أتمنى لو أنني نظفت ثلاجتنا مؤخرًا، ثم شعرت بالذعر بشأن حالة الأواني والمقالي القديمة، كنت قلقة بشأن ما ستفكر فيه عني وعنا وعن حالة مطبخنا. ثم تمنيت لو أنني وضعت المزيد من مستحضرات التجميل، لأنني شعرت كأنني خفاش عجوز متهالك بجانب هذا المخلوق الجميل.

ما كان عليَّ أن أقلق. لا أعتقد أنني قابلت يومًا امرأة أكثر كرمًا أو لطفًا، فلا عجب أنك أردت العمل معها. وقع بوب في حب ضيفتنا أيضًا، لكنه يحب الجميع. أصررتُ على بقاء أكتوبر لتناول الوجبة التي أعدتها معنا -أنتَ لم تجادل- وبمجرد أن لبست ملابس جافة وفتحت زجاجة نبيذ أخرى، قضينا أجمل أمسية. كانت الوجبات الثلاث لذيذة، خاصة بودينج الشوكولاتة. اعتقدت أنني سأشعر بالتهديد من قبل شخص مثل أكتوبر أوبراين. إنها مذهلة للغاية وناجحة وذكية... لكنها كانت ساحرة ومتواضعة ولطيفة للغاية. جعلني أدرك أنه بصرف النظر عن كيف يعتقد الجميع أن تكون شخصية المشاهير، في نهاية اليوم هم مجرد أناس. مثلي ومثلك. حتى هؤلاء الذين يملكون جمالًا مُقلقًا.

قلتَ عندما غادرت أكتوبر: «كنتُ أعلم أنكِ ستحبيها أيضًا إذا قابلتِها».

- كنتَ محقًّا، لكني أحبكَ أكثر.

سألتَ مبتسمًا: «كليًّا؟ إذن أنتِ لا تمانعين عملي معها الآن؟ ولن تغاري؟».

أجبته: «من قال إنني شعرت بالغيرة؟».

- لست بحاجة إلى الشعور بالغيرة. إنها جميلة لكنها لا تزال ممثلة.

- هل تعتقد أنني جميلة؟

قلتَ: «أنتِ أ. ش».

- أ. ش؟

- أهم شخص في حياتي.

شكرًا لكَ على ذكرى لا تُنسى هذا العام، ذكرى لن أنساها بالتأكيد. خمس سنوات. أين ذهبت؟ الكثير من الذكريات، معظمها سعيدة، وأتطلع إلى صنع المزيد معك في المستقبل. أظن أن كل شخص يملك أهم شخص. أنا لكَ وأنتَ لي. الآن وإلى الأبد.

زوجتك

روبين

تجلس روبين ساكنة تمامًا مختبئة في زاوية باردة ومظلمة من الكنيسة، حتى يعود الزائران إلى الطابق العلوي مرة أخرى. نزل الرجل **مرتين** وكادت أن تُمسك. تتساءل عما إذا كان سيتعرف عليها الآن. بصرف النظر عن عمى وجهه فإنها تخشى أن تكون قد تغيرت بشكل لا يمكن إدراكه منذ أن التقيا آخر مرة.

عندما دخلت روبين منذ أكثر من ساعة، اعتقدت أنهما أخلدا إلى النوم، واضطرت إلى الاختباء عندما سمعته ينزل على الدرج الحلزوني الخشبي القديم. تمكن بطريقة ما من تجنب كل الدرجات التي تصدر صريرًا. لحسن الحظ كانت الصالة -التي اعتقدت دائمًا أنها مكتبة بها أرائك- بها الكثير من الأماكن المظلمة، وخزائن الكتب وفرت لها غطاءً كبيرًا حتى تتمكن من رؤية مَن يكون. بعد ذلك دخلت إلى الغرفة السرية. الأسرار هي أسرار فقط لمن لا يعرفها حتى الآن. يمكن أن تتحول إلى أكاذيب عند مشاركتها، ومثل تحول اليرقات إلى فراشات يمكن للأكاذيب الجميلة أن تطير بعيدًا. لا يوجد شيء لا تعرفه روبين عن هذه الكنيسة القديمة: فقد كانت تعيش هنا.

لا يزال بإمكانها العيش هنا الآن إذا أرادت، لكنها اختارت عدم فعل ذلك.

لا تحب روبين البقاء داخل المكان لفترة أطول من اللازم هذه الأيام. يتعين عليها دائمًا التحلي بقدر هائل من الشجاعة للدخول إلى باب الكنيسة القديم هذا، وفي المناسبات النادرة التي لا يمكن فيها تجنب فعل ذلك، فإنها

تفعل ما تحتاج إلى فعله في أسرع وقت ممكن قبل الخروج مجددًا. قد يرغب الزائران في الخروج أيضًا إذا كانا يعرفان حقيقة مكان إقامتهما، لكن الناس يرون ما يريدون رؤيته.

الغرفة السرية مخفية خلف المكتبة وهذا الجزء من الكنيسة هو أكثر جزء تكرهه روبين. من السهل العثور على ما يقع وراء خزانة الكتب -إذا كنت تعرف المكان الذي تبحث فيه- لكنْ عليك استخدام عينيك. يعيش معظم الناس وأعينهم مغلقة. والكتب تعد أماكن جيدة في إخفاء جميع أنواع الأشياء، وخاصة الكتب المغلقة، تمامًا مثل الأشخاص المغلقين.

بعض الذكريات خانقة، وتنوُّع الذكريات الذي تستحضره هذه الغرفة يخنقها دائمًا، مما يجعل التنفس صعبًا. تحاول روبين البقاء ساكنة قدر الإمكان، فيما تدرس أرضية الباركيه في الغرفة السرية كما لو كانت لغزًا قد تتمكن من حله، وتحاول ألا تنظر إلى أي شيء يذكرها بالماضي الذي تفضل نسيانه. لكنَّ الذكريات لا تأخذ أوامر. فهي تأتي وتذهب كما يحلو لها.

القمر مكتمل ومشرق الليلة. يتسلل ضوؤه من خلال النوافذ الزجاجية الملونة ويلقي بسلسلة من الظلال التي تشكل أنماطًا غريبة وغير مألوفة. مشهد ظلها على الحائط يلفت انتباهها ويجعلها تشعر بأنها صغيرة. حتى ظلها يبدو حزينًا. لا تقصد روبين أن تقبض يدها، لكنْ عندما ترى صورة ظلها تفعل الشيء نفسه، فإنها ترفع يدها إلى أعلى وتغير شكل أصابعها. أولًا حجر. ثم تبسطها مثل الورق. ثم تؤدي حركة قطع مثل المقص، وتبتسم.

تستعد روبين للمغادرة عندما تصبح متأكدة من أنها يمكنها فعل ذلك بأمان. تتجمد عندما تعتقد أنها ترى شخصًا ما، لكنه فقط انعكاسها في المرآة فوق رف الموقد. صدمها المشهد: لم تتعرف على نفسها تقريبًا. لا توجد مرايا في كوخها الصغير. المرأة في المرآة هنا التي تحدق إليها في الغرفة السرية تبدو كبيرة جدًّا، وبشرتها الشاحبة بيضاء جدًّا لدرجة أنه يمكن أن يُخطئ في اعتبارها شبحًا.

أدخلت روبين يدها في جيبها باحثةً عن المفتاح لتغلق الغرفة السرية خلفها، لكن أصابعها تجد شيئًا آخر، مما يوفر لها موجة صغيرة من الراحة التي تشتد حاجتها إليها: أحمر شفاهها المفضل. الذي قد تهالك وأصبح

كالجذع المسطح. تتذكر أول مرة استخدمته: أمطرت تلك الليلة وتأذت بشدة. لكن ذلك عزز أهمية عدم الثقة بأحد إلا نفسها.

غالبًا ما تكون أفضل الدروس هي تلك التي لا ندرك أننا نتعلمها.

تضع روبين القليل من أحمر الشفاه -رغبةً منها في حفظ ما تبقى لأطول فترة ممكنة- ثم تعجب بانعكاسها الجديد في المرآة. تبتسم مجددًا لكنها لم تدُم فسرعان ما يعبس فمها متوقفًا عن الابتسام. ومع ذلك فهو يعد تحسنًا، ويمنحها الشجاعة لفعل ما أتت إلى هنا لتفعله.

لم يكن **وجها** الزائرين سعيدين عند وصولهما أو عندما راقبتهما من النافذة. بينما كانت تتربص في الطابق السفلي تمرر أصابعها على كعوب الكتب في الصالة، لاحظت أن أصواتهما لم تبدُ سعيدة أيضًا. استمعت إليهما وهما يتحدثان في غرفة النوم بالطابق العلوي. نقل صوتاهما كلماتهما، وبدا أن كلماتهما ترتد من السقف المقبب مزدوج الارتفاع في الأعلى مباشرة إلى أذنيها في الأسفل.

يبدو الأمر غريبًا بالنسبة إليها أن الزائرين اعتقدا حقًّا أنه يمكنهما البقاء هنا مجانًا. فقط الحمقى يؤمنون بوجود شيء دون مقابل. كان عليها كتم ضحكتها عندما سمعتهما يوافقان على المغادرة في الصباح. لكن سرعان ما تحولت متعتها إلى غضب. هذه هي أكبر مشكلة مع الناس في الوقت الحاضر: فهم لا يقدِّرون ما **يملكون**، ويريدون دائمًا المزيد. لا يريدون **العمل** من أجل الحصول عليه. ولا يريدون أن **يكتسبوه**. ويتنهدون ويتأوهون كالأطفال المدللين عندما لا يحصلون على ما يريدون. يعتقد الكثير من الناس أن العالم مدين لهم بشيء ما، ويلومون الآخرين على خيارات حياتهم السيئة. ويعتقد الجميع أنه يمكنهم الهروب إذا لم تسر الأمور وفقًا لخططهم.

لن يحدث ذلك هنا.

يمكن للزائرين **قول** ما يحلو لهما، بل يمكنهما أن يختارا تصديقه إذا كان ذلك يساعدهما على النوم عندما يضعان رأسيهما على الوسائد. ربما توقفت العاصفة **في الخارج** -في الوقت الحالي- لكن لن يغادر أحد هذا المكان صباح الغد. بعد ما شاهدته وسمعته بالفعل، فإن روبين متأكدة تمامًا من أن واحدًا منهما على الأقل لن يغادر هذا المكان مجددًا.

أميليا

لا يزال الجو مظلمًا بالخارج، لكني أهز آدم لإيقاظه.

«اختفى بوب. لا أستطيع إيجاده!».

أشاهد زوجي بفارغ الصبر وهو يفرك عينيه بالنوم، ويرمش بعينيه في الظلام ناظرًا حول غرفة النوم. **رائحتها** كما لو كنا في كنيسة الآن. تلك الرائحة المتعفنة للأناجيل القديمة والإيمان الأعمى. المصدر الوحيد للضوء هو اللهب المنبعث من الشمعدان الذي أحمله، ويستغرق الأمر بعض الوقت من آدم حتى يتذكر أين نحن. الجو قارس البرودة هنا مثل الخارج الآن كما أعتقد، بفضل انقطاع التيار الكهربائي بالكامل منذ البارحة، ويضع أغطية السرير حوله بشكل غريزي.

أسحبها للخلف: «هل سمعتني؟ بوب مفقود!».

يقول آدم وهو يقاوم التثاؤب: «كان ينام على بسطة الدرج».

- حسنًا، إنه ليس هناك الآن.

- ربما نزل الطابق السفلي.

- إنه ليس هناك أيضًا! لقد بحثت في المكان كله، إنه ليس هنا!

الآن يبدو آدم قلقًا.

لقد سمع أخيرًا ما أقوله. القلق غير المألوف على وجهه يجعلني أشعر بشعور أسوأ -عادةً **أنا** من يقلق وليس هو-. يظل دائمًا هادئًا عندما أشعر

بالقلق الشديد. نحن يوازن أحدنا مشاعر الآخر، هكذا يعمل زواجنا. أو اعتاد أن يعمل.

يقول: «حسنًا، كان الباب الأمامي مغلقًا بالتأكيد وبوب لا يملك مفتاحًا، لذلك **يجب** أن يكون هنا في مكان ما. سأساعدك في البحث».

ويضيء الشمعة الأخرى ويرتدي كنزة فوق البيجامة، محاولة ضعيفة لمكافحة البرد. ويكمل قائلًا: «أنا متأكد من أننا إذا وضعنا بعض الطعام في وعائه فسوف يأتي راكضًا، إنه يفعل ذلك في العادة».

لا يزال آدم نصف نائم، لكنه يترجل من السرير ويسرع إلى بسطة الدرج. توقف مؤقتًا ليحدق إلى سرير الكلب الفارغ -كما لو أنني ربما أختلق كون بوب مفقودًا- ثم أسرع أمامي إلى أسفل الدرج. ألاحظ أنه يتخطى عن عمد بعض الدَرجات التي تصدر صريرًا عاليًا عندما أمشي عليها.

سألته فيما أتبعه عن قرب: «كيف عرفت الدَرجات التي لا ينبغي لك السير عليها؟».

- ماذا؟

- لقد تخطيت بعض الدَرجات، تلك التي تصدر صريرًا.

- أوه... حسنًا، إنها تزعجني. مثل الخزائن والأبواب التي تصدر صريرًا.

- لكننا وصلنا الليلة الماضية فقط. كيف عرفت أيها...

- قد لا أتمكن من تذكر الوجوه، ولكنَّ الحقائق والأرقام أو الأشياء التي يغفل عنها معظم الناس -مثل الدَرجات التي تصدر صريرًا- تميل إلى أن تترسخ في ذهني. أنتِ تعرفين ذلك عني.

كثيرا ما يتذكر آدم تفاصيل غريبة. ذاكرة فوتوغرافية لأشياء غير مهمة. قررت التوقف عن ذكر الأمر -لدينا مشكلات أكبر يجب أن نقلق بشأنها الآن- ونبحث معًا في كل ركن من كل غرفة عن الكلب المفقود.

يقول آدم: «لا أفهم، فالباب لا يزال مغلقًا، من المستحيل أن يكون قد خرج منها».

أجبته: «حسنًا، هو لم يختف في الهواء أيضًا».

وسكبت بعض الطعام في وعاء طعام بوب وناديت اسمه.

قوبل ندائي بصمت يبدو أكثر خطورة من ذي قبل. لا أعرف ما عليَّ عمله. ألتقط هاتفي لكن بالطبع لا توجد إشارة، ومَن الذي سأتصل به حتى لو وجدت إشارة؟

يقول آدم ونسرع إلى غرفة الأحذية: «يجب أن نبحث في الخارج».

يفتح آدم قفل باب الكنيسة القديم.

المشهد الذي يظهر أمامنا يوقفنا في طريقنا.

بدأت الشمس تشرق خلف جبل بعيد، ويوجد ما يكفي من الضوء في الخارج حتى نرى جدارًا من الثلج يصل إلى أعلى ركبتي. كل شيء مغطى بغطاء أبيض سميك، وبالكاد أستطيع تحديد شكل سيارتنا على الممر. إذا كان بوب موجودًا حقًّا في مكان ما وسط ثلج بهذا العمق، فهو لن يدوم طويلًا.

يقرأ آدم أفكاري ويبذل قصارى جهده لتهدئة الأفكار المذعورة التي تدور بداخل رأسي.

- لقد رأيتني أفتح أقفال الباب، لقد كان مغلقًا بالتأكيد. الثلج أطول من بوب وحتى لو كان بإمكانه الخروج فلن يفعل؛ هذا الكلب لا يحب المطر. **لا بد** أنه بالداخل، هل بحثت في القبو؟

- بعد ما حدث الليلة الماضية؟ وبشمعة فقط؟ بالطبع لا.

يقول: «سأستخدم الكشاف في هاتفي».

كنت على وشك تصحيح ما قاله -لقد نسي أن هاتفه المحمول لا يزال في لندن- لكنْ بعدها أشاهده وهو يسارع للعثور على الحقيبة الجلدية القديمة التي يستخدمها في عمله. إنها رثة للغاية، يجب أن أحضر له واحدة جديدة. يمد يده داخلها ويسحب هاتفه.

الهاتف الذي تظاهر بأنه لم يتمكن من العثور عليه في السيارة فيما كان معه طوال الوقت.

غالبًا ما يكون سبب كذب الشخص أكثر إثارة للاهتمام من الكذبة نفسها. يجب ألا يكذب زوجي. إنه ليس جيدًا في ذلك.

آدم

أمسك هاتفي المحمول وأشعل الكشاف مسرعًا إلى الباب السري. إنه مغلق لذا لا أعتقد أن بوب كان بإمكانه النزول إلى هناك، لكنه أيضًا المكان الوحيد الذي لم نبحث فيه. أفتحه وأنزل على الدرجات الحجرية بأسرع ما أجرؤ. كل ما أجده هو رفوف النبيذ المتربة نفسها، وكتيب متسخ يبدو صناعة منزلية على الأرض:

تاريخ كنيسة بلاك ووتر

أنا متأكد من أن ذلك لم يكن موجودًا من قبل.

أقول فيما أصعد الدرج: «بوب ليس في الأسفل».

مشتتًا بقطعة الورق التي في يدي.

أميليا لا ترد، فقط تحدق. إذا كان بإمكاني رؤية التعبير على وجهها، فأنا أعلم أنه سيكون تعبيرًا سيئًا، ذراعاها مطويتان وهي تقف بوضعية توحي بأنني واقع في مشكلة.

سألت: «ماذا؟».

- اعتقدت أنك لا تستطيع العثور على هاتفك.

قُبض عليَّ.

وسرعان ما أُستبدِلَ الغضب بالذنب الذي أشعر به.

- حسنًا، لحسن الحظ أنني لاحظتكِ تزيلين هاتفي من السيارة قبل مغادرتنا. لقد كذبت عليَّ بشأن ذلك وكنتِ تتصرفين بغرابة لأسابيع. هل يوجد أي شيء آخر كنت تكذبين بشأنه؟ هل بوب مفقود حقًّا؟

- لا تفعل ذلك. أنتَ تعلم أنني أحب بوب.

- اعتقدت أنكِ تحبينني.

فكرة أن أميليا لها علاقة باختفاء بوب لا يمكن تصورها، لكنْ بعد سلوكها المجنون مؤخرًا لم أعد أعلم ما أفكر فيه.

- كل ما أردته هو قضاء عطلة لطيفة. فقط نحن الاثنان، لمرة واحدة. ليس أنا وأنت وعملك اللعين. الكتابة والكتب والسيناريوهات... هذا **كل** ما يبدو أنك تهتم به هذه الأيام. لهذا السبب أخرجت هاتفك من السيارة، لأنك تقضي ساعات طويلة في النظر إليه طوال الوقت لدرجة تشعرني أنني غير مرئية.

بدأتْ في البكاء الآن –البطاقة التي تستخدمها دائمًا **للتهرب من الموقف**- ولا يمكنني أن أظل غاضبًا منها. ليس الأمر كما لو أنني كنت صادقًا في كل شيء.

تسأل: «هل لديك إشارة على هاتفك؟ ربما يمكننا الاتصال بشخص ما».

أستخدم شبكة مختلفة عنها، لذا فهو سؤال منطقي.

- لا، لقد تحققت بالفعل.

توحي لغة جسدها بأنها اطمأنت، لكن هذا غير منطقي. لا بد أنني قرأت لغة جسدها بشكل خاطئ. أكره ما أصبحنا عليه، لكن لا يمكن لومي على كل ما حدث. لا يمكن استعارة الثقة، إذا أُخِذَت الثقة لا يمكنك استعادتها.

- أريد أن أخبركِ بشيء.

أقول الكلمات بهدوء وأندهش من سماعها.

خطت أميليا بعيدًا عني: «ماذا؟».

- الليلة الماضية... لم أنزل إلى الطابق السفلي للحصول على كوب من الماء. لقد رأيت... شيئًا في الأسفل هنا قبل أن نذهب إلى النوم. لم أرغب في إخافتك لذلك انتظرت حتى تنامي، ثم عدت إلى الطابق السفلي لمحاولة فهم الأمر. لقد كنتِ بالفعل منزعجة للغاية بعد حادثة القبو ولم أرغب في جعل الأمور أسوأ.

- هل يمكنك الدخول في صلب الموضوع رجاءً.

- سأتحدث إذا سمحتِ لي.

- ماذا وجدت؟

- هذا.

أقول فيما أفتح أحد أدراج المطبخ. إنه مكتظ بالمقالات الصحفية القديمة عن أكتوبر أوبراين: «إنها الممثلة التي...».

- أعلم من هي يا آدم. إنه ليس شيئًا من المحتمل أن أنساه.

تقول أميليا وتسحب قصاصات الصحيفة المقطوعة بدقة واحدة تلو الأخرى وتضعها على طاولة المطبخ: «لا أفهم. لماذا قد تكون **هذه هنا**...».

- لقد وجدت هذا في القبو الآن. لقد فكرت في إخفاء ذلك عنكِ أيضًا -أعلم كم تعني لكِ هذه العطلة- لكني أعلم أيضًا أنكِ لا تحبين الأسرار.

أُريها الكتيب.

- ما هذا؟

- عليكِ قراءته بنفسك. لا أعتقد أننا مُرحَب بنا هنا.

- لكنْ لماذا قدموا عطلة مجانية على أنها جائزة يانصيب؟ **هم** مَن دعونا.

- مَن الذي دعانا؟

لا تجيب أميليا لأنها لا تعلم.

تلتقط قطعة الورق البيضاء الواهية الملآنة بالكلمات، ثم تحدق مطولًا إلى الصفحة الأولى كما لو كانت خائفة من فتحها. أشاهدها في صمت وهي تقرأ.

تاريخ كنيسة بلاك ووتر

بُنِيَت كنيسة صغيرة وظلت موجودة في هذا الموقع بجوار بحيرة بلاك ووتر منذ منتصف القرن التاسع على الأقل. كانت مهجورة بالفعل لعدة سنوات عندما اشترى المالك الحالي العقار والأراضي المحيطة به. ومع قدر كبير من الحب والعمل الجاد قرر تحويل هذا المبنى المهجور إلى منزل جميل.

تشتمل ميزات المبنى الأصلية على العديد من الأحجار المنحوتة التي يرجع تاريخها إلى ما بين 820-840 ميلاديًّا. وهي واحدة من أقدم الكنائس الاسكتلندية المسجلة. نعلم أن الكنيسة لم تُستَخدم لغرضها الأصلي منذ رحيل الكاهن الأخير، رحل الأب «دوغلاس دالتون» في عام 1948. لا توجد روايات باقية عن وقته هنا، فقط شائعات محلية (غير مثبتة) بأنه تُوفي بسبب سقوطه من برج الجرس.

وفقًا لسجلات أخرى، تضاءل عدد المصلين في الكنيسة إلى الصفر تقريبًا مع تقدم عمر السكان المحليين، ولهذا السبب تُركت مهجورة. لم

يُعرف الكثير عن التاريخ الحقيقي للكنيسة حتى بدأت أعمال البناء في تحويل ما كان في ذلك الوقت حطامًا متداعيًا إلى مكان مناسب للعيش.

كشفت أعمال الحفر التي حدثت في القبو من أجل بناء أساس أقوى أن الكنيسة كانت تستخدم سجنًا للساحرات في القرن السادس عشر. عُثِرَ على حلقات حديدية في جدران القبو، حيث قُيِّدَ النساء والأطفال المدانون بممارسة السحر بالسلاسل قبل أن يُعدَموا حرقًا. عُثِرَ على عظام أكثر من مئة ساحرة مشتبه بها مدفونة في الأرضية مع ذرياتهن. كشفت الفحوصات أن أحد الهياكل العظمية ينتمي إلى فتاة تبلغ من العمر خمس سنوات.

تتشارك مجموعة من الحكايات المحلية والأساطير الشعبية قصصًا متشابهة حول كنيسة بلاك ووتر. تتضمن معظمها حكايات عن هياكل شبحية يمكن رؤيتها تطفو فوق البحيرة ليلًا. يوجد العديد من الروايات عن نساء يرتدين زي ساحرات بوجوه وملابس محترقة. تقول الشائعات إنهن يتجولن حول الكنيسة بعد غروب الشمس، ويحدقن من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون، ويبحثن عن أطفالهن القتلى. توجد عدة تقارير عن مثل هذه المشاهدات في الصحافة المحلية على مر السنين، قبل أن يبتعد الناس عنها لشعورهم بالخوف.

تقريبًا جميع البنائين المشاركين في تجديد العقار قالوا إنهم شعروا بالبرد بشكل غير مفهوم في القبو، وزعم البعض أنهم سمعوا أسماءهم تُهمس عندما كانوا هناك. لكنْ من المهم أن نلاحظ أنه ليس كل مَن يزور كنيسة بلاك ووتر يشهد ظاهرة خارقة للطبيعة أو يرى الأشباح.

نأمل أن تستمتعوا بإقامتكم.

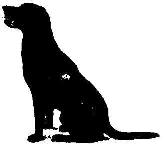

أميليا

أقول عقب انتهائي من القراءة: «نحتاج إلى العثور على بوب والخروج من هنا».

يضع آدم الكتيب وقصاصات الصحف عن أكتوبر أوبراين في درج المطبخ، ثم يغلقه بإحكام، كما لو أن جعلها تختفي قد يساعد. لست متأكدة من الرابط بين أكتوبر وهذا المكان حتى الآن، لكنه لا ينظر في عيني.

- لم أكن أريد إخافتكِ.

أقاطعه قائلة: «أنا لست **خائفة** بل غاضبة. لا أؤمن بالأشباح. يحاول شخص ما تخويفنا. لا أعلم حتى الآن مَن يكون ولماذا...».

- لا أعتقد أنه علينا استباق الأحداث.

- أوافقك الرأي. عوضًا عن ذلك يجب أن نجد بوب ونحزم أمتعتنا ونسرع إلى السيارة.

لبسنا ملابسنا بعد أقل من خمس دقائق. بعد البحث في الكنيسة بأكملها مجددًا عن الكلب، لم يتبق مكان للبحث باستثناء الخارج.

الآن بعد توقف الثلج عن التساقط، يبدو الأمر كأننا نخطو إلى لوحة. منذ أن استيقظتُ تحولت السماء من الأسود إلى الرمادي إلى الأزرق الباهت، ويمكنني رؤية مناظر أكثر مما فعلتُ عندما وصلنا الليلة الماضية في الظلام. هناك جبال مغطاة بالثلوج وغابات كثيفة من بعيد. تنعكس حفنة من السحب

البيضاء على السطح الزجاجي الثابت للبحيرة الشاسعة، ويبدو أن الكنيسة البيضاء القديمة تتلألأ في شمس الصباح الباكر. ثم لاحظتُ برج الجرس وتذكرتُ الليلة الماضية. من المستحيل عدم ملاحظة جزء الجدار الذي انهار. لا عجب أن اللافتة على الباب تنص على وجود **خطر**.

- آدم...

مكتبة ياسمين

- ماذا؟

- الجدار المنهار.

t.me/yasmeenbook

- ماذا عنه؟

- ماذا لو صعد بوب بطريقة ما إلى برج الجرس والحائط المتضرر... وسقط؟

- حينها سيكون ممددًا مصابًا في الثلج.

لا تعجبني الطريقة التي أجاب بها عن السؤال لكني أعلم أن آدم على حق. نبدأ البحث في الخارج في صمت. هذه بلا شك واحدة من أجمل مناطق العالم وأقلها تضررًا، لكني لا أطيق الانتظار للمغادرة.

لم أحضر ملابس أو أحذية مناسبة لهذا الطقس. الثلج مرتفع للغاية ولا نملك خيارًا سوى شق طريقنا بصعوبة من خلاله بأحذيتنا الرياضية. أصبح جورباي وقدماي مبللة في غضون ثوانٍ، والنصف السفلي من بنطالي مبللًا وثقيلًا بفعل الماء البارد المتجمد. لكنّي بالكاد ألاحظ ذلك لكوني قلقة جدًّا بشأن الكلب. عند رؤية المكان في وضح النهار يمكننا الآن حقًّا تقدير مدى عزلة الوادي الشاسع الذي نحن فيه وحجمه. لا نجد ما نبحث عنه لكنْ سرعان ما نكتشف ما حدث لجميع أحواض الاستحمام المفقودة في المبنى. أُخفِيَ ثلاثة أحواض استحمام بأقدام مخلبية خلف المبنى، مُلِئَتْ بالنباتات، من مظهرها تبدو كنبتة الكالونا، بدرجات مختلفة من اللون الوردي والأرجواني.

إنها ليست الاكتشافات غير المتوقعة الوحيدة.

نصادف في طريقنا مقبرة صغيرة -وأفترض أنه قد يكون وجودها خلف كنيسة قديمة متوقعًا- مع مجموعة من شواهد القبور القديمة تبدو مخبأة بالكامل تقريبًا بالثلج. يوجد أيضًا مجموعة من المنحوتات الخشبية الداكنة

المنتشرة خارج الكنيسة، على الأقل اثنان أو ثلاثة في كل اتجاه أنظر إليه. الأرانب المنحوتة يدويًّا التي تبدو كأنها تقفز من الأرض المتجمدة، وسلحفاة ضخمة، وطيور بوم خشبية عملاقة جالسة على جذوع الأشجار التي صُنعت منها. لديها جميعًا أعينًا ضخمة محفورة يدويًّا، والتي يبدو أنها تحدق إلى اتجاهنا كما لو كانت تشعر بالبرد والخوف مثلنا. حتى الأشجار بها وجوه منحوتة فيها، لذلك من المستحيل ألا تشعر أنك مُراقب.

أنادي اسم بوب مرارًا وتكرارًا، لكنْ بعد عشرين دقيقة من المشي في دوائر لا أعلم ماذا أفعل. لن يفهم الموقف أي شخص لا يملك كلبًا، لكن الأمر محزن تمامًا مثل فقدان طفل.

أسأل عندما يبدو أننا لا نملك أفكارًا أخرى: «هل تعتقد أن شخصًا ما قد أخذه؟».

يقول آدم: «لماذا قد يفعل أي شخص ذلك؟».

- لماذا قد يفعل أي شخص أي شيء؟

- إذًا مَن فعل؟ نحن في وسط اللامكان.

- ماذا عن ذلك الكوخ الصغير المصنوع من القش الذي مررنا به في طريقنا؟

- بدا فارغًا.

- ألا يجب أن نتحقق؟

يهز رأسه: «لا يمكننا فقط اتهام شخص ما بـ...».

- لا، لكنْ يمكننا طلب مساعدته. إنه أقرب بكثير من الطريق الرئيسي منا، لذلك ربما لا يزال لديه تيار كهربائي... أو على الأقل هاتف يمكننا استخدامه. الكوخ ليس بعيدًا لذا يمكننا المشي. الأمر يستحق المحاولة، أليس كذلك؟ إذا خرج بوب بطريقة ما، فربما رأوه.

لم يرغب آدم في الحصول على جرو قطُّ. أوقفته ذكريات الطفولة التي ما زالت تطارد أحلامه -أمر مفهوم- لكن ذلك تغير عندما التقى بوب. رغم أن زوجي يخفي مشاعره جيدًا في بعض الأحيان، فإنني أعلم أنه يحب ذلك الكلب بقدر ما أفعل.

يقول آدم ويمسك بيدي وأسمح له بإمساكها: «حسنًا، لنذهب».

بعض أجزاء البحيرة مجمدة، ومجددًا تتحول أفكاري إلى بوب. يكره المطر أو الصقيع أو الثلج أو أي شيء يسقط من السماء لكنه يحب الماء، فهو يقفز دائمًا في الأنهار أو يجري إلى البحر. لكن من المؤكد أن كلبنا العجوز السخيف كان سيعرف أنه يجب أن يبتعد عن بحيرة متجمدة. أحاول ألا أفكر في الأمر ونحن نسير نحو الكوخ البعيد. باستثناء صوت خطواتنا وهي تضغط الثلج النقي فإن صوت الرياح الباردة خافت وصامت. يمكن أن يصبح الصمت مخيفًا عندما لا تكون معتادًا إياه، ولأنني أعيش في لندن وأعمل في باترسي فأنا لست معتادة إياه بالتأكيد. أحيانًا أسمع كلابًا تنبح في نومي. لكن الوضع هنا هادئ للغاية. بشكل غير طبيعي. لا توجد حتى عصافير تغني. والآن فيما أفكر في الأمر فأنا لا أتذكر رؤية أي عصافير.

لم تبد المسافة بهذا البعد عندما تحركنا، لكن الطريق استغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة للوصول إلى الكوخ. إنه شيء صغير بجدران مطلية باللون الأبيض مثل الكنيسة تمامًا، وسقف من القش. تقريبًا مثل منزل للأقزام. إنه صغير جدًّا وناءٍ لدرجة أنني لا أستطيع تخيل سبب رغبة أي شخص في العيش فيه، لكنْ هناك سيارة متوقفة بالخارج -مخفية تمامًا عن الأنظار- مما يمنحني الأمل في أن شخصًا ما يعيش هنا. إنها سيارة كبيرة، ربما لاند روفر قديمة. من الصعب المعرفة لأن نصفها مدفون بالثلج. مهما كان نوعها فأنا متأكدة من أنها ستتكيف بشكل أفضل من سيارتي في هذا الطقس.

تنحنحت قبل طرق الباب الأحمر. أشعر بالتوتر لسبب ما، ولست متأكدة مما سأقول إذا فتح أحد الباب.

لم يوجد داعٍ للقلق. لأنه لم يفتحه أحد.

إنه أمر غريب لأنه بإمكاني القسم إنني سمعت أصواتًا عندما كنا نسير في الطريق، ربما مذياع أو شخص يتحدث إلى طفل بنبرة خافتة. أنظر إلى آدم الذي يهز كتفيه، ثم أطرق الباب مجددًا. أقوى قليلًا هذه المرة. لا يوجد حتى الآن إجابة ولا إشارة أو صوت للحياة على الإطلاق.

قال آدم وهو يحدق إلى السطح: «انظري إلى ذلك».

أفترض أنه يقصد القش، لكن عندما أنظر إلى أعلى أرى دخانًا يخرج من المدخنة. **لا بد** من وجود شخص ما بالداخل.

يقول: «ربما لا يمكنه سماعنا. ابقي هنا وسألقي نظرة سريعة في الخلف».

يختفي قبل أن أتمكن من الإجابة، وذهب لفترة طويلة حتى بدأت أشعر بالقلق.

سألته عندما عاد أخيرًا: «هل وجدتَ أي شيء؟».

قد يكون بسبب البرد أو أنني أتخيل الأمر لكنه يبدو أكثر شحوبًا مما كان عليه.

يقول: «نعم ولا».

- ماذا يعني ذلك؟ نحتاج فقط إلى العثور على بوب.

- يوجد فوضى عارمة في الخلف، نباتات متضخمة تمامًا ويوجد أيضًا مرحاض في الخارج. لكن لا يوجد حوض استحمام هذه المرة على الأقل، لكن أعتقد أن مَن يعيش هنا لا بد أنه كبير في السن. لا يوجد باب آخر، فقط بضع نوافذ متسخة. رأيت امرأة بالداخل تجلس بجوار المدفئة.

- عظيم...

يقول قاطعًا أفكاري الإيجابية بالمزيد من أفكاره السلبية: «ربما لا، طرقتُ على النافذة لجذب انتباهها وأعتقد أنني أخفتها».

- حسنًا، هذا أمر مفهوم، أشك في أنها تستقبل العديد من الزوار في هذا المكان هنا. يمكننا فقط الاعتذار. أنا متأكدة من أنها سترغب في المساعدة بمجرد أن نشرح الأمر.

- لا أعتقد ذلك. كانت هناك شموع في كل مكان...

- حسنًا، كان هناك انقطاع للتيار الكهربائي وربما يكون المكان مظلمًا إلى حد ما بالداخل.

- لا، أعني في **كل مكان**. يوجد المئات منها. بدت كأنها ساحرة تلقي تعويذة.

- لا تكن سخيفًا. لقد وضع هذا الكتيب الغبي أفكارًا سخيفة في رأسك...

- لم يكن هذا كل شيء. كان هناك حيوان على حجرها.

أتخيل بوب المسكين وأشعر بالدوار: «أي نوع من الحيوانات؟».

- أعتقد أنه أرنب أبيض...

شعور الراحة يغمر شعوري بالخوف. للحظة شعرت بالرعب مما قد يقوله آدم. أكمل قائلًا: «... لم أملك الوقت الكافي لاستيعاب ما كان يحدث قبل أن تراني».

- وماذا حدث عندما رأتكَ؟

لقد حدقت إلى وجهي لفترة طويلة، ثم خطت مباشرة إلى النافذة بقربي منكِ الآن نفسه. كانت لا تزال تحمل الأرنب الأبيض السمين، **إذا** كان هذا ما كان عليه من الأساس. ثم أغلقت الستائر.

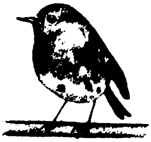

روبين

لم تغلق روبين ستارة واحدة فحسب، بل أغلقتها جميعًا.

أطفأت كل الشموع أيضًا -لم يكن يوجد سوى حفنة وليس المئات، لكن الرجال يميلون إلى المبالغة- ثم تجلس في الظلام تنتظر ليتوقف قلبها عن الخفقان بهذه السرعة. لم يخطر ببالها قط أن شخصًا ما سيكون فظًّا بما يكفي للتعدي على ممتلكاتها أو المشي حول منزلها دون دعوة -يحدق إليها من خلال الزجاج كما لو كانت حيوانًا في حديقة حيوانات-. الستائر ليست ستائر على الإطلاق بل ملاءات مستعملة مثبتة فوق النوافذ. لاحظت اللون الأصفر على القماش الرث الناتج عن دخان الغليون. اعتادت أن تكون بيضاء. لكن لا يهم ما **اعتاد** أن يكون عليه أي شيء ما دام يؤدي المهمة. والأشياء لا تحتاج إلى أن تكون جميلة لتخدم غرضًا ما. قد لا تكون روبين جميلة بعد الآن لكنها تملك كل الحق في أن تكون هنا.

ليس مثلهما.

اعتادت روبين وهي طفلة الجلوس في الظلام هكذا عندما كانت خائفة. لقد كان حدثًا يحدث بانتظام. تفعل ما كانت تفعله حينها لمحاولة تهدئة نفسها: تشبك ساقيها وتغلق عينيها، ثم تركز على تنفسها. تستنشق وتزفر أنفاسًا بطيئة وعميقة. وتكرر العملية. على الأقل كان **هو** فقط من رآها، وهذا شيء يجب أن تكون ممتنة لأجله.

يبدو الأمر واضحًا الآن بعدما فكرت فيه -بالطبع سيأتي الزائران إلى هنا بحثًا عن المساعدة- إنها منزعجة فقط لأنهما تمكنا من مفاجأتها على حين غرة.

تتساءل روبين عما يفكران فيه الآن.

هذا بالكاد يعد وضعًا طبيعيًّا لأي منهما، بعيدًا كل البعد عن الطبيعي، وتتوقع أن يبدأ التوتر والخوف في التأثير سلبًا فيهما. يعتقد الأزواج دائمًا أنهم يعرفون شركاءهم أفضل من أي شخص آخر -خاصة إذا كانا مرتبطين لعدة سنوات- لكن هذا لا يعني أنه صحيح. تعرف روبين أشياء عن كل منهما، أشياء هي متأكدة من أنهما لا يعرفها أحدهما عن الآخر.

رأته ينظر إلى الأرنب في حجرها بمزيج من الرعب والاشمئزاز على وجهه. لكن الأرنب أوسكار هو رفيقها الوحيد هذه الأيام. هو مخلوق يحب العادات مثلها، ويميل دائمًا إلى القفز على الكرسي بعد وجبة الإفطار المكونة من العشب والخضروات الطازجة، أو علب طعام الأطفال -عندما يتساقط الثلج-. إنه حقيقي على الأقل، على نقيض الشخصيات التي يصنعها آدم رايت داخل رأسه ويقضي كل **وقته** معها. السيد رايت يخطئ أحيانًا. فلن يحكم هؤلاء الناس على روبين.

تزحف على يديها وقدميها نحو مقدمة الكوخ متجنبة النوافذ. هي بحاجة إلى معرفة إذا كان الزائران قد ذهبا بعد أم لا، يوجد الكثير لتفعله وقليل من الوقت. لكنهما لم يذهبا بعد. لذا انزلقت لتجلس واضعة أذنها بالقرب من صندوق البريد المغلق، ولا تزال تحمل الأرنب وتمسد فروه. إنه لأمر خيالي **سماعهما** يتحدثان عنها على الجانب الآخر من الباب. قد لا يعرفان من تكون لكن روبين تعرف من **يكونان**. لقد دعتهما إلى هنا بعد كل شيء، حتى لو لم يدركا ذلك بعد.

سيدركان الأمر قريبًا جدًّا.

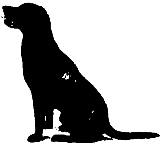

أميليا

أقول: «يجب أن نحاول طرق الباب مجددًا».

يجيب آدم: «لا أعتقد أنها فكرة جيدة، لقد بدت مختلة».

- اصمت! ربما يمكنها سماعك. هذا المكان ليس عازلًا للصوت. كيف تعرف أنها كانت امرأة؟

يهز كتفيه: «شعرها الطويل».

أحيانًا يكون عدم قدرة آدم على التعرف على سمات الوجوه مزعجًا أكثر من غيره.

أقول: «إذا **كانت** امرأة فربما يجب أن أحاول التحدث معها. لا أرى أي مبانٍ أخرى قريبة، وقد تكون هي الوحيدة التي يمكنها مساعدتنا».

همس آدم: «ماذا لو أنها لا **تريد** مساعدتنا؟».

أنا أتجمد بالفعل، لكنني شعرت ببرودة أكثر مما كنت أفعل من قبل عندما قال ذلك. أفكر في قصاصات صحيفة أكتوبر أوبراين التي وجدها بداخل أحد أدراج المطبخ في الكنيسة وأشعر بالقلق. مر وقت طويل الآن، لكن آدم قد عمل مع الممثلة قبل ما حدث، وما زلت أتساءل أحيانًا...

يهمس: «هل تعتقدين أنها قد تكون المرأة التي رأيتِها خارج النافذة الليلة الماضية؟».

هززت كتفي وتحول الفعل إلى ارتجاف. وشعرت بالراحة قليلًا لأنه على الأقل يصدقني بشأن ذلك الآن وقلت: «لا أعلم. هل تعتقد أنتَ؟».

- كيف لي أن أعلم؟ لم أر ما رأيتِه، وكلانا يعلم أنني لن أتمكن من التعرف عليها مجددًا حتى لو رأيتها.
- حسنًا، هل كان الشخص الذي رأيته الآن سمينًا أم نحيفًا؟ مسنًّا أم شابًّا؟
- تملك بنية متوسطة على ما أعتقد، ولديها شعر رمادي طويل.
- إذًا هي مسنة.
- ربما.
- أتساءل عما إذا كانت خادمة المنزل.
- إذا كانت كذلك، فهي سيئة.

أذكره: «كتب شخص ما تلك الملاحظات لكي نجدها».

- ألا ينظف الخادمات الأشياء؟ من خلال ما رأيته من النافذة لا يبدو أنها تعرف كيفية استخدام منفضة الريش. قد تكون تملك مكنسة... لتطير بها في الليل.
- هذا ليس وقتًا مناسبًا للمزاح.
- من قال إنني أمزح؟ لم تري ما رأيته بكل الشموع والأرنب الأبيض في حضنها، كما لو كانت تلقي تعويذة. نملك ما يكفي من المشكلات في الوقت الحالي دون إزعاج الساحرة المحلية.

في بعض الأحيان يكون وجود خيال مفرط النشاط لعنة. أخرج هاتفي المحمول وأمسك به لأرى أنني ما زلت لا أملك أي إشارة. يشاهد آدم ثم يفعل الشيء ذاته مع هاتفه.

سألته وأنا أنظر من فوق كتفه: «هل توجد أي إشارة؟».

لكنه يهز رأسه ويضع هاتفه في جيبه قبل أن أتمكن من رؤية الشاشة.

قال: «ولا حتى خطًّا واحدًا. لماذا لا نتسلق قمة هذا التل؟ أعتقد أنه يمكنني رؤية ممر مشاة».

مشيرًا إلى ما يشبه جبلًا صغيرًا بالنسبة إليَّ وأكمل: «قد يحصل أحدنا على إشارة هنا، وإذا لم نفعل فعلى الأقل سيكون لدينا إطلالة على الوادي بأكمله. إذا كانت هناك أي منازل أخرى أو أشخاص أو حتى طريق مزدحم حيث يمكننا أن نلوح لأي سيارة لتتوقف، فسنكون قادرين على رؤيتهم».

إنها ليست فكرة مجنونة تمامًا.

«حسنًا. تبدو خطة جيدة. لكني ما زلت سأدون ملاحظة سريعة على سبيل الاحتياط».

أخرجتُ قلمًا من حقيبتي، ووجدت مظروفًا قديمًا لأكتب عليه.

آسفان على إزعاجك، لم نقصد التطفل. نحن نقيم في كنيسة بلاك ووتر، ولا يوجد هاتف في المبنى ولا كهرباء بسبب العاصفة، ولا مياه بفعل الأنابيب المجمدة، ولا توجد إشارة للهاتف. إذا كان لديك هاتف يمكننا استعارته فسوف نقدر ذلك حقًّا ونعدك بتعويضك مقابل المكالمة. لقد فقدنا كلبنا. إذا رأيتِه فإن اسمه بوب وسنقدم مكافأة سخية مقابل عودته الآمنة.

شكرًا جزيلًا.

أميليا

عرضت الملاحظة على آدم.

سأل: «لماذا أضفتِ هذا الجزء عن المكافأة؟».

همست قبل أن أحاول إدخال الرسالة عبر صندوق البريد: «فقط في حال **كانت** ساحرة وتريد تحويل بوب إلى أرنب أيضًا».

يبدو أنه مغلق، لذا أدخلت الظرف أسفل الباب. سمعت صوتًا بعد ذلك وعدت سريعًا إلى الوراء: «هيا بنا لنذهب».

يسأل آدم: «ولم العجلة؟».

أشاهده وهو يلقي التحية على طائر الشحرور، فقط في حالة كونه طائر العقعق. إنها إحدى عاداته الخرافية العديدة التي تجعلني أحبه في كثير من الأحيان وأكرهه في الوقت نفسه. إن فكرة أن عدم إلقائك التحية على العقعق سينجم عن سوء حظ ينتظرك في خطوتك التالية هي أسطورة لم يؤمن بها عقلي المنطقي قط. لكنه يؤمن بها. لأن والدته كانت تؤمن بها أيضًا. نظرًا إلى ظروفنا الحالية ربما يجب أن أبدأ بإلقاء التحية أيضًا.

همست عندما أصبحنا بعيدين قليلًا: « سمعتُ شيئًا».

وأكملت: «أعتقد أنها كانت على الجانب الآخر من الباب طوال الوقت الذي كنا نقف فيه ونتحدث. مما يعني أنها سمعت كل كلمة».

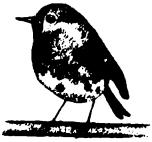

روبين

سمعت روبين كل كلمة.

تقرأ الملاحظة التي دفعتها المرأة تحت الباب، ثم كورتها ورمتها في النار.

روبين ليست ساحرة -ليس الأمر كأنها تهتم بما يعتقدان- ولكنها نُعِتَت بصفات أسوأ بكثير. وماذا لو لم تحافظ على نظافة الكوخ؟ إنه **منزلها** والطريقة التي اختارت العيش بها **تخصها**. يعتقد **بعض الناس** أن المال هو الحل لجميع متاعب الحياة، لكنهم مخطئون فأحيانًا يكون المال هو سببها. يعتقد **بعض الناس** أن المال يمكنه شراء الحب أو السعادة أو حتى شراء الآخرين. لكن روبين لن تُشتَرى. كل شيء لديها الآن **مِلكها**. لقد كسبته أو وجدته أو صنعته كله بنفسها. هي لا تحتاج أو تريد **أموالًا** أو **أشياء** أو **آراء** أي شخص آخر. يمكن لروبين الاعتناء بنفسها. إلى جانب أن هذا الكوخ قد لا يبدو مميزًا، لكنه كان مكانًا اعتادت الهرب إليه عندما كانت طفلة. تمامًا مثلما فعلت والدتها قبلها. أحيانًا يكون المنزل ذكرى أكثر من كونه مكانًا.

التعليقات حول مظهرها الشخصي كانت مؤلمة قليلًا، أكثر مما ينبغي. لكن الشتائم لم تكن وخزاتها أقل حدة من نبات النعناع هذه الأيام، وسرعان ما يتلاشى شعور الانزعاج الأولي إلى الشعور بلا شيء. كما أن وصفها بأنها امرأة مسنة يضحكها من بعض النواحي. لمجرد أن شعرها قد تحول إلى اللون الرمادي فهذا لا يعني أن روبين **مسنة**. أخبرت نفسها **أنه** لا يعلم ما الذي يتحدث عنه، لا يستطيع الرجل حتى التعرف على انعكاس صورته. لكنْ

رغم أن الغرور لم يكن إحدى صفاتها قط، فإن هذا لا يعني أنها محصنة ضد الإهانات.

ترتب نفسها والمكان قليلًا -لأنها **تريد** ذلك، وليس بسبب ما **قاله**- ثم تسحب بعناية زاوية واحدة من الستارة، للتأكد من أن الزائرين لم يعودا يتربصان بالخارج. يسرها رؤية أنهما في منتصف الطريق أعلى التل بالفعل. بعيدًا عن الطريق ومرمى السمع.

الآن بعد أن تأكدت من أنهما لا يستطيعان رؤية أو سماع أي شيء آخر ليس عليهما سماعه، تجلس روبين على الكرسي الجلدي القديم وتشعل غليونها. هي فقط بحاجة إلى شيء ما لتهدئة أعصابها، وهذه هي الفرصة الأخيرة لتدخنها. الزائران الوحيدان اللذان اعتادتهما هذه الأيام هما باتريك ساعي البريد -الذي يعرف أنه ليس عليه الطرق أو قول مرحبًا- وإيوان المزارع المحلي الذي يرعى أغنامه في الأرض المحيطة ببحيرة بلاك ووتر. في بعض الأحيان يأتي مع الحليب أو البيض ليشكرها، فهي تسمح للحيوانات بالأكل مجانًا، وتدرك أن الزراعة أصبحت عملًا شاقًّا. كما يروي لها مقتطفات حول حياة شخصيات مختلفة في المدينة -ليس الأمر كأن روبين تريد المعرفة- ولكنَّ معظم الناس يبتعدون.

لأن **جميع** السكان المحليين يعرفون القصص حول كنيسة بلاك ووتر.

تنظر روبين من النافذة للتحقق من الزائرين للمرة الأخيرة. إنهما بالقرب من قمة التل الآن لذلك من الآمن الخروج. ترتدي معطفها ويحدق إليها أوسكار. كانت روبين تعتقد قبل بضع سنوات أن الاعتناء بأرنب في المنزل فكرة سخيفة، لكنْ كما اتضح بشكل مفاجئ فإنها رفقة جيدة. تضع روبين طوقًا جلديًّا أحمر داخل جيبها ثم تتجه نحو الكنيسة وحدها. تعرف ما حدث لكلب الزائرين لأنها أخذته. لكن روبين لا تشعر بالذنب حيال ذلك على الإطلاق، رغم أنها كانت تمتلك كلبًا وتعرف مدى الانزعاج الذي يشعران به.

يستحق الأشرار الأشياء السيئة التي تحدث لهم.

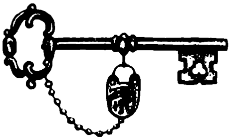

حديد

كلمة العام:

مغتبط (chuffed): يشعر بالسعادة أو السرور الشديد.

28 من فبراير 2014 - الذكرى السنوية السادسة لنا.

عزيزي آدم

لقد كانت هذه سنة جيدة لنا، أليس كذلك؟ كنتَ سعيدًا، الأمر الذي أسعدني أيضًا، كما لو كان الأمر مُعديًا. طلب منك هنري وينتر اقتباس رواية أخرى من رواياته إلى فيلم -لغز جريمة قتل مع لمحة من الرعب هذه المرة، بعنوان «البيت الأسود»- ويبدو أن الأمور تمضي في الاتجاه الصحيح مع سيناريوهاتك أيضًا، إذ إن **حجر ورقة مقص** الآن في مرحلة ما قبل الإنتاج!

يجب أن نشكر أكتوبر أوبراين على ذلك. إن وجود ممثلة من الدرجة الأولى لم يساعد فقط على فتح الأبواب لمشاريعك الخاصة في هوليوود بل جذب انتباه منتج عظيم، شخص تثق به. لقد أمضيتم ثلاثتكم الكثير من الوقت معًا هذا العام، حيث اختفيت معهم في لوس أنجلوس أكثر من مرة، ليس

الأمر كأنني أمانع. بالإضافة إلى أنه بفضل أكتوبر أمضينا واحدة من أفضل الذكريات السنوية على الإطلاق.

أخبرتها أننا لم نسافر مطلقًا للاحتفال بذكرى زواجنا لكونك دائمًا مشغولًا جدًّا بالعمل -هذا صحيح- وذلك عندما اقترحتْ علينا الاحتفال بذكرى زواجنا السادسة في الفيلا الفرنسية الخاصة بها. لقد كان هذا لطيفًا جدًّا، خاصة أنها مرت بوقت عصيب مؤخرًا. اكتشفت الصحافة وجود مخالفة سرعة لها، وكما اتضح أنها كانت واحدة من مخالفات عديدة. كان وجه أكتوبر الجميل -والسيارة باهظة الثمن- يظهر في الصحف لأسباب خاطئة. تحب أكتوبر قيادة السيارات السريعة، لكن عليها الآن الذهاب إلى المحكمة ويبدو أنها قد تفقد رخصتها بسبب كل المخالفات السابقة.

كان عبور نفق المانش أسرع بكثير مما تخيلت. صعدنا على متن القطار، ووصلنا إلى كاليه بعد ما يزيد قليلًا على ثلاثين دقيقة، تمامًا كالسحر. استخدم بوب جواز سفره الخاص بالحيوانات الأليفة لأول مرة، وكان من السهل جدًّا السفر مع كلب. رأيت امرأة تعبر القناة ومعها أرنب في مقعد الراكب في سيارتها. كان يضع حزامًا أحمر صغيرًا ومُدربًا على التحرك بمحاذاتها، لم أر شيئًا كهذا من قبل!

سافرنا بالسيارة عبر باريس -رغبتُ في رؤية كاتدرائية نوتردام- وبعد الغداء في مقهى صغير على ضفة نهر السين، تجولنا عبر أكشاك بيع الكتب في باريس، ولم يخيب بائعو الكتب في باريس ظننا. وكان لكل منهم معرض خاص به من الكتب المستعملة -المئات منها- تحت بحر من الأكواخ ذات الأسطح الخضراء التي تصطف في الطريق على طَول النهر. تمامًا كما كان أسلافهم يفعلون منذ مئات السنين.

لقد كنتَ في عالمكَ الخاص.

قلتَ وتوقفت لتشم رائحة الكتب حرفيًّا: «هل تعلمين أن أكشاك الكتب هذه قد أُعلِنَت موقعًا للتراث العالمي لليونسكو في عام 1991؟».

إنه شيء تفعله دائمًا، ورغم أني وجدته أمرًا غريبًا بعض الشيء، فإنني أجده الآن أمرًا محببًا. أحب الطريقة التي تلتقط بها كتابًا بين يديك وتقلب

صفحاته بعناية كما لو كانت الورقة مصنوعة من الذهب، ثم تشمها كما لو كنت قادرًا على تنفس القصة.

أجبتُ: «لم أكن أعلم ذلك».

رغم أني سمعتك تحكي هذه القصة عدة مرات من قبل.

هذا شيء مضحك بخصوص الزواج لم يذكره أحد من قبل. يعتقد الناس أنه عندما تنفد القصص التي يخبرها الزوجان أحدهما للآخر فإن وقتهما قد انتهى. يمكنني الاستماع إلى قصصك طوال اليوم، حتى تلك التي سمعتها بالفعل، لأنه في كل مرة تحكي فيها قصة يكون الأمر مختلفًا بعض الشيء. لا أحد يعرف كل شيء عن شخص آخر بصرف النظر عن المدة التي قضياها معًا، لكنْ إذا شعرت أنك تعرف الكثير فهذا يعني أنه يوجد خطأ ما.

قلتَ وأمسكت بيدي: «يُقال إن نهر السين هو النهر الوحيد في العالم الذي يجري بين رفين للكتب».

أجبت: «أنا أحب ذلك».

لأنني أحببت الأمر. وما زلت أفعل.

أجبتَ: «أنا أحبكِ».

ثم قبلتني.

لم يقبل أحدنا الآخر علنًا بهذه الطريقة منذ سنوات. في البداية، شعرت بالخجل -ولم أكن متأكدة من تذكري كيفية فعل هذا- لكنْ بعد ذلك استسلمت لفكرة أن نعود إلى ما اعتدنا أن نكون مرة أخرى. لقد سافرنا عبر الزمن إلى اللحظة التي كنتُ فيها الفتاة التي تريد الزواج بها، وكنتَ الرجل الذي كنت أتمنى أن يسألني للزواج به.

لقد أعارتنا أكتوبر منزلها الفرنسي في مقاطعة شمبانيا فيما تصوِّر فيلمًا آخر في أمريكا. تملك أربعة منازل مختلفة منتشرة حول العالم. ربما هذا هو السبب في أنها جيدة جدًّا في تغيير لهجتها ومظهرها. يقع منزلها الفرنسي على بعد عشرين دقيقة سيرًا على الأقدام من متجر **مويت وشاندون** للكحوليات في شارع شمبانيا -وأنا مقتنعة تمامًا بأنه أفضل عنوان سمعته على الإطلاق- وأستطيع رؤية سبب حبها للعيش هنا أكثر من

لندن أو دبلن. أشعر أننا في ديزني لاند لمحبي النبيذ. الشارع الرئيسي هو أرض العجائب المرصوفة بالحصى لأي شخص يستمتع بكأس من الشمبانيا. تصطف القصور الأنيقة في الشارع على كلا الجانبين، وكل منها مِلك لأقدم صانعي النبيذ في العالم وأشهرهم. تمتلئ المدينة نفسها بالمطاعم الحائزة على جوائز والبارات الصغيرة اللطيفة، والتي تقدم جميعها الشمبانيا كما لو كانت عصير ليمون.

يقع الملاذ الفرنسي لممثلتك المفضلة في موقع مثالي: قريب بما يكفي للوصول إلى وسط المدينة سيرًا على الأقدام ولكنه بعيد بما يكفي لنشعر كأننا في الريف، مع إطلالات كاملة على مزارع الكروم والوادي بالأسفل. اعتاد المبنى أن يكون مصنع نبيذ صغيرًا ومهجورًا ومستقلًّا سابقًا. وهو الآن منزل فخم، جميعه بعوارض خشبية ونوافذ زجاجية كبيرة. يبدو حديثًا لكنْ مع وجود ما يكفي من السمات الأصلية لجعله يبدو كأنه منزل. ليس سيئًا على الإطلاق بالنسبة إلى امرأة لم تصل إلى عمر الثلاثين. يبدو أنها اكتشفت هواية الترميم، وتضع عينها بالفعل على عقار مهجور آخر تريد تحويله، وفقًا لكَ فهو مكان ما أكثر بعدًا قليلًا.

وصلنا متأخرين، لذلك بعد تناول عشاء من جبن الكممبير المطبوخ والمربى والخبز الفرنسي الطازج، أنهينا الوجبة بزجاجة من الشمبانيا – بالطبع– وذهبنا إلى السرير مباشرة.

قلتَ في صباح اليوم التالي: «ذكرى سنوية سعيدة».

وقبلتني لإيقاظي.

لم أكن متأكدة من مكاني في البداية، لكنْ بعد ذلك استرخيت عندما رأيت المنظر المذهل من غرفة نوم الضيوف: لا شيء سوى السماء الزرقاء وأشعة الشمس ومزارع الكروم. لقد ابتسمتَ عندما قدمت لي هديتي وبدوتَ سعيدًا بنفسك. أنا آسفة جدًّا إذا بدوتُ محبطة بعض الشيء عندما فتحتها؛ كنت لا أزال نصف نائمة ولم أتوقع منك أن تعطيني مؤشر كتاب. لا تفهمني بشكل خاطئ، فكعادة مؤشرات الكتب إن هذا لطيف جدًّا: مصنوع من الحديد ليمثل عامنا السادس ومحفور عليه:

أنا سعيد جدًّا لأنني تزوجتك.

يبدو أنك تعتقد أن هذا كان مضحكًا.

قلتَ: «أنا مغتبط لأنكِ تحبين القراءة بقدر ما أحبها هذه الأيام. من الجميل أن نقضي أمسية مع كتابين وزجاجة من مشروب جيد أمام النار، أليس كذلك؟».

أجبته: «لم يعد أحد تحت سن السبعين يستخدم كلمة «مغتبط» بعد الآن».

هذا صحيح، أنا أقرأ بقدرك هذه الأيام. ما هو الخيار الذي أملكه؟ إما أن نقرأ معًا وإما أن أكون بمفردي.

لقد أعطيتك هديتك: مفتاح حديدي عتيق ذو مظهر متقن للغاية. لقد بدوتَ غير متأثر بقدر ما فعلت على الأرجح قبل بضع دقائق، وقررت أننا قد نحتاج إلى العمل على اختياراتنا لشراء الهدايا.

سألتَ: «ماذا يفتح؟».

قلتُ: «سر».

وتلحفتُ بالملاءات البيضاء.

كانت هناك صور عديدة لمضيفتنا الجميلة معلقة على الجدران: فوز أكتوبر بجائزة البافتا، أو وقوفها مع أفراد من العائلة المالكة للعمل الخيري الذي تعمله، أو ابتسامتها مع شابات جميلات أخريات من نجمات هوليوود اللاتي ربما ينبغي لي معرفة أسمائهن، ولكني لا أعرف. اضطررت إلى إشاحة نظري في وقت ما، خوفًا من كونها تراقبنا.

أنا أكره نفسي لأنني أفكر في ذلك، لكنْ أتمنى أن أكون أنا من كنت تتخيلها في سريرها.

فتشتُ حول المكان فيما كنتَ تستحم. مَن لن يفعل ذلك؟ كانت هناك شعارات ملهمة منتشرة حول المكان، بما في ذلك إطار مطبوع عليه مقولة: **أنت تحصل على ما تعمل من أجله، وليس ما تتمناه**. و-المقولة المفضلة لدي شخصيًّا- **كن الشخص الذي يعتقد كلبك أنكَ عليه**. لم أكن أعلم أنها تملك كلبًا. كان هناك أيضًا بعض البريد غير المفتوح على ممسحة الأحذية، واثنان من المغلفات التي التقطتها موجهين إلى ر. أوبراين.

قلتُ ووضعت البريد على طاولة الزينة وألقيت نظرة خاطفة على أدراجها: «لم أكن أعلم أن أكتوبر متزوجة».

أجبت من الحمام: «هي ليست متزوجة».

- إذن من هو ر. أوبراين؟

سألتَ صارخًا بصوت أعلى من صوت مِرش المياه: «ماذا؟».

- هذه الرسائل كلها موجهة إلى شخص يُدعى ر. أوبراين.

قلتَ: «أكتوبر هو اسمها المسرحي. إنه يساعدها في الحفاظ على خصوصية حياتها الخاصة. إنه شيء جيد أيضًا لتفادي ملاحقة الصحافة لها أحيانًا. الأخبار المتعلقة بمخالفة السرعة وكل العناوين الرئيسية التي أثارتها، كنتِ ستظنين أنها قتلت شخصًا ما».

ثم غيرت الموضوع على الفور، وكنت سعيدة لأنني أردت أن تكون هذه الرحلة عنا. نحن فقط.

لقد أهديتك هذا المفتاح الحديدي لأنني أريد إخبارك بالحقيقة بشأن كل شيء. نحن سعيدان جدًّا في الوقت الحالي، ولا أريد أن تكون هناك أسرار بيننا بعد الآن. لكنْ عندما فككت غلافه، وحملت مفتاح كل شيء في يدك، شعرت أن هناك خطأ ما. لماذا أدمر حاضرنا أو أعرض مستقبلنا للخطر بسبب الماضي الخاص بي؟ من الأفضل أن أدعنا نعيش هذه النسخة السعيدة منا لفترة أطول قليلًا.

كل حبي

زوجتك.

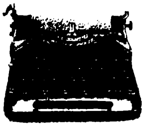

آدم

أنا أعتني بنفسي أفضل من زوجتي، فهي تقضي وقتًا طويلًا في رعاية الآخرين. بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى قمة التل كان وجهها أحمر اللون وكانت تلهث محاولةً التقاط أنفاسها. كان بإمكاني جعل الأمر أسهل بأن نصعد ببطء قليلًا، لكنني أردت إبعاد كلينا عن ذلك الكوخ في أسرع وقت ممكن.

تقول: «لا أستطيع رؤية أي شيء».

- هذا لأنه لا يوجد شيء يمكن رؤيته.

على وجه الدقة، لا شيء من هذه الأمور صحيح.

يوجد منظر كامل للوادي بزاوية ثلاث وستين درجة من هنا -تمامًا كما توقعت- مع الجبال الثلجية والبرية فقط على مد النظر. إنه أمر مذهل، لكن منظر منزل آخر أو محطة بنزين أو صندوق هاتف، ربما سيكون أفضل في ظل هذه الظروف. إن المناظر الطبيعية الجميلة لكنِ القاحلة هي بالضبط ما كنت أخشاه: لا يوجد مكان لنهرب إليه أو لنختبئ. نحن معزولان تمامًا.

لكني رأيت شيئًا.

في الكوخ.

لقد كان يزعجني منذ ذلك الحين.

لم أتعرف على المرأة -لا أتعرف على أي شخص أبدًا- لكنْ كان لدي شعور غريب بأنني رأيتها من قبل. أحاول إخفاء الشعور في إحدى الزوايا المظلمة في ذهني -بعيدًا عن الأنظار- وأنظر إلى زوجتي بدلًا من ذلك. كانت تعطيني ظهرها وهي مشغولة برؤية منظر الوادي. أستطيع القول إنها تحاول التقاط أنفاسها وجمع أفكارها، ويبدو أن كليهما قد أفلتا منها. أتمنى رؤية زوجتي كما يراها الآخرون. أدرك شكل جسد أميليا، وطول وتصفيفة شعرها. أعرف رائحة غسول شعرها، وكريمها المرطب، والعطر الذي أقدمه لها في أعياد ميلادها أو عيد الميلاد. أعرف صوتها وصفاتها الغريبة وأخلاقها.

لكنْ عندما أحدق إلى وجهها، يمكن أن أكون أنظر إلى أي شخص.

قرأت قصة مثيرة عن امرأة مصابة بعمى التعرف على الوجوه العام الماضي. لقد كنت متحمسًا حقًّا في البداية، فلم يُكتَب الكثير عن عمى الوجوه. اعتقدت أنها قد تكون مقدمة جيدة وتشكل دراما تلفزيونية جيدة، فضلًا عن المساعدة في زيادة الوعي بهذه الحالة، لكنْ للأسف لم تكن كذلك. كانت الكتابة مخيبة للآمال ومتواضعة تمامًا مثل الحبكة، لذا رفضت العمل. أقضي الكثير من الوقت في إعادة كتابة قصص الآخرين، وأتمنى لو كنت أفضل في إعادة كتابة قصصي.

في بعض الأحيان أعتقد أنه كان ينبغي لي أن أكون مؤلفًا. كلمات المؤلف مثل الذهب، فهي لا يمكن المساس بها، وتعيش في سعادة دائمة داخل كتبها، حتى السيئة منها. بالمقارنة مع كلمات كاتب السيناريو فهي بمنزلة حبوب الهلام؛ إذا لم تعجب المسؤول التنفيذي فإنه يمضغها ويبصقها مع من كتبها. تجربتي في الحياة الواقعية كانت ستصنع قصة إثارة أفضل من تلك الرواية. تخيل أنك غير قادر على التعرف على زوجتك أو صديقك المفضل أو الشخص المسؤول عن قتل والدتك أمامك عندما كنت طفلًا.

كانت والدتي مَن علمتني القراءة وحب القصص. كنا نلتهم الروايات من المكتبة معًا في شقة المجلس التي نشأت فيها، وقالت إن الكتب ستأخذني إلى أي مكان إذا سمحت لها بذلك. إن الأكاذيب الطيبة أبناء عمومة الأكاذيب البيضاء. قالت أيضًا إن عينيَّ ستتحولان إلى مربعتين بسبب كل التلفاز الذي أصررت على مشاهدته، لكنْ عندما تحطمت مجموعتنا القديمة، باعت أمي

جميع جواهرها -باستثناء خاتم الياقوت المحبوب لديها- في متجر الرهن لتشتري لي مجموعة أخرى. كانت تعلم أن الشخصيات التي أحبها في الكتب والأفلام والبرامج التلفزيونية تملؤ الفجوات التي تركها غياب الأهل والأصدقاء عندما كنت طفلًا.

إن مشاهدتها وهي تموت سيظل أسوأ شيء حدث لي على الإطلاق.

تسأل أميليا قاطعة أفكاري: «ماذا سنفعل الآن؟».

لقد كان تسلق قمة هذا التل طويلًا وشديد الانحدار -كلانا يلبس ملابس غير مناسبة للمشي والطقس- ويبدو أن كل ذلك كان بلا جدوى. لا أحد منا لديه إشارة على هاتفه، وحتى هنا لا توجد علامة على وجود بوب أو أي طريقة لطلب المساعدة. أستطيع رؤية الكنيسة عن بعد مسافة بالأسفل، وهي تبدو أصغر بكثير من ذي قبل. أقل تهديدًا. ومن ناحية أخرى أظلمت السماء منذ مغادرتنا. يبدو أن الغيوم مصممة على حجب أشعة الشمس، وأميليا ترتجف. كان الأمر على ما يرام عندما كنا نتحرك، لكنني أشعر بالبرد أيضًا منذ توقفنا، وأعلم أنه لا ينبغي لنا الوقوف ساكنين لفترة طويلة. عندما تصل إلى قمة التل يمكنك في كثير من الأحيان النظر إلى الوراء ورؤية المسار بأكمله الذي سلكته للذهاب في الرحلة. لكنْ في أثناء وجودك على الطريق يكون من المستحيل أحيانًا معرفة إلى أين أنت ذاهب أو أين كنت. يبدو الأمر كأنه كناية عن الحياة، وكنت سأشعر بالرغبة في كتابة الفكرة إذا لم أكن أشعر بالبرد الشديد. ألقيت نظرة أخيرة حولي، لكنْ بخلاف الكنيسة والكوخ، لا يوجد حقًّا ما يمكن رؤيته باستثناء المناظر الطبيعية المغطاة بالثلوج لعدة كيلومترات في كل الاتجاهات.

أقول: «أعتقد أننا حقًّا في وسط اللامكان».

تجيب من خلال أسنانها المصطكة: «أنا أتجمد، بوب المسكين».

أنزع سترتي وألفها حولها: «هيا بنا لنذهب. سنشعل النيران عندما نعود ونشعر بالدفء ونتوصل إلى خطة أخرى. سيكون النزول أسهل».

أنا مخطئ في ذلك.

تبدو الأرض الآن زلقة أكثر مما كانت عليه في طريقنا للأعلى، كما أن مزيج الثلج والجليد يجعل تقدمنا بطيئًا. تتحول السماء الداكنة إلى ظل أغمق من اللون الرمادي، ورغم أننا نحسن التظاهر بعدم ملاحظة القطرات القليلة الأولى من المطر المتجمد، فإنه بعد ثوانٍ يصبح من المستحيل تجاهلها. ملابسنا ليست مصممة لتحمل طقس الشتاء القاسي، ولا نحن كذلك. تهب الريح علينا من جميع الاتجاهات، وفي غضون دقائق نكون مبللين بالكامل. حتى أنا أرتجف الآن.

عندما أعتقد أن الأمور لا يمكن أن تسوء أكثر -من حيث الطقس- يتحول الصقيع إلى بَرَد، ينهمر من السماء مثل الرصاص. أتوقع أننا سنصبح مغطيين بالكدمات عندما نعود. **إذا** عدنا. كلما أجرؤ على النظر إلى أعلى وأخاطر بأن أواجه كريات جليد صغيرة، ألاحظ أننا لا نتقدم أكثر إلى أسفل التل. لا تزال الكنيسة تبدو صغيرة وبعيدة جدًّا.

يخف الهطول، ويتحول البَرَد إلى ثلج.

قلتُ وأنا أمد يدي لمساعدة أميليا في النزول من جزء من الطريق الصخري إلى آخر: «دعينا نحاول التقدم فيما ما زلنا نستطيع».

لكنها لا تمسك بيدي.

تقول وهي تحدق إلى بعيد: «أستطيع رؤية شخص ما».

أحمي عيني بيدي وأتفحص الوادي بالأسفل، لكن لا أرى شيئًا: «أين؟».

تهمس أميليا: «يدخل الكنيسة».

كما لو أنه قد يسمعها على بعد أكثر من كيلومتر.

وبالفعل لاحظت هيئة شخص يصعد دَرجات الكنيسة.

أبحث عن المفتاح العملاق الذي أغلق به الباب الخشبي القديم قبل مغادرتنا، وأبدأ بالاسترخاء عندما أجده في جيبي. لكن إحساسي القصير بالارتياح يتبخر عندما أشاهد الشخص الغامض وهو يفتح الباب ويختفي في الداخل. أنا متأكد من أنني تخيلت ذلك -رغم صعوبة التأكد من أي شيء من هذه المسافة- لكنْ بدا الأمر كأنه ربما كان يرتدي الكيمونو الأحمر. تمامًا مثل الذي كانت والدتي ترتديه عندما دعت... الأصدقاء إلى المنزل. أحاول حذف

الفكرة من وحدة تحكم ذهني كما هي الحال دائمًا، لكن المفاتيح تتعثر. ربما كنت أتخيل ما كان يرتديه، لكن أحدهم **دخل** الكنيسة للتو. حتى لو ركضت إلى أسفل التل وتمكنت من عدم الانزلاق على الجليد أو السقوط في الثلج، أعتقد أن الأمر سيستغرق عشرين دقيقة على الأقل للعودة إلى هناك ومواجهة مَن سمح لنفسه بالدخول.

قلتُ بصوت مرتجف يبدو كأنه تقليد سيئ لصوتي: «أخبريني مجددًا كيف انتهى بنا الأمر إلى البقاء في هذا المكان».

– لقد أخبرتكَ بالفعل. لقد فزتُ بالعطلة في يانصيب عيد الميلاد للموظفين.

– ولقد اكتشفتِ ذلك عندما تلقيتِ بريدًا إلكترونيًّا؟

– نعم.

– والبريد الإلكتروني كان من...؟

– مدبرة المنزل. أخبرتك بالفعل.

– هل فاز أي شخص آخر تعرفينه في العمل بشيء مماثل؟

– حصلت نينا على صندوق شوكولاتة من كواليتي ستريت، لكنها اشترت عشرين تذكرة يانصيب لذا كان من المحتم أن تفوز بشيء ما.

سألتها خائفًا بالفعل من الإجابة: «كم عدد تذاكر السحب التي اشتريتِها؟».

– واحدة فقط.

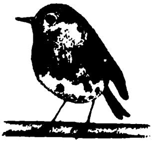

روبين

لا يستغرق الأمر وقتًا طويلًا من روبين للمشي من الكوخ إلى الكنيسة.

بدا أوسكار يشعر بالأسف على نفسه عندما تركته وراءها، ويبدو أن أذنيه الكبيرتين البيضاوين المرنتين تتدليان أكثر من المعتاد. كانت روبين في حاجة ماسة إلى بعض الراحة والصحبة عندما وصلت في البداية إلى بلاك ووتر، وبدا أوسكار اسمًا جيدًا للرفيق الذي وجدته. لطالما كانت روبين مغرمة بتلك التماثيل البرونزية الصلبة التي تقدمها صناعة السينما مرة واحدة في السنة. قد يكون الأوسكار الوحيد الذي حصلت عليه هو أرنب، لكنها تحبه.

لقد رصدت الزائرين أعلى التل من مسافة بعيدة، وأدركت أن أمامها نصف ساعة على الأقل لعمل كل ما يتعين عليها عمله. لن يتمكنا من العودة في الوقت المناسب لمنعها حتى لو حاولا. وعلى نقيضهما فهي تملك معدات مناسبة للطقس الشتوي. حتى لو كان حذاؤها المستعمل كبيرًا جدًّا، فإنه لا يزال أفضل من الأحذية الرياضية العصرية للمشي عبر التلال والحقول المغطاة بالثلوج.

توقفت خارج الكنيسة لفترة وجيزة قبل الدخول، واستغرقت دقيقة للتحديق إلى النوافذ ذات الزجاج الملون وبرج الجرس الأبيض الصغير الموجود أعلى المبنى. مع وجود البحيرة والجبال في الخلفية، يبدو الأمر كأنك تنظر إلى لوحة فنية. لقد أدركت أنها كانت هنا لفترة طويلة جدًّا بأكثر من طريقة؛ يمكن أن يصبح الشخص محصنًا من الجمال عندما يتعرض له كثيرًا.

تدخل روبين فيما تدخل الرياح وتنفخ في الهواء سحابة من ذرات الغبار المتنكرة على هيئة ثلج. يضحكها كون الزائرين يعتقدان أنها مدبرة المنزل. هذا ليس سبب امتلاكها مفتاح.

تنزع روبين حذاءها في غرفة الأحذية -قد يكون المكان قذرًا، لكنْ لا حاجة إلى جعل الأمور أسوأ- ثم تمشي إلى المطبخ. يملك جورباها ثقوبًا أكثر من شبكتين لصيد السمك، لكن الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة. أصبحت الكنيسة أكثر برودة من المعتاد، ورائحتها مختلفة بالفعل عما كانت عليه قبل وصولهما. آثار الكلب إلى جانب عطر المرأة الطاغي يتخلل الآن الهواء القديم.

تسرع إلى الصالة، ثم تنزع القفاز من يدها اليمنى وتمرر أصابعها على كعوب الروايات التي تصطف على الرفوف. إنها تفعل ذلك في كل مرة تأتي إلى هنا، بالطريقة نفسها التي لا يستطيع بها بعض الناس مقاومة لمس رؤوس القمح في الحقل. لاحظت رائحة الدخان الخافتة ورأت أن الزائرين أحرقا جميع جذوع الأشجارِ التي تركتها لهما الليلة الماضية. ليس كأن الأمر يهم الآن. على الأقل ليس لها. ربما يهمهما الأمر لاحقًا.

عندما تمسك بحاجز الدَرج الحلزوني تغمر عقلها ملايين الذكريات غير المرغوب فيها، مما يغرق شجاعتها ويشوه تركيزها.

تركيزك يحدد مستقبلك.

روبين مغرمة جدًّا بالشعارات الملهمة مثل هذه. تكرر الكلمات لنفسها حتى تستقر أفكارها مجددًا، ثم تشق طريقها صعودًا على الدَرج الذي يصدر صريرًا، متجاهلة الوجوه المفقودة بين الصور المؤطرة على الحائط.

لم يُرتب السرير الذي نام فيه الزائران الليلة الماضية. لا يزال من الغريب السماح **لهما** بالنوم هنا. لكن لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى رتبت روبين الملاءات، وسوت اللحاف، ونفخت الوسائد. وهذا أقل ما يمكنها فعله، إذا كان الزائران ما زالا هنا الليلة -وسيكونان كذلك- فسوف يحتاجان إلى الراحة. ثم تنظر داخل حقائبهما وتفتش بأشيائهما، لأنها تستطيع ولأنها تريد ذلك.

تبدأ بالحمام وتعثر روبين على غسول الشعر الخاص بالمرأة، ثم تشمه قبل سكب محتوياته في فتحة التصريف. تثير رؤية فرشاة الأسنان الوردية

والزرقاء جنبًا إلى جنب موجة أخرى من الغضب، لذا تمسك بهما وتستخدمهما لتنظيف المرحاض. تفرك بقوة حتى تبدو الشعيرات مسطحة. ثم تعيد كل شيء كما وجدته.

تبدو علب كريم الوجه المتروكة على حافة النافذة باهظة الثمن، لذا تضع روبين بعضًا منها على خديها. لقد مر وقت طويل منذ أن تكوَّن نظامها للعناية بالبشرة من أي شيء أكثر من قطعة قماش مبللة مرة واحدة يوميًّا، وكان المرطب جيدًا جدًّا لدرجة أنها قررت الاحتفاظ به، وأدخلت العلبة في جيبها. عادت إلى غرفة النوم بعدها وألقت نظرة أخيرة حولها، ولاحظت أن درج إحدى الطاولات بجانب السرير مفتوح قليلًا. تلقي نظرة فاحصة على أمل أن يكون هناك شيء ما قد تُرك في الداخل.

إن الطريقة التي يثق بها بعض الناس بالآخرين ثقة عمياء كانت دائمًا تحير روبين. اعتقد أحد الزائرين أنهما قادمان إلى هنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وأن كنيسة بلاك ووتر عبارة عن مكان للإيجار لقضاء العطلات. إنها ليست كذلك ولن تكون أبدًا. على الأقل ليس وهي ما زالت على قيد الحياة.

عندما تفكر روبين في العقارات التي يدفع الناس مبالغ طائلة للإقامة فيها: الفنادق والشقق والأكواخ باهظة الثمن المطلة على البحر، لا يسعها إلا التفكير في مئات الغرباء الآخرين الذين ناموا على ملاءات الأسرة نفسها وثملوا من الكؤوس نفسها، أو جلسوا في المرحاض نفسه من قبل. كل هؤلاء الأشخاص يستخدمون رموز الدخول نفسها في كل يوم مختلف، أيادٍ مختلفة تضع المفاتيح نفسها في جيوب مختلفة مرة في الأسبوع. نادرًا ما تُغير الأقفال، حتى عندما تضيع مفاتيح العقارات المستأجرة، فمن يدري كم عدد الأشخاص الذين قد يملكون نسخة بالفعل. يمكن لأي شخص أقام هناك العودة في أي وقت والسماح لنفسه بالدخول.

تجد محفظة في الدرج. يبدو غريبًا أن يتركها الرجل، لكن أصحاب الحيوانات يتصرفون بغرابة عندما يشعرون بالقلق على حيواناتهم الأليفة. يمكن لروبين أن تتفهم ذلك. تُخرج بطاقات الائتمان من محفظته واحدة تلو الأخرى وتمسد بإبهامها الاسم المنقوش. ثم تجد مجسمًا ورقيًّا مجعدًا بين طيات الجلد. رفعته إلى النور ورأت أنه مجسم أوريجامي. إنه محترق قليلًا

حول الحواف، لكن روبين تعرف أن المجسمات من المفترض أن تجلب الحظ السعيد، وحقيقة **أنه** يحمله في محفظته تجعل كرهها له يقل قليلًا. تعيد كل شيء آخر كما وجدته.

يوجد جهاز استنشاق في الدرج الموجود على الجانب الآخر من السرير. تضعه روبين في فمها وتأخذ نفسًا، لكنه لا يرضيها مثلما يفعل غليونها. ترش بقية محتوياته في الهواء، ثم تأخذ معها جهاز الاستنشاق الفارغ مع الحبوب المنومة الموصوفة طبيًّا التي عثرت عليها. بعد رحلة سريعة إلى البرج لقرع جرس الكنيسة، تعود روبين إلى الداخل لإنهاء ما بدأته.

أميليا

بدأ آدم بالركض على التل نحو الكنيسة، لكني لا أستطيع مجاراته.

لقد كان منشغلًا بعض الشيء بصحته ولياقته في الآونة الأخيرة، وبدأ بتناول الفيتامينات والمكملات الغذائية، وهو أمر جديد. أخيرًا بدأ هوسه بالركض مرتين على الأقل في الأسبوع يؤتي ثماره، وأخبره ألا ينتظر؛ فكلما أسرع أحدنا في العودة كان ذلك أفضل. أضطر إلى التوقف باستمرار لالتقاط أنفاسي. لقد نسيت إحضار جهاز الاستنشاق الخاص بي -وتركته بحماقة بجوار السرير في حالة من الذعر للعثور على بوب- لكني أعلم أنني سأكون على ما يرام، ما دمت لا أتعجل وأحاول البقاء هادئة.

يبدو الأمر أسهل في رأسي مما هو عليه في الواقع.

إذا لم نر كلانا شخصًا يدخل إلى الكنيسة، فربما اعتقدت أنني تخيلت ذلك. لكنها كانت حقيقة. ربما هي مدبرة المنزل الغامضة، أتت للتأكد من أننا بخير بعد العاصفة. أخبر نفسي أنه أيًّا كان مَن دخل فقد يكون قادرًا على مساعدتنا. وسوف يرغب في ذلك. لأنه لا يوجد احتمالات أخرى جيدة داخل ذهني. عندما وصلت إلى الطريق المغطى بالثلوج في أسفل التل شعرت بالارتياح لوجودي على سطح مستوٍ مجددًا. وقد زاد تقدم آدم. إنه ليس بعيدًا عن الكنيسة الآن، لذا أسرعت بأقصى ما أستطيع محاولةً اللحاق به.

أتوقف عندما يبدأ الجرس في البرج بالرنين.

يداعب الثلج وجهي. لم أر آدم يدخل لكنْ لا بدَّ أنه فعل، لأنه عندما نظرت إلى الأعلى -فيما أحمي عيني من العاصفة الثلجية القاسية- كان قد اختفى. هل قرع الجرس؟ أتذكر سابقًا عندما قال آدم إن الباب الرئيسي هو الطريق الوحيد للدخول والخروج من الكنيسة. لم أر أحدًا يغادر مما يعني أن من رأيناه يدخل لا يزال موجودًا. يمكن حدوث أي شيء. يبدو أن العاصفة الثلجية الأخيرة قد حولت العالم إلى اللون الأسود والأبيض. بالكاد أستطيع رؤية يدي عندما أضعها أمام وجهي، أحاول الركض بسرعة ولكني أستمر في الانزلاق ويؤلمني صدري. قلبي ينبض بسرعة كبيرة، وأنفاسي ضحلة للغاية. ويزداد قلقي سوءًا عندما أعلم أنه لا يوجد طريقة لطلب المساعدة حتى في الحالات الطبية الطارئة.

عندما وصلت أخيرًا إلى باب الكنيسة الضخم، لم يوجد داعٍ للقلق بشأن طرق الباب فقد كان مفتوحًا على مصراعيه وأرضية غرفة الأحذية مغطاة بالثلج. لقد لاحظت زوجًا من أحذية ويلينغتون الكبيرة وغير المألوفة بجوار مقعد الكنيسة القديم، ولاحظت الآن أن شخصًا ما قد رسم عدة وجوه مبتسمة في الغبار على سطحه الخشبي. أتساءل عما إذا كان يعني شيئًا ما وأرفع الغطاء، لكن أجده فارغًا. أرى انعكاس صورتي على جدار المرايا الصغيرة عندما أنظر إلى الأعلى. أبدو محطمة.

ناديت: «آدم!».

لكني قوبلت بصمت غريب.

المطبخ فارغ وكذلك الصالة الملآنة بالكتب. أسرعتُ بصعود السلم الحلزوني الخشبي إلى الطابق الأول فيما أتنفس بصعوبة وأتمسك بحاجز الدَرج مثل العصا. تجاهلت لافتة «خطر» الموجودة على أبعد باب، وتسلقت الدَرجات المؤدية إلى برج الجرس. لكن لا أحد هناك، وغرفة النوم فارغة أيضًا. هذا غير منطقي. لم يتحسن الألم في صدري لذا فتحت الدرج بجانب السرير. لقد اختفى جهاز الاستنشاق الخاص بي. أنا **متأكدة** من أن هذا هو المكان الذي تركته فيه، والآن بدأ ينتابني الذعر.

أنا بحاجة إلى العثور على آدم. حاولت فتح الأبواب الأخرى عند عودتي إلى الطابق السفلي، لكنها ما زالت جميعها مغلقة. إنه ليس هنا، لقد بحثت بالفعل في كل غرفة. ثم أتذكر القبو.

أنادي مجددًا: «آدم!».

لكن يقابلني الصمت.

أركض بسرعة كبيرة لدرجة أنني كدت أسقط على الدرج الذي يصدر صريرًا.

يقول عندما أصل إلى الصالة: «أنا هنا!».

لكني لا أستطيع رؤيته.

أصرخ مجددًا: «أين أنت؟».

- خلف خزانة الكتب على الجدار الخلفي.

أسمع كلماته ولكني أفشل في فهمها.

أتتبع صوته، أحدق إلى الرفوف الملآنة بالكتب من الأرض إلى السقف. لا أفهم حتى أرى شعاعًا من الضوء يكشف عن باب سري مغطى بكعوب الكتب القديمة. أتردد قبل فتحه، وأشعر مجددًا كأنني ربما سقطت في جحر أرنب، أو وقعت في فخ إحدى الروايات المظلمة والمزعجة التي يحب زوجي اقتباسها.

يُفتح الباب الرقيق ليكشف عن غرفة أخرى. إنه مكتب، لكنْ على عكس أي مكتب رأيته من قبل. فإن المساحة الطويلة والضيقة والمظلمة تحتوي على نافذة واحدة فقط من الزجاج الملون لتدخل الضوء. يوجد مكتب عتيق في أحد زوايا الغرفة، ويجلس إليه زوجي.

يقول آدم دون النظر إلى الأعلى: «من كان هنا قد ذهب. لقد بحثت في المكان كله. والشيء الوحيد المختلف الذي لاحظته هو أن باب هذه الغرفة كان مفتوحًا».

- لا أفهم...

- أعتقد أنني بدأت في فهم الأمر. أنا أعرف هذه الغرفة.

لا يبدو أنه لاحظ أنني بالكاد أستطيع التنفس. لا يوجد دواء للأشخاص الذين يعانون نقص التعاطف، ولطالما كان زوجي يتشتت بسهولة بأفكاره ومشاعره. سألتُ: «حقًّا؟».

يقول وهو ينقر على سطح المكتب الخشبي اللامع: «نعم، لقد رأيتها من قبل. لم أستطع تذكر أين رأيتها في البداية لكني بعدها لاحظت ذلك، لقد رأيت صورة لهذا المكتب في إحدى المجلات، رغم أن ذلك قبل بضع سنوات. وأتذكر عمَّن كان المقال. أنتِ تقولين إنكِ فزتِ بالعطلة بالمصادفة في سحب، لكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا، هذه ليست مجرد مصادفة. أعرف إلى من ينتمي هذا العقار الآن».

نحاس

كلمة العام:

مشوش (discombobulated): الشعور بالارتباك والاضطراب.

28 من فبراير 2015 - الذكرى السنوية السابعة لنا.

عزيزي آدم

لقد كانت سنة عسيرة.

عُثر على أكتوبر أوبراين ميتة في أحد فنادق لندن قبل بضعة أشهر، وكنتَ من آخر الأشخاص الذين رأوها على قيد الحياة. اشتباه في انتحار بحسب الصحف. لم تكن هناك ملاحظة، لكنْ عُثِرَ على زجاجات فارغة من الكحول والحبوب بجوار سريرها. لقد كان خبرًا مدمرًا. وصادمًا، فقد بدت المرأة دائمًا سعيدة جدًّا وإيجابية، على الأقل من الخارج. بالكاد تبلغ من العمر ثلاثين عامًا وتملك كل شيء لتعيش من أجله. لقد أصبحتما مقربين جدًّا -حتى إنني كنتُ مغرمة بها- لكنْ هذا يعني أيضًا أنه أُلغِيَ تصوير فيلم **حجر ورقة مقص**. لا يمكنك عمل مسلسل تلفزيوني دون نجم العرض.

كانت الجنازة فظيعة، يمكنك القول إن الكثير من الناس هناك كانوا يمثلون شعورهم بما يعتقدون أنه الحزن. يبدو أن الحصول على أصدقاء حقيقيين يصبح أكثر صعوبة عندما تكون مشهورًا. لقد تفاجأت عندما اكتشفت أن الاسم الحقيقي لأكتوبر هو رينبو (قوس قزح) أوبراين. كان والداها من الهيبيين، ولم يكن أحد في المكان يرتدي اللون الأسود.

همستَ قائلًا: «الحمد لله أنها استخدمت اسمًا مسرحيًّا».

أومأت برأسي، لكنني لم أكن متأكدة من موافقتي لرأيك. لقد كانت أشبه بقوس قزح: جميلة، وآسرة، وملونة، وقد اختفت من حياتنا بمجرد ظهورها فيها. لطالما اعتقدت أن الاسم كان مجرد اسم. الآن لست متأكدة من ذلك. لقد أصبحتُ ودودة جدًّا مع أكتوبر بنفسي -نتناول المشروبات بين الحين والآخر، ونمشي مع الكلاب، ونزور المعارض الفنية- وأنا أفتقدها أيضًا. يبدو الأمر كأن شيئًا ما وليس مجرد شخص ما مفقود من حياتنا الآن بعد عدم وجودها فيها.

بدت رحلة إلى نيويورك كأنها طريقة رائعة لقضاء الذكرى السنوية السابعة لزواجنا وإبعاد تفكيرنا عن كل ذلك، حتى أدركتُ أنها تزامنت مع العرض الأول لأحدث أفلام هنري وينتر، **المنزل الأسود**. لقد كنت سعيدًا عندما أخبر وكيل أعماله والاستوديو أنه لن يحضر إلا إذا حضرتَ أيضًا. لقد ظننتَ أن السبب هو أنه كان مسرورًا بالتعديل، وأراد منك الحصول على التقدير الذي تستحقه لكتابة السيناريو. لكن هذا لم يكن السبب وراء رغبته في وجودك هناك. أو اقتراحه عليك دعوة زوجتك.

لقد كنت بعيدًا مؤخرًا، ولم أرغب في بدء شجار آخر، لكن لم يرُق لي أن أصبح الطرف الثالث مع اثنين من الكُتاب فيما يستمتعان بالدفء المؤقت لشمس هوليود المتقلبة. وكذلك لم يرُق لي السير على السجادة الحمراء في المسرح القديم في مانهاتن حيث أُقِيمَ العرض الأول. كان مسرح زيجفيلد هو المكان المناسب لي، سينما على الطراز القديم مزينة باللونين الأحمر والذهبي، مع بحر من المقاعد المخملية الحمراء الفخمة. لكنَّ التقاط الصور لي في أثناء دخولي جعلني أشعر كأنني محتالة. أكره أن تُلتَقط صور لي في أفضل الأحوال، وتقارَن بجميع المخلوقات الجميلة الموجودة في الحضور

-بخصورهم الصغيرة وشعرهم الكبير- كنت قلقة من أن أكون مخيبة للآمال بالنسبة إليك. من الصعب أن تتألق عندما تكون محاطًا بالنجوم. يبدو أن فكرة كوننا طبيعيين تجعلك غير سعيد للغاية، لكن هذا كل ما أردتُ أن نكون عليه.

كان الاتفاق أننا سنقضي بعض الوقت بمفردنا معًا بعد العرض الأول، لكن بعدها أراد هنري منك مرافقته إلى بعض المناسبات الأخرى في اليوم التالي. أتفهم سبب عدم قدرتك على الرفض، أتمنى فقط أنك لم ترغب في القبول. أدركُ أنك كنت دائمًا من أشد المعجبين به، وأتفهم مدى امتنانك لأنه سمح لك باقتباس عمله. أعلم ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى حياتك المهنية، لكن ألم أدفع بالفعل ثمن ذلك؟ إن التجول في مدينة بمفردي فيما تمسك بيد المؤلف بدلًا من يدي ليست فكرتي عن ذكرى سنوية سعيدة.

لم تكن نفسك لفترة من الوقت. أعلم أنك حزين على أكتوبر، وأتفهم أنها كانت أكثر من مجرد زميلة، وحلم رؤية عملك الخاص على الشاشة وهو يتوقف مجددًا، يجب أن يكون مزعجًا أيضًا. لكن لا يزال الأمر يبدو كما لو أن هناك شيئًا آخر يحدث. شيء لا تخبرني به. يوجد مقيمون في حياتنا، أولئك الذين يبقون لسنوات، ويوجد السياح الذين يمرون علينا. في بعض الأحيان قد يكون من الصعب معرفة الفرق. لا نستطيع المعرفة ولا نفعل، ولا ينبغي لنا محاولة التمسك بكل شخص نلتقيه، وقد قابلت الكثير من السياح في حياتي، أشخاص كان يجب أن أبقيهم على بُعد مسافة آمنة. إذا لم تسمح لأي شخص بالاقتراب منك كثيرًا فلن يتمكن من إيذائك.

قضيت اليوم وحدي أزور أجزاء من نيويورك لم أرها من قبل، فيما كنتَ تتبع هنري وينتر في جميع أنحاء المدينة. قد يبدو لك الكاتب المسن ساحرًا في الأوقات النادرة التي تكون فيها بصحبته، لكن في الحياة الواقعية يعيش الرجل كالزاهد، ويحتسي الكحوليات بنهم، ومن المستحيل إرضاؤه. لا أستطيع أن أخبرك بذلك لأنني لا ينبغي لي معرفة الأمر. لقد قرأت جميع رواياته مثلك تمامًا. كان آخر أعماله متواضعًا على أحسن تقدير، لكنكَ لا تزال تتصرف كما لو أن الرجل هو شكسبير متجسدًا من جديد.

حاولت ألا أفكر في الأمر عندما زرت تمثال الحرية. كان المركب المتجه إلى الجزيرة مكتظًّا بالكامل لكنني ما زلت أشعر بالوحدة. انضممت إلى مجموعة من الغرباء لأخذ جولة داخل النصب التذكاري. كان هناك عائلات وأزواج وأصدقاء، وعندما صعدنا الدرج أدركت أن كل شخص لديه أحد ما ليشاركه التجربة. سواي. أرسلتْ صديقة من العمل رسالة نصية لتسأل عن الرحلة. لم أعرفها منذ فترة طويلة، وبدا الأمر مُلحًّا بعض الشيء، لذلك لم أرد.

يوجد ثلاثمائة وأربع وخمسون درجة تؤدي إلى تاج تمثال الحرية. لقد أحصيت بصمت الأسباب التي جعلتنا لا نزال معًا فيما كنت أصعدها. يوجد الكثير من الأشياء الجيدة في زواجنا، لكن العدد المتزايد من الأشياء السيئة يجعلني أشعر كأننا بدأنا في الانهيار. هذه المسافة بيننا، الفراغ في قلبينا وكلماتنا؛ إنه يخيفني. نعرف الكثير من المتزوجين الذين يملكون علاقات مضطربة، لكن معظمهم يملكون أطفالًا لإبقائهم ملتصقين بعضهم ببعض. ونحن لا نملك سوانا. لقد فعلت شيئًا لم أفعله قط في القمة... التقطت صورة شخصية.

بعد ذلك توجهت إلى جزيرة كوني. أعتقد أن المكان يكون أكثر ازدحامًا في الصيف، لكنني أحببت التجول في الأروقة المغلقة. حتى إنني وجدت لك هدية في اللحظة الأخيرة، شَكَّلَ موضوع النحاس هذا العام بعض التحدي. لقد مررنا بالكثير من التقلبات على مدار علاقتنا، لكنني أعتقد أنه من المفترض أن تكون السنة السابعة صعبة. لقد سمعت عن هرشة السنة السابعة وأنا متأكدة من أنك فعلت أيضًا. لكن مهما حدث، أعلم أنني لن أكون أول من يخدشها.

عندما آلمتني قدماي من المشي عدت إلى فندق المكتبة الذي يحمل اسمًا مناسبًا. إنه صغير ولكنه مصمم بشكل مثالي وممتلئ بالكتب والشخصيات. كل غرفة لها موضوع وكان موضوع غرفتنا هو الرياضيات. ربما كان من الممكن أن يكون الرعب أكثر ملاءمة، بالنظر إلى ما آلت إليه الأمور هذا المساء.

لقد حجزتُ لنا طاولة لتناول العشاء –كنت أعلم أنك ستنسى التذكر– في مطعم ستيك قريب يُدعى بنجامين والذي أوصى به حارس المبنى. الديكور والجو جعلني أفكر في فيلم «البريق» يلتقي فيلم «الأب الروحي» –والذي

أدرك مجددًا بعد فوات الأوان أنه يبدو مناسبًا- ولكنَّ الخدمة وشرائح اللحم كانت مثالية، وكذلك النبيذ. لقد احتسينا زجاجتين من النبيذ الأحمر فيما كنت أستمع إليك وأنت تخبرني عن يومك مع هنري. لم تسأل عن يومي، ولم تلاحظ الفستان الجديد الذي اشتريته في بلومينجديلز. إن مجاملتي شيء أصبحت تفعله فقط عن طريق المصادفة هذه الأيام.

لقد نسيت التلويح لكَ الليلة عندما دخلت إلى المطعم، لكنْ بطريقة ما قد عرفتَ أنه أنا. نظرًا إلى أن جميع الوجوه تبدو متشابهة بالنسبة إليك وكنتُ ألبس شيئًا لم تره من قبل، فإن ثقتك بنفسك في أثناء جلوسك إلى طاولتنا كانت غير طبيعية ومثيرة للدهشة. لقد شعرتُ بالحيرة أيضًا من مقدار الاهتمام الذي توليه للنادلة، وأتساءل كيف تعرفت على جمال ملامحها العشرينية إذا لم تتمكن من رؤية وجهها.

أعتقد أنني كنت أعلم أننا سنتشاجر حتى قبل أن تقول ما قلته. أحيانًا تكون المتاعب مثل العواصف، ويمكنك رؤيتها قادمة.

- أنا آسف لفعل ذلك، ولكنَّ هنري يريد مني الذهاب معه إلى لوس أنجلوس. نظرًا إلى كل الضجة المحيطة بهذا الفيلم، يريد الاستوديو اقتباس كتاب آخر من كتبه، ويقول إنه لن يقبل الفكرة إلا إذا ذهبت لمقابلتهم ووافقت على كتابة السيناريو.

- ماذا عن حجر ورقة مقص؟ أنت لن تتخلى عنه، أليس كذلك؟ إن ما حدث لأكتوبر أمر فظيع، لكن هناك ممثلات أخريات. كان من المفترض أن يكون العمل على روايات هنري بمنزلة نقطة انطلاق نحو...

- لا أعتقد أن كتابة سيناريو فيلم رائج لرواية ذائعة الصيت كتبها أحد أكثر المؤلفين نجاحًا على الإطلاق هو بمنزلة نقطة انطلاق.

- لكن المغزى الأساسي من هذا هو مساعدتك في إنتاج أفلام وبرامج تلفزيونية خاصة بك -وليس خاصة به- لتفعل ما تريده حقًّا.

- هذا ما أريد. أنا آسف إذا كانت خياراتي المهنية ليست جيدة بما فيه الكفاية بالنسبة إليك.

كلانا يعلم أن هذا لم يكن ما قصدته، وأستطيع رؤية أنك لم تكن آسفًا حقًّا على الإطلاق.

- ماذا عما أريد؟ لقد كانت فكرتك أن نقضي بضعة أيام في نيويورك معًا، وحتى الآن بالكاد رأيتك...

- لأنني لم أستطع ترككِ وحدكِ. لم تكوني ستكفين عن الكلام عن الأمر.

لأول مرة يبدو الأمر كأنني الشخص الذي لا يستطيع التعرف على زوجي، سألت: «ماذا؟».

- لا يبدو أنكِ تملكين أي أصدقاء أو حتى حياة خاصة بكِ هذه الأيام.

- لدي أصدقاء.

أقول فيما أكافح لتذكر أسماء أي منهم لدعم ادعائي.

إنه أمر صعب عندما يبدو أن كل شخص في عمري كنت أعرفه يملك أطفالًا الآن. لقد اختفوا جميعًا داخل أسرهم السعيدة الجديدة اللامعة، وجفت الزيارات. لقد ذكَّرني ذلك بالمدرسة قليلًا... حيث كان الأطفال يتجنبونني لأنني لم أكن أملك أحدث الإكسسوارات التي لا بد من اقتنائها. لقد غيرت المدرسة أكثر من مرة في أثناء نشأتي. لقد كنت دائمًا الفتاة الجديدة وكان الجميع يعرف بعضهم بعضًا منذ سنوات. لم أتناغم معهم -لم أتناغم قط- لكن الفتيات المراهقات يمكن أن يكُنَّ بتلك القسوة. حاولت تكوين صداقات ونجحت لفترة من الوقت، لكنني كنت دائمًا في النظام الشمسي الخارجي لعلاقات الطفولة تلك. مثل كوكب أصغر حجمًا وأكثر هدوءًا يدور حول الكواكب الأكثر إشراقًا وجمالًا وشعبية.

ما زلت أحاول البقاء على اتصال -من خلال حضور حفلات أعياد الميلاد من حين إلى آخر، أو حفل توديع عزوبية إلزامي، أو حفل زفاف لشخص لم أتحدث معه منذ سنوات- لكنْ بينما نكبر جميعًا وينشغل بعضنا عن بعض، أعتقد أنني أصبحت أكثر بعدًا. تضع علاقات طفولتي المعايير لتلك العلاقات التي شكلتها بصفتي شخصًا بالغًا. لقد كان الأمر من جهتي غريزة للحفاظ على ذاتي أكثر من أي شيء آخر. لن أنسى أبدًا تلك المرأة التي تظاهرت بإرضاع أطفالها حتى بلغوا الرابعة من العمر. دائمًا تختلق الأعذار لتجنب

رؤيتي، كما لو أن العقم قد أصبح أمرًا خطيرًا. أهتم بحب نفسي أكثر من أن أكون محبوبة من قبل الآخرين هذه الأيام، ولم أعد أضيع وقتي مع الأصدقاء المزيفين.

أمسكتَ بيدي لكنني سحبتها بعيدًا، لذا أمسكت نبيذك بدلًا من ذلك.

قلتَ: «أنا آسف».

لكنني كنت أعلم أنك لست أسفًا، ليس حقًّا.

أضفتَ: «لم أقصد ذلك».

لكنها كانت مجرد كذبة أخرى. لقد قصدت ذلك. ثم قلتَ: «إن هنري كاتب حساس. إنه يهتم حقًّا بعمله وبمَن سيثق لتولى عمله. لقد مر بعام صعب...».

- لقد مررتُ بالعديد من الأعوام الصعبة. ماذا عني؟ أنت تتصرف كأنه صديقك المفضل فجأة. أنتَ بالكاد تعرف الرجل.

- أنا أعرفه جيدًا؛ نحن نتحدث طوال الوقت.

لقد مر وقت طويل منذ أن شعرت بهذا التشوش. لقد اختنقت بشريحة اللحم تقريبًا: «ماذا؟».

- أنا وهنري نتحدث باستمرار على الهاتف.

- منذ متى؟ أنت لم تذكر ذلك قط.

- لم أكن أعلم أنه يتعين عليَّ إخبارك عن كل شخص أتحدث إليه، أو الحصول على إذن منكِ.

حدق أحدنا إلى الآخر للحظة.

قلت وأنا أضع قطعة ورقية صغيرة على الطاولة: «ذكرى سنوية سعيدة».

لقد أظهرت تعبيرًا على وجهك مما جعلني أعتقد أنك نسيت أن تحضر لي هدية، لكنْ بعد ذلك فاجأتني بإخراج شيء من جيبك.

لقد أصررت على أن أفتح هديتك أولًا، ففعلت. كانت عبارة عن إطار معلق صغير من النحاس والزجاج. كان بداخلها سبع عملات نحاسية من فئة القرش. كان لكل منها تاريخًا مختلفًا، عملة من كل سنة من السنوات السبع

التي تزوجنا فيها. لا بد أن الأمر استغرق الكثير من التفكير والوقت للعثور عليها جميعًا.

لقد تنحنحت وبدوت خجولًا بعض الشيء: «ذكرى سنوية سعيدة».

قلت شكرًا لكَ، وأردت حقًّا أن أكون شاكرة، لكنْ يبدو أن شيئًا ما قد تحطم بيننا. شعرت كأنني قضيت المساء مع شخص يشبه زوجي، لكنه لم يكن كذلك. لقد فتحت هديتي التي اشتريتها على عجل، واحمررت خجلًا من الحرج بعد كل الجهد الذي بذلتَه في إعداد هديتي.

- من أين حصلتِ على هذا؟

سألتَ ممسكًا بالقرش الأمريكي أمام ضوء الشموع. وكان محفورًا عليه وجه مبتسم، بجوار كلمة «الحرية».

أجبت: «من جزيرة كوني بعد ظهر هذا اليوم. لقد عثرتُ على آلة ألعاب تحتوي على قروش جالبة للحظ، يبدو المجسم الورقي الذي أعطيتك إياه متهالكًا بعض الشيء، لذا فكرت في إعطائك شيئًا جديدًا لتحتفظ به في محفظتك من أجل الحظ الجيد».

أجبت وأنت تضع القرش بجوار المجسم: «سأعتز بهما على حد سواء».

لقد عدت بعدها للحديث عن هنري وينتر مجددًا. الموضوع المفضل لديك. وبينما كنت أستمع إلى حد ما، لم أستطع التوقف عن التفكير في وفاة أكتوبر أوبراين المفاجئة، أو كيف يبدو أنك تهتم بكتابات هنري هذه الأيام أكثر من اهتمامك بكتاباتك. هناك الكثير من قصص الرعب في هوليوود، ولا أقصد تلك التي يجري تحويلها إلى أفلام. لقد سمعتها جميعًا. ربما يجب أن أكون شاكرة لأنك كاتب سيناريو لا يزال يحصل على عمل؛ ليس هذا هو الحال دائمًا، والمنافسة شرسة. بعض الكُتاب كالتفاح وسرعان ما يفسدون إذا لم يُقطَفوا.

سكبتَ بقية النبيذ في كأسك واحتسيته.

قلت بكلمات متداخلة وليس للمرة الأولى: «لن تقلقي بشأن مسيرتي المهنية كثيرًا إذا كنتِ تهتمين أكثر بمسيرتك المهنية».

أردت تحطيم الزجاجة فوق رأسك. أحب عملي في مأوى باترسي للكلاب. يجعلني أشعر بتحسن تجاه نفسي. ربما لأنني -مثل الحيوانات التي أقضي وقتي في الاعتناء بها- شعرت في كثير من الأحيان بأن العالم قد تخلى عني. نادرًا ما يكون خطأهم أنهم غير محبوبين وغير مرغوب فيهم، تمامًا كما لم يكن ذلك خطئي قط.

- أنا متأكدة من أنني أستطيع كتابة شيء جيد مثلك، أو حتى مثل هنري وينتر...

قاطعتني بابتسامتك الأكثر تعاليًا: «نعم، يعتقد الجميع أن بإمكانهم الكتابة حتى يجلسوا ويحاولوا فعل ذلك».

قلتُ: «أنا أهتم بالعالم الحقيقي أكثر من الانغماس في خيالاتي».

- الانغماس في خيالاتي دفع ثمن منزلنا.

أمسكتَ كأسك مجددًا قبل أن تدرك أنها كانت فارغة.

قلتُ دون تفكير في الأمر حقًّا: «حدثني عن والدك».

لقد وضعتَ الكأس بقوة كبيرة جدًّا؛ أنا مدهوشة أنها لم تنكسر.

سألت دون النظر إليَّ: «لماذا تطرحين هذا الأمر؟ أنتِ تعلمين أنه غادر عندما كنتُ طفلًا صغيرًا. لا أعتقد أن هنري وينتر هو والدي المفقود منذ وقت طويل، إذا كان هذا هو ما تشيرين إليه...».

- ألا تعتقد حقًّا؟

تحول خداك إلى اللون الأحمر. انحنيت إلى الأمام قبل أن تجيب وخفضت صوتك كأنك تخشى مَن يسمع.

- إن هذا الرجل هو بطلي. إنه كاتب رائع وأنا شاكر جدًّا لكل ما فعله من أجلي ومن أجلنا. وهذا ليس الشيء نفسه مثل تخيل أنه أبي.

- أليس كذلك؟

- لا أعلم ما الذي تحاولين قوله...

- أنا لا أحاول قول أي شيء، أنا أخبرك أنني أعتقد أنك طورت نوعًا من الارتباط العاطفي تجاه الرجل... إنه مثل الهوس. لقد تخليت عن

كل مشاريعك الخاصة لتعمل على مشاريعه ليل نهار. بدأ هنري وينتر مسيرتك المهنية عندما لم يحالفك الحظ، لذا نعم، أنت مدين له ببعض الامتنان، ولكنَّ الطريقة التي تسعى بها الآن باستمرار للحصول على موافقته كلما كتبت شيئًا جديدًا هي... في أحسن الأحوال احتياج، وفي أسوأ الأحوال نرجسية.

قلتَ فيما تتكئ إلى الخلف كأنني حاولت ضربك جسديًّا: «يا للعجب!».

- يجب أن تؤمن بنفسك بما يكفي الآن لتعرف أن عملك جيد دون الحاجة إلى أن يقول ذلك.

- لا أعلم ما الذي تتحدثين عنه. لم يقل هنري قط إنه يحب عملي...

- بالضبط! لكنْ من الواضح جدًّا -بالنسبة إليه وإلى الجميع- مدى رغبتك في تأييده لك بطريقة ما. عليك التوقف سرًّا عن الأمل في أن يفعل ذلك. نادرًا ما يقول أي شيء لطيف عن أعمال الكتاب الآخرين -نادرًا ما يكون لديه كلمة طيبة ليقولها عن أي شيء أو أي شخص على الإطلاق- فقط تقبل العلاقة كما هي. إنه مؤلف وأنت كاتب سيناريو عدلت اثنتين من رواياته. النهاية.

- أعتقد أنني كبير بما يكفي لاتخاذ خياراتي واختيار أصدقائي، شكرًا لكِ.

- هنري وينتر ليس صديقك.

عندما غادرنا لم أكسر حاجز الصمت المزعج لأخبرك أنني رأيت هنري يجلس على بعد بضع طاولات منا في المطعم. كان من الصعب أن تفوت رؤيته وهو يرتدي إحدى سترات الصوف المميزة وربطة عنق حريرية. كان شعره الأبيض خفيفًا، وبدا كرجل عجوز صغير غير ضار، لكن عينيه الزرقاوين الثاقبتين ظلتا كما كانتا دائمًا. لقد كان يراقبنا طوال الوقت الذي كنا فيه هناك.

لقد واصلتَ الحديث عنه طوال الطريق إلى فندق المكتبة، ونسيت كلماتي بشأن هذا الأمر بمجرد أن قلتها تقريبًا. من النظرة المبتهجة على وجهك كان

يمكن لأي شخص أن يعتقد أنك قضيت اليوم مع بابا نويل، بدلًا من إبنيزر البخيل على شكل كتاب.

عندما عدنا إلى غرفتنا التي كان موضوعها الرياضيات، لم تكن الأمور تسير على ما يرام بالنسبة إليَّ. لقد أكلت قطعتَي الشوكولاتة على وسادتينا في أثناء استحمامك -رغم أنني أكره الشوكولاتة الداكنة- أعتقد أنني أردت أن أوذيك بطريقة ما، كما يبدو ذلك طفوليًّا. رن هاتفي واعتقدت للحظة أنه قد يكون أنت الذي يرسل إليَّ رسالة نصية من حمام الفندق، لا يرسل إليَّ أحد رسائل في وقت متأخر من الليل. أو في النهار. لكنْ لم تكن أنت بل كانت صديقتي الجديدة في العمل تقول إنها تفتقدني. فكرة أن يفتقدني أحد جعلت عيني تمتلئان بالدموع. لقد أرسلت إليها صورة شخصية لي على قمة تمثال الحرية وأجابت على الفور برمز تعبيري لإبهام. وقبلة.

أنت نائم الآن لكنني مستيقظة كالعادة، أكتب لك رسالة لن أسمح لك بقراءتها أبدًا. هذه المرة على ورق الفندق. قد يكون مصطلح موجة الاستياء للسنة السابعة أكثر دقة من الهرشة. لا أستطيع أن أكون صادقة معك، لكن يجب أن أكون صادقة مع نفسي.

أنا لا أحبك الآن، لكنني ما زلت أعشقك.

زوجتك.

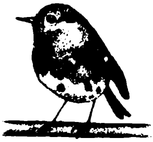

روبين

تبقى روبين في مكانها حتى يصبح كلا الزائرين في المكتب السري. ثم تفتح باب الغرفة التي كانت تختبئ فيها، وتتسلل إلى أسفل الدرج -متجنبة الدَرجات التي تعلم أنها ستصدر صريرًا- وتغادر الكنيسة. تلتقي رفيقها الصامت حيث تركته بالضبط. لا يبدو معجبًا بتركه في الجو البارد. تفعل روبين ما تحتاج إلى فعله في الخارج بأسرع ما يمكن وبهدوء، ثم تنتظر.

إنها تجيد الانتظار. يمكن للممارسة جعل الشخص جيدًا في أي شيء، وعلى الأقل هي ليست وحدها هذه المرة. توقفت الثلوج عن التساقط لكن لا يزال الجو باردًا. تفضل روبين العودة إلى الكوخ لكن لا فائدة من التسرع في أمر مهم كهذا. لقد كانت حريصة على أن تخطو على آثار أقدام الزائرين السابقة، لكن محاولة ألا تلاحَظ ليست بالأمر السهل دائمًا. هذه هي المشكلة في اتباع خطوات شخص آخر، إذا تركت علامة أكبر مما تركها فإنهم يميلون إلى الانزعاج. لقد تعلمت روبين بالطريقة الصعبة أنه من الأفضل دائمًا التأني، وأن تصل متأخرًا خير من ألا تصل أبدًا. أحيانًا الذين يتقدمون باندفاع كبير يتراجعون بسرعة أكبر.

النوافذ ذات الزجاج الملون جميلة لكنها تسمح بدخول البرد وخروج الصوت، ولهذا السبب هي تتنصت من النافذة الموجودة خارج غرفة المكتب. لقد فتحت الباب السري وتركته مفتوحًا عمدًا، حتى يتمكن الزائران من العثور عليه بنفسيهما. لا ينبغي أن تستغرق الأمور وقتًا أطول بمجرد أن يفهما.

إن الاستماع **إليهما** في المكان الذي اعتادت أن تعيش فيه وتضحك وتحلم هو تجربة غريبة وخيالية. يشبه إلى حد ما التسمم الغذائي. فهي تشعر بالمرض والحمى لكنها تعلم بالفعل أنها ستشعر بالتحسن مجددًا بمجرد التخلص من كل ما هو فاسد في جسدها. تريد خروج الزائرين من الكنيسة، لكن ليس بعد. لا يزال هناك الكثير لتقوله وتفعله قبل انتهاء هذا الفصل غير السار من حياتها.

تقول لرفيقها: «كل شيء سيكون على ما يرام، سترى».

لكنه لا يجيب. لقد حدق إليها فقط، وبدا حزينًا وباردًا كما بدأت تشعر أيضًا.

كلما اتخذت حياتها منعطفًا خاطئًا في الماضي، حاولت روبين تحديد اللحظة التي ضلت طريقها فيها بالضبط. هناك دائمًا لحظة. إذا كنت على استعداد لفتح عينيك والنظر بعيدًا بما فيه الكفاية، فيمكنك عادةً رؤية اللحظة التي اتخذتَ فيها خيارًا سيئًا، أو قلت شيئًا لا ينبغي لك قوله، أو فعلت شيئًا ندمت عليه. غالبًا ما يؤدي القرار السيئ إلى قرار آخر، وبعد ذلك وقبل أن تدرك الأمر، لن تجد طريقة للعودة إلى حيث كنت.

لكن الجميع يرتكبون الأخطاء.

أحيانًا يتبين أن الأشخاص الأكثر براءةً مذنبون بارتكاب أشياء مروعة. وأحيانًا يكون الأشخاص الذين يفعلون أشياء سيئة مجرد أشخاص سيئين. لكنْ يوجد **دائمًا** سبب وراء تصرف الشخص بالطريقة التي يتصرف بها. كانت المرأة في المتجر المحلي مثالًا جيدًا لشخص له ماضٍ أكثر قتامة مما تتوقع. باتي صاحبة المتجر غير الودودة، ذات الوجه الأحمر والعينين الخرزيتين ورائحة الفم الكريهة، وعاداتها في الاحتيال على الغرباء، كانت تملك قائمة إدانات أطول من الكتاب المقدس الذي احتفظت به خلف المنضدة، بدايةً من الاعتداء الوحشي إلى القيادة متجاوزةً الحد المسموح به من السرعة. جميع من في المدينة يعلم بها، لكن كان عليهم الحصول على إمداداتهم من مكان ما. قلة من الناس قادرون حقًا على المسامحة، ولا أحد ينسى حقًا. أحيانًا تعلم أن شخصًا ما سيئ بمجرد أن تقابله، لأنه فاسد من الداخل والخارج، وتخبرك غريزتك بالابتعاد عنه.

تستمر الحياة بصرف النظر عما إذا استمر الأشخاص الذين ينتمون إليها أم لا. أرادت روبين المضي قدمًا، وحاولت جاهدة وضع أخطائها خلفها، وألا يغمرها الندم. لكن أسرارنا عادة ما تجدنا، وكل شيء حاولت الهروب منه لحق بها في النهاية. يغطي حاضرها بغبار ماضيها.

يبدأ رفيقها بالتململ.

همست: «صه، فقط انتظر لفترة أطول قليلًا».

لا يزال يبدو غير مرتاح ولكنه يفعل ما تقوله، كما هي الحال دائمًا.

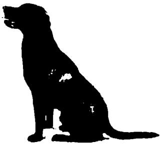

أميليا

يتوقف الوقت عندما يقول آدم إنه يعلم إلى من تنتمي الكنيسة.

نظرت حولي في المكتب السري، معتقدة أنه قد تنكشف الإجابة قبل أن يفعل هو، لكن كل ما أستطيع رؤيته هو المزيد من الكتب المغبرة ومكتب قديم وزوجي. لقد تحولت ملامحه الوسيمة إلى عبوس محبط وتقطيبة حاجبين قبيحة. يبدو غاضبًا أكثر من كونه خائفًا. كما لو كان هذا كله **خطئي** بطريقة أو بأخرى.

أعتقد أنه عندما تشعر بأن والديك قد تخليا عنك فمن المستحيل ألا تقضي بقية حياتك في الشك في أن الناس يخططون لتركك أيضًا. إنه شيء أشعر بالقلق دائمًا بشأنه مع الجميع، حتى آدم، رغم المدة التي قضيناها معًا. عندما أقترب من شخص ما -الأحباء أو الأصدقاء أو الزملاء- تأتي حتمًا لحظة يتعين عليَّ فيها التراجع. أُعيد بناء الحواجز أعلى من ذي قبل لأجعل نفسي تشعر بالأمان. الخوف الدائم من الهجر يجعل من المستحيل الوثوق بأي شخص، حتى بزوجي.

تمكنت من تهدئة أنفاسي عندما وجدته هنا، لكن هذا القلق الجديد يضغط صدري.

يقول آدم: «إن المؤلفين هم سلالة غريبة من البشر».

ولا يزال يحدق إلى المكتب العتيق كما لو أنه يتحدث إليه وليس إليَّ. الجو قارس البرودة في هذه الغرفة لدرجة أنني أستطيع رؤية أنفاسه. يضيف قائلًا: «هناك أشخاص عملت معهم على مر السنين -أشخاص **وثقت** بهم- والذين تبين أنهم ليسوا أكثر من...».

يلقي الضوء المنبعث من النوافذ ذات الزجاج الملون شظايا متكسرة من الألوان على الأرضية الخشبية، ويبدو أنه مشتت بسببها لدرجة أنه لا يستطيع إكمال أفكاره. أحاول التفكير في أي شخص تشاجر معه منذ أن عرفته، لكن لا يوجد الكثير. يملك الوكيل نفسه منذ البداية. الجميع يحب آدم، حتى الأشخاص الذين لا يحبونه.

يسأل: «هل تتذكرين فيلم «جريملينز»؟».

وأنا سعيدة لأنه لا ينتظر الرد لأنني لا أعلم ماذا أقول أو أرى ما صلة هذا الفيلم بما حدث. أضاف: «كان هناك ثلاث قواعد: لا تجعلهم يبتلون ولا تعرضهم للأضواء الساطعة ولا تطعمهم بعد منتصف الليل. وإلا ستحدث أمورًا سيئة. المؤلفون مثل جريملينز. يبدأ كل منهم مثل جيزمو -هذه المخلوقات الفردية والمثيرة للاهتمام التي من الممتع الوجود حولها- لكنْ إذا خرقت القواعد: إذا لم يعجبهم تعديل كتابهم، أو اعتقدوا أنك غيرت الكثير من القصة الأصلية، يتحول المؤلفون إلى وحوش أكبر من تلك التي يكتبون عنها».

- ما الذي تتحدث عنه يا آدم؟ من يملك هذا العقار؟
- هنري وينتر.

أتجمد. لطالما كنتُ خائفة من هنري، وليس فقط بسبب الكتب المظلمة والملتوية التي يكتبها. أكثر ما أخافني عندما رأيته لأول مرة هو عينيه. إنهما زرقاوان وثاقبتان للغاية، تقريبًا كما لو كان بإمكانه النظر داخل الشخص، وليس إليه فقط. يرى الأشياء التي لا ينبغي له رؤيتها. يعرف أشياء لا ينبغي له معرفتها. بدأ تنفسي يخرج عن السيطرة قليلًا مجددًا.

يسأل آدم: «هل أنتِ بخير؟ أين جهاز الاستنشاق الخاص بكِ؟».

أصررت قائلة فيما أتمسك بظهر الكرسي: «أنا بخير».

يقول آدم وهو يلمس الطاولة الخشبية الداكنة: «أرادت صحيفة **ديلي ميل** نشر تقرير عن المكان الذي كتب فيه هنري رواياته عندما صدر الفيلم الأخير. لم يكن ليسمح لهم بإرسال صحفي أو لا سمح الله مصور، لقد كان يكرههم دائمًا. كنت أعرفه منذ سنوات في ذلك الوقت، لكنه لم يخبرني حتى بمكان إقامته عندما لا يكون في لندن، كان دائمًا قلقًا للغاية بشأن الخصوصية لأسباب لم أتمكن من فهمها تمامًا. ولم أرَ سوى صورة واحدة له في مكتبه، والتي قالت الصحيفة إن «المؤلف قدمها». هذه هي الغرفة التي يكتب فيها. أتذكر صورته وهو جالس إلى هذا المكتب».

إنه قديم وغريب، يملك عجلات والكثير من الأدراج الصغيرة. ثم أكمل: «كان في السابق مملوكًا لأجاثا كريستي، وقد دفع هنري ثروة صغيرة مقابله في أحد المزادات الخيرية منذ سنوات مضت. لقد أصبح مؤمنًا بالخرافات بشأنه؛ أخبرني ذات مرة أنه لا يعتقد أن باستطاعته كتابة رواية أخرى في أي مكان آخر».

- هل أنتَ متأكد؟

- نعم. انظري إلى الرفوف في هذه الغرفة.

استدرت وفعلت كما يقول، لكن خزائن الكتب التي تصطف على الجدار الخلفي للمكتب تبدو تمامًا مثل تلك الموجودة في الصالة. ثم لاحظت كعوب الكتب، وأرى أنها كلها كتبها هنري وينتر. لا بد أن هناك المئات منها، بما في ذلك الترجمات والطبعات الخاصة. إنه جدار عملاق وهو بالضبط ما أتوقعه من رجل مثله.

أسأل: «إذن، ما هذا؟ مقلب؟ نكتة سيئة؟ لماذا قد يرسل هنري بريدًا إلكترونيًّا من حساب مزيف يخبرني فيه أنني فزت بعطلة في مخبئه السري الاسكتلندي؟ لماذا كل شيء مغطى بالغبار؟ أين هو؟ وأين بوب؟».

يسأل آدم: «هل أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟ إن صوت تنفسك...».

- أنا بخير.

يبدو غير مقتنع لكنه يكمل على أي حال: «أعتقد أنه قد يكون مستاءً مني. منذ أن قلت إنني لم أعد أريد تعديل كتبه بعد الآن...».

أحدق إليه دهشة: «ماذا فعلت؟ لا أفهم».

- لقد قررت فقط أنه ربما **حان** الوقت للتركيز على عملي الخاص.

- لم تخبرني...

- لم أكن لأتحمل عدد المرات التي ستخبرينني فيها **بأنكِ حذرتِني بالفعل**. هو لم يتقبل الأخبار بشكل جيد على الإطلاق. كان مثل طفل مدلل يصاب بنوبة غضب. لقد كنت أضع هنري وينتر في مكانة عالية جدًّا طوال حياتي. لقد احترمته حتى عندما احتقرني. لكنْ بعد ذلك رأيته على حقيقته لأول مرة: رجل عجوز أناني حاقد ووحيد.

استمعت إلى كلامه محاولةً فهم ما يعنيه بالنسبة إليه وإلينا.

- متى كان هذا؟

- منذ فترة. حاولت إبقاء الأمور ودية بيننا لكنه تجاهل مكالماتي، ولم أتحدث معه منذ فترة طويلة. وكانت كتبه كل ما يملك. لكنْ إذا كان هناك شيء واحد تعلمته من الحياة بالإضافة إلى الخيال، فهو أنه لا يوجد أحد على الإطلاق بطل كليًّا أو شرير كليًّا. نملك جميعًا القدرة على أن نكون كليهما.

يحدق آدم إلى وجهي عندما يقول تلك الجملة الأخيرة. كنتُ على وشك سؤاله عن السبب عندما رأيت جهاز الاستنشاق الخاص بي على المكتب خلفه.

أسأل: «لماذا تملك هذا؟».

يقول: «جهاز الاستنشاق الخاص بك؟ لم ألاحظ حتى وجوده هناك».

أحدق إليه لفترة طويلة، وعادةً أستطيع المعرفة عندما يكذب لكنْ لا أعتقد أنه يفعل.

أمسك بجهاز الاستنشاق وأضعه في جيبي: «أعتقد أننا مرهقان، والآن بعد أن عرفنا إلى من ينتمي هذا المكان، أريد فقط العثور على بوب والخروج من هنا».

بمجرد قول اسمه، أسمع كلبًا ينبح في الخارج.

آدم

نخرج راكضين في الثلج.

لا أعلم ماذا أتوقع. هنري وينتر يقف خارج الكنيسة؟ هل يمسك بحزام بوب ويضحك بشكل جنوني مثل شرير كوميدي؟ ربما قد **جُن** أخيرًا. يكتب الرجل روايات مظلمة وملتوية، لكني ما زلت أجد صعوبة في تصديق أنه سيكون قادرًا على فعل شيء كهذا في الحياة الواقعية.

يتوقف صوت نباح الكلب بمجرد خروجنا.

تنادي أميليا: «بوب!».

لا جدوى من ذلك –فالمسكين أصم عمليًّا في معظم الأوقات– لكنني بدأت أصرخ مناديًا اسمه أيضًا.

الوادي الآن صامت بشكل مخيف.

أقول: «ربما لم يكن بوب».

تصر قائلة: «لقد كان هو، أنا متأكدة. كان هناك زوج من أحذية ويلينجتون الرجالية عند الباب عندما عدت، والآن اختفيا. لقد غادر مَن كان موجودًا هنا من قبل وأخذ بوب معه».

ركضتْ بعيدًا في الثلج ولم يكن لدي خيار سوى اتباعها.

لقد عادت الأغنام. تحدق إلى اتجاهنا لكنها ليست مخيفة كما كانت في الظلام الليلة الماضية. يتوقف كلانا عندما نرى ظهر شخص يرتدي سترة

صوفية وبنطلونًا داكنًا ويعتمر ما يشبه قبعة بنما... في منتصف الشتاء... في ثلج بارد متجمد يصل إلى الركبتين. تنظر أميليا في اتجاهي. لا أستطيع قراءة التعبير على وجهها، لكنْ إذا كان يشبه ما أشعر به، فأتوقع أنه تعبير عن الرعب.

أذكِّر نفسي أنني كنت أعرف هذا الرجل، تمامًا كما تعرف شخصًا تعمل معه ولم تقابله سوى عدد قليل من المرات. تنحنحت واقتربت خطوة.

أقول بلطف: «هنري!».

لسبب ما أتذكر القرون على جدار غرفة الأحذية. يخطر لي أن مؤلفي روايات القتل الغامضة والإثارة ربما يعرفون الكثير من الطرائق لقتل شخص ما دون أن يُقبَض عليهم، ولا أرغب خصيصًا في تعليق بقاياي على الحائط. هو لا يتحرك. قلت لنفسي إنه ربما يكون أصم بعض الشيء مثل الكلب، وأستمر في السير حتى نتقابل وجهًا لوجه.

إلا أنه لا يملك وجهًا.

يبدو أنني أنظر إلى شيء يشبه الفزاعة، لكنْ برأس رجل ثلج. لديه سدادتَي نبيذ لعينيه وجزرة للأنف وأنبوب يخرج من المكان الذي يجب أن يكون فيه فمه، وواحدة من ربطات عنق هنري وينتر الحريرية الزرقاء مربوطة حول رقبته. إنها درجة لون أغمق من العادة، مشبعة بالثلج الذائب. ويتكئ على عصا هنري التي لها مقبض رأس أرنب فضي، كما لو كان للحصول على الدعم.

تأتي أميليا لتقف بجانبي: «ما هذا...».

- لم أعد أعلم أي شيء بعد الآن.

- لم يكن هذا هنا من قبل، أليس كذلك؟

- لا. أعتقد أننا كنا سنلاحظ وجوده. أنا حقًّا لا أفهم ما يحدث.

نقف جنبًا إلى جنب في صمت، ونحدق إلى رجل الثلج الفزاعة فيما يذوب رأسه ببطء. لقد انزلقت إحدى عينيه المصنوعة من الفلين بالفعل إلى أسفل وجهه. وبصرف النظر عن الشجرة الميتة الغريبة والمنحوتات الخشبية ذات المظهر المخيف، فإننا في وسط منطقة مفتوحة واسعة. من فعل هذا يجب

أن يكون قريبًا. وإذا كان بوب قريبًا بما يكفي لسماع نباحه فيجب أن نتمكن من رؤيته، لكن كل ما يمكنني رؤيته هو مساحة بيضاء فارغة. وبفضل الأغنام تبعثرت الثلوج في كل مكان تقريبًا خارج الكنيسة. إذا كان هناك أي آثار أقدام يجب اتباعها من قبل، فهي لم تعد موجودة الآن.

تقول أميليا وأنا أتبعها: «علينا إيجاد بوب. إنه هنا في مكان ما، لقد سمعناه كلانا، وعلينا فقط الاستمرار في البحث».

توجد مقبرة صغيرة في الجزء الخلفي من الكنيسة. شواهد القبور القديمة بالكاد مرئية بسبب الثلوج، لكن أحدها يبرز كلما اقتربت. السبب الذي لفت انتباهي هو أن شخصًا ما مسحه ونظفه، بحيث يبرز الجرانيت ذو اللون الرمادي الداكن مقابل كل شيء آخر مغطى باللون الأبيض. وعلى عكس جميع شواهد القبور الأخرى، يبدو هذا جديدًا نسبيًّا.

هذا ليس كل شيء.

يوجد طوق جلدي أحمر فوقه.

التقطته أميليا ورأيت اسم بوب على البطاقة، لم يكن هناك أي شك في ذهني في أنه يخصه.

تقول: «لا أفهم. لماذا نزع طوق الكلب وتركه هنا؟».

لكنني لا أجيب. فأنا مشغول جدًّا بالتحديق إلى شاهد القبر.

هنري وينتر

والد لشخص واحد، ومؤلف للكثيرين

2018-1937

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

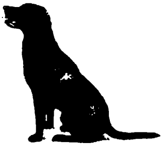

أميليا

«لا أفهم. إذا توفي هنري قبل عامين، ألم نكن لنعلم بذلك؟».

آدم لا يجيب. نقف جنبًا إلى جنب في صمت نحدق إلى شاهد القبر الجرانيتي، كما لو أن ذلك قد يؤدي إلى اختفاء الكلمات المنقوشة عليه. بصرف النظر عن عدد المرات التي أعيد فيها ترتيب قطع هذا اللغز داخل رأسي، فهي لا تتطابق. أستطيع رؤية الارتباك والخوف والحزن على وجه زوجي. أعلم أنه كان يعتقد أن كل ما نملك كان نتيجة لمنح هنري وينتر فرصة كبيرة له، والثقة للعمل على رواياته. وخلاف سخيف لم يغير حقيقة الأمر. فكرة أن يموت الرجل وهما لا يتحدثان سوف تؤثر فيه بشدة. لكن يجب أن يدرك آدم أن لدينا مشكلات أكبر الآن: إذا لم يخدعنا هنري للمجيء إلى هنا، فمن فعل ذلك؟

يقول آدم: «علينا العودة إلى الداخل».

ما زال ينظر إلى شاهد القبر، كأنه لا يصدق ما يراه.

أسأل: «وماذا عن بوب؟».

- لم يخلع بوب طوقه ويتركه هنا لكي نجده. شخص آخر فعل ذلك. لا أعلم ما الذي يحدث، لكننا لسنا آمنين.

تبدو كلماته درامية للغاية، لكنني أتفق معه.

أغلق آدم الباب بمجرد عودتنا إلى داخل الكنيسة، ودفع مقعد الكنيسة الخشبي الكبير أمامه.

يقول وهو يتجه نحو المطبخ: «من رأيناه يدخل في وقت سابق، لا بد أنه كان لديه مفتاح. هذا سيمنعه من العودة دون أن نسمع، هل يمكنك أن تريني رسالة البريد الإلكتروني التي أرسلت إليكِ بشأن الفوز بالعطلة في هذا المكان؟».

أتحسس هاتفي داخل جيبي، لكن أجد جهاز الاستنشاق الخاص بي بدلًا منه. والآن بعد أن عاد تنفسي إلى طبيعته، لا أحتاج إليه، ولكنني أشعر بتحسن عندما أعلم أنه في متناول يدي.

أجد البريد الإلكتروني على هاتفي المحمول وأسلمه إلى آدم.

سأل: «info@blackwaterchapel.com، أهذا هو عنوان البريد الإلكتروني الذي استخدمه؟».

- نعم. بدا الأمر كأنه مكان حقيقي لقضاء العطلات.
- كان لدى هنري أمرًا يتعلق بالرقم ثلاثة واللون الأسود. الكثير من رواياته تدور أحداثها في بلاك داون أو بلاك ساند... أعتقد أنه ربما كان يوجد بلاك ووتر أيضًا...
- أنتَ لم تذكر ذلك من قبل.
- لم أكن أدرك وجود رابط حتى الآن. لكن لا يمكن أن يكون هنري قد أرسل هذا البريد الإلكتروني، فهو لا يتعامل مع رسائل البريد الإلكتروني أو الإنترنت، ولا يملك حتى هاتفًا محمولًا. يعتقد أنها تسبب السرطان. **اعتاد أن يعتقد.**

للحظة أعتقد أن آدم قد يبكي.

وضعت يدي على كتفه: «أنا آسفة، أعلم كم أنتَ...».

- أنا بخير. لم أكن على تواصل معه منذ...

يبتعد آدم محدقًا إلى الفضاء.

أسأل: «ما الخطب؟».

- لم أسمع أي شيء منه أو عنه منذ سبتمبر الماضي، عندما أرسل إليَّ وكيله الأخير نسخة من كتابه الأخير. لحسن الحظ يوافق هذا الوكيل على الاقتباسات ليس مثل وكيل هنري الأول. إنه رجل لطيف، حتى إننا تمازحنا حول أن هنري لم يتحدث **معه** أيضًا، لكن المؤلف أرسل مخطوطته قبل ثلاثة أيام من الموعد النهائي المحدد له، ملفوفة بورق بني ومربوطة بخيط تمامًا كالمعتاد.

- إذًا؟

- ينص شاهد القبر في الخارج على أنه توفي قبل عامين. لا يستطيع الموتى كتابة الروايات أو إرسالها إلى وكلائهم.

يستغرق الأمر مني بضع ثوانٍ لمعالجة هذه المعلومة الأخيرة: «هل تقول إنك تعتقد أنه لم **يمت** حقًّا؟».

- لم أعد أعلم بما يجب أن أفكر بعد الآن.

- هل كان لديه أي عائلة؟ بالتأكيد كان سيعرف شخص ما إذا توفي. أحد والديَّ بالتبني توفي العام الماضي، هل تتذكر؟ تشارلي، الرجل الذي عمل في السوق طوال حياته، وكان يحضر دائمًا إليَّ طعامًا مجانيًّا على وشك أن يفسد. لم أتحدث معه منذ أكثر من عقد من الزمن، ولكني علمت عندما توفي. هنري وينتر مؤلف مشهور عالميًّا، كنا سنقرأ عن وفاته في الصحف أو...

يهز آدم رأسه قائلًا: «لم يكن هناك أحد. لقد كان زاهدًا مكتفيًا بذاته، وكان يحب عيش حياته بهذه الطريقة... معظم الوقت. كلما احتسى الكثير من الويسكي كانت عينا هنري تذرف الدموع لأنه لم ينجب أي أطفال، لا أحد يعتني بكتبه عند رحيله. هذا كل ما كان يهتم به حقًّا: الكتب. لكن في جميع الأوقات الأخرى كان الرجل رصينًا كالشجرة».

أقول: «حسنًا، لا بد أن شخصًا ما كان يساعده. إن هنري لم يعد شابًّا إذا ولد عام 1937».

ضيق آدم عينيه: «هذه تفصيلة غريبة لتتذكريها».

- ليس حقًّا. لقد كان مكتوبًا على شاهد القبر، واختفت أميليا إيرهارت في عام 1937. وقد سُميت على اسمها. ألا تتذكر لماذا سُميت أنتَ بهذا الاسم؟ أعتقد أن الأسماء مهمة.

يحدق آدم إليَّ كما لو أن معدل ذكائي قد انخفض إلى مستوى خطير. وقال: «لم يكن لدى هنري وينتر أي أطفال، ولم يكن لديه أي عائلة على الإطلاق. أعتقد أن الشخص الوحيد الذي تركه في حياته بخلاف وكيله كان أنا، ولم نكن حتى نتحدث عندما توفي...».

ارتجف صوته وهو ينظر بعيدًا.

- شاهد القبر في الخارج مكتوب عليه «والد لشخص واحد». لقد صنعه شخص ما ودفنه شخص ما. لم يكن بإمكانه فعل ذلك بنفسه.

الطريقة التي ينظر بها آدم إليَّ تخيفني قليلًا. من الصعب عدم قول شيء خطأ عندما لا يبدو أي شيء صوابًا. أعتقد أحيانًا أن عدم قدرته على التعرف على وجوه الآخرين قد تجعل من الصعب عليه التحكم في تعبيرات وجهه. لقد اختفى العبوس القديم، وبدا الأمر كما لو أنه... يبتسم. ولكنها اختفت بالسرعة التي ظهرت بها.

قال فيما أصبح تعبير وجهه جديًّا مجددًا ليتناسب مع لهجته: «علينا الخروج من هنا فيما لا يزال هناك ضوء».

- ماذا عن بوب؟

- سنبحث عن مركز شرطة، ونشرح الوضع ونطلب منهم المساعدة.

- لقد تساقطت الثلوج على السيارة. والطرق تبدو خطرة.

- أنا متأكد من أننا نستطيع إخراجها. سأشعر بالأمان هناك أكثر من البقاء هنا لليلة أخرى، أليس كذلك؟

يفتح الباب أمام حجرة المؤن حيث رأينا جدار الأدوات عند وصولنا. يصدر المُبرد الضخم صوتًا غريبًا، وأتجنب النظر إلى الباب السري المؤدي إلى القبو. أفضل أن أنسى ما حدث هناك.

سألت عندما أخذ آدم فأسًا من الحائط: «»هل ستقطع طريقنا للخروج؟».

أجاب وهو يأخذ مجرفة من مشبك صدئ بيده الأخرى: «لا، أعتقد فقط أن امتلاك شيء للدفاع عن النفس قد لا يكون فكرة سيئة».

سيارة موريس مينور مغطاة بكمية كبيرة من الثلوج، مما يجعلها تمتزج مع المناظر الطبيعية. أشعر كأنني شيء احتياطي عندما يبدأ آدم في إخراج عجلات السيارة. الجو بارد جدًّا، لكنه لا يزال يتصبب عرقًا من جراء هذا الجهد. حتى يتوقف ويحدق إلى العجلة الأمامية كأنها أساءت إليه. أسقطَ المجرفة وانحنى خلف الجانب الأيسر الأمامي من السيارة، بحيث لم يعد بإمكاني رؤية ما يفعله.

يقول بصوت لاهث: «لا أصدق ذلك».

- ماذا؟

- يبدو أن لدينا إطارًا مثقوبًا.

أسرع ناحيته قائلة: «لا بأس، إنه أمر متوقع على هذه الطرق في هذه السيارة. لدي مجموعة أدوات في صندوق السيارة، ما دمنا نستطيع العثور على الثقب وهو صغير بما يكفي لأتمكن من...».

أتوقف عن الحديث عندما أراه بنفسي. لن تكون هناك مشكلة في العثور على الثقب لأنه بحجم قبضة اليد. يوجد قطع على شكل ابتسامة في المطاط: من الواضح أن الإطار قد مُزق. لقد كنت بالفعل أشعر بالبرد الشديد لدرجة أنني بالكاد أستطيع الشعور بيدي أو قدمي، لكن البرد الذي أشعر به الآن ينتشر في جسدي بالكامل.

يقول: «ربما قدنا السيارة فوق بعض الزجاج».

لا أجيب. معرفة آدم بالسيارات محدودة جدًّا نتيجة عدم امتلاكه لسيارة مطلقًا. اعتدت أن أجد الأمر محببًا، لم أعد أفعل الآن. يبدأ في الحفر لإخراج العجلة الخلفية، ثم يتوقف فجأة مجددًا.

ويتساءل: «هل سبق لكِ أن حصلتِ على إطارين مثقوبين في الوقت نفسه؟».

يبدو أن العجلة الخلفية قد مُزِقَت أيضًا. تمامًا مثل الأخرى.

هناك من لا يريدنا أن نغادر حقًّا.

روبين

تعود روبين إلى الكوخ وتغلق الباب. تأخذ منشفة حمراء صغيرة من مشبك معلق على الحائط، ثم تمسح الثلج عن أقدام الكلب وبطنه، قبل أن تعتني بنفسها. يهز ذيله فيما تجففه ثم يلعق وجهها. تبتسم روبين فهي تحب جميع الحيوانات، وخاصة الكلاب مثل هذا الكلب. حتى الأرنب أوسكار استعد لضيفه الجديد في المنزل.

سيعرف الزائران بحلول الآن أن الكنيسة كانت مملوكة لهنري وأنه مات. تتمنى روبين رؤية تعبيرات وجهيهما عندما عثرا على شاهد القبر، لكنها وبوب كانا قد رحلا منذ فترة طويلة. إنه كلب ودود وحنون للغاية -حتى لو كان ينبح بسبب الريح أحيانًا- من النوع الذي يثق بالجميع.

الجو بارد حتى **داخل** الكوخ. تشعل روبين النار وتجلس على السجادة المجاورة لها، تحاول تدفئة عظامها. افتقدت غليونها ولكنه قد اختفى الآن، لذا فتحت علبة من البسكويت. يستلقي الكلب بجانبها ويضع ذقنه على ساقيها، ويحدق إليها في أثناء تناولها الطعام على أمل أن تسقط شيئًا مما تأكله. تحب روبين أكل كل قطعة بسكويت ببطء، وقضم قطع صغيرة من الحواف الخارجية حتى لا يتبقى سوى المركز المحشو بالمربى، مما يجعل المتعة التي تجلبها لها تطول لأكثر فترة ممكنة.

ورغم جلوسها بالقرب من اللهب المكشوف، فإنها ما زالت لا تشعر بيديها. كانت أصابعها عبارة عن قوس قزح من اللون الأحمر ثم الأزرق بعد

استخدامها لمسح كل ذلك الثلج عن شاهد قبر هنري. لكن لم يكن الزائران ليجداه لو لم تفعل ذلك، وهي بحاجة إلى أشياء للبقاء على المسار الصحيح. هناك سبب وراء دعوتهما إلى هنا في هذه العطلة، وليس أي سبب آخر.

تتذكر روبين متى مات هنري.

«أريدكِ أن تأتي».

هذا ما قاله عندما اتصل. لم يقل «مرحبًا» أو «كيف حالك؟»، فقط ثلاث كلمات صغيرة. **أريدكِ أن تأتي**. لم يكن بحاجة إلى قول **العنوان**، رغم أنهما لم يتحدثا لفترة طويلة. ولم يكن بحاجة إلى قول **السبب** أيضًا، لكنه فعل ذلك.

«أنا مريض».

هاتان الكلمتان الصغيرتان اللتان نطق بهما عندما لم ترد. وتبين أنهما كانتا استهانة بما يمر به.

كانت تعلم أن هنري قد باع شقته في لندن بحلول ذلك الوقت، وكان يعيش في مخبئه الاسكتلندي طوال الوقت. لقد كان دائمًا زاهدًا يفضل رفقة نفسه. ما لم تتوقعه هو أنها ستكون الشخص الذي سيتصل به في ساعة حاجته. ولكنَّ عدم وجود أي شخص آخر كان أحد الأشياء القليلة المشتركة بينهما. المؤلفون قادرون على خلق العوالم الأكثر تفصيلًا وشعبية، وأحيانًا يتركون عوالم صغيرة لأنفسهم. تحتاج بعض الخيول إلى غمامات لتفعل ما تجيده وتفوز بالسباق. هم بحاجة إلى الشعور بالوحدة ودون أي تشتيت. تمامًا مثل بعض المؤلفين؛ إنها مهنة منعزلة.

لا يمكن إساءة اقتباس الصمت. لقد كان أحد شعارات روبين. لكنْ عندما لم تتحدث بعد، تشوش الاتصال وتحدث هنري مرة أخرى قبل أن يغلق الخط.

«أنا أحتضر. تعالي أو لا تأتي. فقط لا تخبري أحدًا».

لا يزال بإمكانها سماع نغمة الاتصال الآن إذا أغلقت عينيها.

وأوضح لاحقًا أنه نفد رصيده من النقود في الهاتف العمومي بالمستشفى. أصر على أنه لم يكن دراميًّا أو وقحًا عن عمد. لم تصدقه روبين. لم يسبق لها

تصديقه قط. لكنها ركبت السيارة على أي حال، لأن الحياة يمكن أن تكون غير متوقعة مثل الموت.

لم تتعرف على الرجل الجالس على حافة سرير المستشفى. التُقِطَت آخر صورة رسمية له قبل عشر سنوات على الأقل، ولم يتقدم هنري في العمر جيدًا. بدت سترة الصوف المميزة كبيرة جدًّا، كأنها ملك لشخص آخر، ولم توجد ربطة عنق حريرية، ولم يتبقَّ من شعره الأبيض سوى بضعة خصل رفيعة ممشطة فوق رأسه الأصلع الوردي. بدا غريبًا أن وجهه لم يكن مألوفًا لها، لكن يفقد الناس الاتصال بعضهم ببعض طوال الوقت. والمسافة لم تكن عاملًا حاسمًا في مثل هذه الأمور. حتى الجيران الذين يعيشون جنبًا إلى جنب لا يعرفون دائمًا أسماء بعضهم بعضًا.

لم توجد تحية. لا حضن. ولا شكر.

كان كل ما قاله: «أريد العودة إلى المنزل».

شاهدت روبين هنري وهو يوقع على أوراق الخروج باستخدام قلم حبر أخرجه من جيب سترته الداخلي. أمسكت أصابعه المرتعشة بالقلم بقوة شديدة حتى إن العظام في يده بدت كأنها قد تنفجر من خلال جلده الرقيق. انتظرت دون أن تنبس ببنت شفة فيما وقع بالأحرف الأولى على إقرارات مختلفة تنص بأنه سيغادر المستشفى خلافًا للنصيحة الطبية.

كان المستشفى على بعد أكثر من ساعة من بلاك ووتر، وجلسا في صمت طوال الرحلة على طول الطرق المتعرجة في المرتفعات. بمجرد عودته إلى الكنيسة التي حولها إلى منزل، توجه هنري متعرجًا إلى الصالة التي حولها إلى مكتبة، وأشار إليها لتتبعه. ثم فتح الباب السري في الجدار الخلفي للكتب. لم تتأثر روبين -فقد رأته من قبل- لكنْ كانت هذه هي المرة الأولى التي يدعوها فيها إلى **داخل** مكتبه.

حدقت إلى الأرانب البيضاء التي يبدو أنها تغطي كل الحوائط. كان ورق الحائط مغطى بنمط لامع منها، وكانت الستائر الرومانية مخيطة بمجموعة متنوعة من الأرانب، وكان هناك آذان كبيرة وذيول صغيرة مخيطة على وسائد مقعد النافذة، كما كان هناك أرنب في إحدى النوافذ الزجاجية الملونة.

ثم لاحظت وجود قفص في زاوية الغرفة. كبير بما يكفي لحمل طفل صغير. كان **هذا** شيئًا لم تره من قبل، ولم يكن فارغًا.

سألت روبين وهي تحدق إلى الكائن: «هل تملك أرنبًا باعتباره حيوانًا أليفًا؟».

- مجرد رفيق فقط، أنا مغرم بالأرانب البيضاء.

أجابت وهي تنظر إلى الغرفة مجددًا: «لقد لاحظت ذلك. ألديه اسم؟».

ابتسم قائلًا: «نعم، أطلق عليها اسم روبين».

لم تعلم روبين ماذا تفعل بهذه المعلومة: «لماذا؟».

تلاشت ابتسامته: «لقد ذكرتني بكِ».

انتقل هنري إلى الكرسي الموجود بجوار مكتبه وجلس.

- لا أعلم كم نملك من الوقت، لذا من الأفضل ألا نضيعه. أود أن أريكِ أين أحتفظ بوصيتي. كل شيء منظم، أنا فقط بحاجة إلى شخص ما ليضغط الزر إذا جاز التعبير عندما يحين الوقت. هناك خطط مكتوبة لما أود أن يحدث لي. أريد أن أحرق جثتي، لكنَّ كل ما تحتاجين إلى معرفته موجود في المجلد. لقد أنهيت نصف روايتي الأخيرة، ولن أتمكن من إكمالها الآن. سوف يعتني وكيل أعمالي بكل شيء بخصوص الكتب عندما يحين الوقت. لكنْ قد تكون هناك بعض القرارات التي أفضِّلها بشأن ممتلكاتي الأدبية...

نظر إليها، وعيناه الزرقاوان الكبيرتان تتوسلان كما لو كان ينتظر روبين لتقول شيئًا ما. وعندما لم تفعل ذلك، بدا كأنه استسلم، واستجمع أفكاره المتعبة برفق من حيث تركها تقريبًا وأكمل: «افعلي كل ما تعتقدين أنه صواب، هذا كل ما يمكن لأي منا فعله في النهاية. أعدك أنني حاولت ذلك. هناك بضعة عناوين بريد إلكتروني أخرى ربما ينبغي أن تكون لديكِ -الأشخاص الذين يحتاجون إلى معرفة أنني ميت قبل أن يقرؤوا ذلك في الصحف- سأكتبهم الآن فيما أتذكر».

شاهدته روبين وهو يأخذ جهاز الحاسوب المحمول من درج المكتب. أظهر وجه هنري شيئًا يشبه الابتسامة عندما رأى التعبير على وجهها، والخطوط والتجاعيد الوفيرة على جلده تتضاعف في العدد.

- أعلم، أعلم. يعتقد الجميع أنني لا أفهم كيفية استخدام التكنولوجيا الحديثة، لكنني كبير في السن ولست خرفًا. يعجبني تمامًا أنهم يعتقدون أنني عجوز جدًّا لدرجة أنني أكتب الروايات بريشة ووعاء من الحبر، لكن هذا الحاسوب المحمول الصغير يوفر لي الكثير من الوقت. من الأسهل التعديل بالنسبة إلى النسخ الابتدائية. أستخدم الآلة الكاتبة في النسخة النهائية لإرسالها إلى وكيل أعمالي –للحفاظ على وهم الشخص الذي يظنونني عليه– ولكني أستخدم الحاسوب لجميع المسودات الأخرى. لكني أرفض تجاوز الحدود عند الهواتف المحمولة، فهذه الأشياء تسبب السرطان، تذكري كلماتي.

كتب كلمة المرور في الحاسوب باستخدام إصبع السبابة فقط، وببطء شديد، لذلك رأت كلمة المرور دون أن تقصد حقًّا: روبين. إن معرفة أنه استخدم اسمها لكلمة المرور الخاصة به وكذلك حيوانه الأليف جعلتها تشعر بإحساس غامر من الحيرة والذنب. لم تكن تعرف ماذا تقول، لذلك –مجددًا– لم تقل شيئًا. فتح حساب بريده الإلكتروني باستخدام كلمة المرور نفسها، مما جعلها ترغب في البكاء. لقد عرفته جيدًا بما يكفي لتعرف أنه يريد أن يعيش –ويكتب– إلى الأبد. لكن كل الأموال الموجودة في العالم لا يمكنها شراء المزيد من الوقت.

قال هنري وهو يحول انتباهه إلى بريد غير مفتوح على المكتب: «ربما يكون هذا كلامًا فارغًا وهراءً، كما هي الحال في العادة».

أخذ فتاحة رسائل فضية، بدت ثقيلة في يده الضعيفة، وقطع بين طيات الظرف العلوية. ارتجفت أصابعه قليلًا عندما أخرج ما بداخله: رسالة من وكيله. قرأتها روبين من فوق كتفه، ورأت كيف ابتهج الرجل العجوز عندما علم أن روايته الأخيرة كانت من أكثر الكتب مبيعًا وفقًا لصحيفة **نيويورك تايمز**.

قال، وهو يبدو أشبه بشخصيته القديمة، تلك التي تتذكرها: «أليس هذا شيئًا جيدًا؟ لم أكن أعلم عندما كنت أكتبه، لكن هذا كان آخر كتاب سأنشره على الإطلاق. إنه يعني الكثير بالنسبة إليَّ أن القراء أحبوه».

قالت روبين: «حسنًا، آراؤهم كانت دائمًا هي الأكثر أهمية».

تجعد وجهه. لذا أضافت: «أعني، تهانينا».

فماذا يمكنها أن تقول لرجل يحتضر؟ نظرت إلى الحاسوب مجددًا: «لا يزال وكيلك يكتب لك الرسائل ويرسلها بالبريد؟».

- بلى.

- ألا يعلم أن لديك بريدًا إلكترونيًّا؟

ابتسم هنري قائلًا: «يوجد الكثير من الأشياء التي لا يعرفها وكيل أعمالي عني».

دار بينهما حوار غير منطوق، في لحظة تفاهم نادرة. ثم أعادا ضبط نفسيهما ومضى الأمر.

قال: «يوجد بعض الشمبانيا في القبو. اذهبي وأحضري لنا زجاجة، هل يمكنكِ؟ هل يمكنكِ تناول مشروب واحد معي للاحتفال بآخر الكتب الأكثر مبيعًا؟ ثم أعدكِ بأنني سأخبركِ بكل شيء آخر تحتاجين إلى معرفته. لقد أغلقت الباب السري، حتى إنني أتعرض لنوبات التوتر في بعض الأحيان».

- لكن كل تلك القصص عن الجثث التي عُثر عليها في القبو، والساحرات والأشباح... **لقد** اختلقتَ كل ذلك لإبعاد الناس عن هنا.

ابتسم ابتسامة عريضة قائلًا: «نعم، كل هذا مجرد نسج من خيالي المظلم والملتوي. لكنها نجحت، أليس كذلك! الشيء الوحيد الذي وجده البناؤون في القبو عندما رمموا المكان كان الرطوبة. أحب السلام والهدوء والخصوصية. لا أريد أن يزعجني الناس، لكن أحيانًا أخيف نفسي. في بعض الأحيان كنت أقضي سنوات عديدة داخل تلك القصص، لدرجة أن العالم الذي اختلقته كان يبدو لي أكثر واقعية من العالم الذي أعيش فيه».

دمعت عيناه الزرقاوان، واستطاعت روبين رؤية أن عقله قد شرد في مكان ما بعيدًا. لكنْ بعد ذلك رمش وعاد إلى الواقع: «مفتاح قفل الباب السري موجود في أحد أدراج المطبخ... لقد نسيت أيها».

ترددت روبين لكنها فعلت ما طلبه. أول شيء رأته عندما دخلت غرفة المؤن هو المُجمد العملاق، ثم لاحظت جميع الأدوات المصطفة على الحائط، بما في ذلك جميع المنحوتات المصنوعة من الخشب وأدوات البناء الحجرية مرتبة بدقة حسب الحجم. لقد أخافتها الفأس الآن بقدر ما كانت تفعل سابقًا. لسنوات كان هنري يستمتع بنحت الأشياء من الخشب والحجارة، وقال إن الأمر يشبه إلى حد ما نحت الخيال من الحياة الحقيقية. يتطلب الأمر فقط الصبر والخيال واليد الثابتة. في كل صيف كان يقطع شجرة قديمة تحجب رؤيته عن البحيرة بهذه الفأس، ثم ينحت بعناية منحوتة حيوانية في الجذع المتبقي. وكانت البوم والأرانب هي المفضلة لديه. كلها بأعين مخيفة وكبيرة الحجم، تشبه عينيه قليلًا.

كان الباب السري مغلقًا بالفعل، واستغرق الأمر وقتًا طويلًا لتعثر على المفتاح. ذكَّرتها رائحة الرطوبة وهي تسير على الدَرجات الحجرية بأشياء كثيرة كانت تفضل نسيانها. لكن لم توجد أشباح في القبو -على الأقل ليس بهذا التنوع ولا في ذلك اليوم- يوجد فقط الكحول. وبحلول الوقت الذي عادت فيه إلى المكتب وهي تحمل زجاجة شمبانيا مغبرة، تفاجأت عندما وجدت هنري لا يزال يحدق إلى قطعة الورق المحتوية على قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في صحيفة **نيويورك تايمز**. وكان وكيله قد وضع دائرة حول كتابه باللون الأحمر. لقد كان رقم واحد.

سكبت روبين كأسين وأحضرت واحدة للرجل العجوز ليأخذها، لكنه لم يفعل. عندما نظرت من كثب استطاعت الرؤية أنه لا يتحرك وأن عينيه الزرقاوين لم ترمشا لبعض الوقت. حاولت الشعور بنبضه لكنْ لم يوجد نبض. لاحظت بعض الأشياء التي لم تكن موجودة من قبل على المكتب: زجاجة فارغة من الحبوب، وقائمة من التعليمات، ووصية. شربت كأس الشمبانيا التي كانت في يدها. ليس احتفالًا، بل لأنها أرادت شرب الكحول. على الأقل مات سعيدًا.

دفنت روبين هنري في تلك الليلة، خوفًا من أن يراها أحد ما إذا انتظرت شروق الشمس. لفت جسده بملاءة سرير قديمة مع بعض كتبه المفضلة، ثم سحبته خارج الكنيسة. لقد طلب حرق جثته في وصيته، ولكنَّ وجود مقبرة بالخارج مباشرةً، ومجرفة، كان أمرًا مريحًا للغاية حتى وإن كان العمل شاقًّا. وُجدت تعليمات أخرى اختارت روبين تجاهلها أيضًا. مثل إخبار أي شخص على الإطلاق أن هنري قد مات. في صباح اليوم التالي طلبت شاهد قبر جميل المظهر عبر الإنترنت باستخدام حساب هنري المصرفي، وعندما وصل نقشته بنفسها باستخدام أدوات هنري. كان لديه مبلغ كبير من المال -أكثر مما تخيلته- لكن روبين لم تنفق فلسًا واحدًا منه على نفسها. رغم أنه كان واضحًا في وصيته أن المؤلف ترك لها مبلغًا كبيرًا. المرة الوحيدة التي استخدمت فيها بطاقته المصرفية مجددًا كانت لشراء المؤن للزائرين، لأن ذلك كان **لهما**، وليس لها. بعد يومين من وفاة هنري، طردت عامل النظافة، مع العلم أنه لم يأت أحد لزيارة منزله المنعزل. حتى فندق بلاك ووتر أُغلِقَت أبوابه قبل سنوات بفضل هنري. سيكون وحيدًا في الموت كما اختار أن يكون في الحياة.

عندما وجدت روبين عمل هنري غير المكتمل على الحاسوب المحمول الخاص به، قرأته بدافع الفضول أكثر من أي شيء آخر. لقد كانت رواية أخرى مظلمة وملتوية لهنري وينتر. لم تكن تدرك أنها كانت تحبس أنفاسها خلال مشهد مخيف معين، حتى أصدر الأرنب صوتًا غير متوقع في قفصه وجعلها تقفز. لم تحب روبين أن يُحبَس شيء يملك اسمها نفسه. حملت الأرنب الأبيض الضخم إلى خارج الكنيسة، وأغلقت الباب خلفه عندما لم يهرب، على أمل ألا تراه مجددًا أبدًا. لكنه لم يتزحزح. عندما حملته بعيدًا أقرب إلى العشب الطويل والبحيرة، عاد مجددًا وجلس خارج ذلك الباب القوطي الضخم كما لو كان ينتظر السماح له بالدخول. لم تفهم الأمر في ذلك الوقت، لكن لا يريد الجميع التحرر.

برونز

كلمة العام:

رهاب الإخفاق (atelophobia): الخوف من عدم عمل الصواب أو الخوف من عدم كونك جيدًا بما فيه الكفاية. القلق الشديد من الفشل في تحقيق الكمال.

29 من فبراير 2016 - الذكرى السنوية الثامنة لنا.

عزيزي آدم

لم نحتفل بالذكرى السنوية هذا العام.

لقد أصبحت أقضي الكثير من الوقت مع صديقة من العمل وأنت تقضي وقتًا طويلًا مع... عملك. لقد عانيت مع أحدث اقتباس من كتب هنري وينتر. أنا شخصيًا أعتقد أنك كنت تحاول جاهدًا إرضاء المؤلف بدلًا من أن تكون صادقًا مع نفسك. لكن كما قلتَ عندما عرضتُ عليك محاولة المساعدة منذ بضعة أسابيع، ما الذي أعرفه؟

أعلم أن الأكاذيب التي نقولها لأنفسنا هي الأخطر دائمًا. وأعلم أنه في بعض الأحيان تكون الأفكار التي نخفيها في هامش عقولنا هي الأكثر صدقًا،

لأنها ملكنا وحدنا، ونعتقد أنه لن يراها أحد. بينما كنتَ تفكر في هنري وينتر وكتبه، كنت أفكر في تركِكَ.

صديقتي في العمل لطيفة ومراعية وتهتم بي حقًّا. إنها لا تجعلني أشعر أبدًا بالغباء أو عدم الأهمية أو اعتباري أمرًا مفروغًا منه. عمى الوجوه ليس الطريقة الوحيدة التي تجعلني بها أشعر بأنني غير مرئية. أنت تجعلني أشعر كأنني لست جيدة بما يكفي كل يوم. إنه أمر فظيع للاعتراف به، لكن في بعض الأحيان أتساءل عما إذا كان السبب الوحيد الذي جعلني أبقى هو بوب. وهذا البيت.

أحب هذا الأثر الفيكتوري القديم والجميل، المخبأ بعيدًا في أحد أركان لندن التي نسيها الزمن. لقد تسرب دمي وعرقي ودموعي حرفيًّا إلى كل شبر من المكان في أثناء ترميمه. مع القليل أو في الغالب لا مساعدة على الإطلاق منك. عندما كنا أصغر سنًّا لم أجرؤ على تخيل أننا قد نتشارك منزلًا مثل هذا في يوم من الأيام. ربما أنتَ فعلت؛ لطالما كانت أحلامك أكبر من أحلامي. لكنْ كذلك كانت كوابيسك أيضًا. لقد حظينا كلانا بطفولة من الأفضل نسيانها، لكن بذور الطموح تنمو بشكل أفضل في التربة الضحلة.

كيف تجرؤ على **دعوته** إلى هنا دون حتى أن تسألني أولًا.

لقد مررتُ بيوم صعب في العمل -ودون أي إساءة، ولكنَّ وظيفتي حقيقية، فأنا لا أجلس وأكتب طوال اليوم- كل ما أردته هو العودة إلى المنزل والاستحمام وفتح زجاجة نبيذ. استطعتُ سماع أصوات داخل المنزل حتى قبل وضع مفتاحي في الباب. صوتك وصوت آخر. وتوجد رائحة كأن شيئًا ما يحترق. لقد وجدتك في الصالة تشرب الويسكي مع هنري وينتر، فيما كان يدخن الغليون في منزلنا المخصص لغير المدخنين. اعتقدت أنني تخيلت ذلك في البداية، لكن سترة الصوف وربطة العنق الحريرية بدتا أصليتين بما يكفي لتكونا حقيقيتين.

قلتَ كما لو أنني لا أستطيع رؤية ذلك بنفسي: «مرحبًا عزيزتي. لدينا زائر».

كان يمكن لأي شخص آخر رؤية نظرة الرعب على وجهي، لقد رآها لكنك لم تفعل لأنك لا تستطيع. ومع ذلك كنت أعتقد أنه كان بإمكانك التقاط الانزعاج الشديد الذي أشعر به بطريقة أخرى. في بعض الأحيان تُظهِر الذكاء العاطفي لضفدع مصاب بتلف في الدماغ.

حدق كلاكما إليَّ منتظرين أن أتكلم، لكن ماذا يمكنني أن أقول؟ كان أحدكما جاهلًا تمامًا بالموقف، فيما بدا الآخر سعيدًا جدًّا به.

قلتَ ممسكًا بغلاف مقوى باللون الأحمر الزاهي وتبدو سعيدًا كأنك كتبته بنفسك وتريد نجمة ذهبية: «انظري، هذا كتاب هنري الجديد».

هز هنري كتفيه بتواضع زائف: «ربما ليس ذوقكِ الخاص».

- ليس حقًّا. أرى ما يكفي من الرعب في العالم الحقيقي.

ربما لا تستطيع قراءة تعابير وجهي، لكنني أتقن قراءة تعابير وجهك، ولو كانت النظرات تقتل لكنتُ الآن في المشرحة. كان الجو متوترًا جدًّا، لذلك لم يكن مفاجئًا أن يلاحظ هنري.

- أنا آسف جدًّا للتطفل. لقد بعت شقتي في لندن العام الماضي وعدت إلى مخبئي الاسكتلندي للبقاء دائمًا -يجب أن تزوراني كلاكما- لدي اجتماع مع الناشر الخاص بي في المدينة غدًا، لكنْ حدثت مشكلة في اللحظة الأخيرة تتعلق بحجز الفندق. وأصر زوجكِ على بقائي هنا...

لم أقل كلمة واحدة. أكمل قائلًا: «...ولكنني لا أريد التطفل. يمكنني فقط...».

قاطعتَه فيما تنظر إليَّ: «أنت أكثر من مرحب بك هنا. أليس كذلك يا عزيزتي؟».

قلت: «بالطبع. أنا في الواقع سأغير ملابسي وسأخرج لرؤية صديق. أتمنى أن تقضيا أمسية جميلة».

شعرت كأنني ضيف غير مرغوب في منزلي.

ركضت عمليًّا على الدرج وحزمت حقيبتي. قضيت عطلة نهاية الأسبوع بأكملها مع صديقتي من العمل. ذهبنا إلى معرض فني في أحد الأيام، وإلى المسرح في اليوم التالي. شعرت بالحياة والسعادة والحرية. أنا أستمتع بصحبتها أكثر من صحبتك هذه الأيام. إنها تميل إلى حب الحيوانات أكثر من

البشر أيضًا، ولهذا السبب بدأتِ العمل التطوعي في مأوى باترسي للكلاب. إنها تستمع إليَّ وتضحك على نكاتي ولا تجعلني أشعر بأنني في المرتبة الثانية طوال الوقت. إنها مغرمة جدًّا بوجبات الميكروويف والأطعمة المعلبة على الغداء -لم أرها قطُّ تأكل سلطة أو أي شيء أخضر- لكن لا يوجد أحد مثالي ويوجد الكثير من الأشياء الأسوأ في الحياة التي يمكنك إدمانها.

عندما عدت إلى المنزل في نهاية عطلة نهاية الأسبوع، شعرت بالارتياح لرحيل هنري. لقد شعرت بالحزن لأنك لا تبدو مهتمًّا حقًّا بالمكان الذي كنت فيه أو مع مَن كنت. كنت تعلم أنه صديق من العمل، لكنك لم تسأل حتى عن اسمه. بدلًا من ذلك نظرت إليَّ بنظرة غريبة على وجهك.

سألتُ: «ما الخطب؟».

وأنا أهتم ببوب الذي من الواضح أنه يفتقدني أكثر منك.

قلتَ: «لا شيء».

بتلك النبرة الصبيانية العابسة التي تعني أن شيئًا ما قد حدث: «لقد غيرتِ شعركِ».

- مجرد تشذيب.

أنت تتعرف على شعري أكثر مما تتعرف على وجهي، ويبدو دائمًا أنك تنزعج قليلًا عندما أغيره. إنه بصراحة أقصر بمقدار سنتيمترين فقط، مع بعض الخصل الملونة بلون أفتح من ذي قبل، لكنْ من الجيد الشعور أنك مُلاحظ. شعرت برغبة في تدليل نفسي قليلًا، كما لو أنني أستحق المكافأة، لكن يمكنني القول من وجهك إنه يوجد شيء آخر يدور في ذهنك.

سألتُ: «هل تريد أن تخبرني ما الذي يزعجك الآن أم بعد العشاء؟».

عبست مثل طفل مدلل: «لا شيء يزعجني. لقد أنهيت السيناريو الخاص بي اليوم... وتساءلت عما إذا كنتِ قد ترغبين في تناول مشروب في الحانة للاحتفال؟».

كنت على وشك الاحتجاج بأدب لأنني متعبة، لكنك استبقت رفضي بمزيد من الكلمات الخاصة بك: «أيضًا، أتساءل عما إذا كان بإمكانكِ قراءته قبل أن أرسله إلى وكيل أعمالي».

وكان الأمر يظهر ليس فقط في صوتك لكنْ في عينيك أيضًا.

كنت لا تزال بحاجة إليَّ.

رغم كل الزملاء والأصدقاء الكُتاب في حياتك، في لندن ولوس أنجلوس، فإنك لا تزال تهتم برأيي في عملك. تمامًا مثلما التقينا في البداية.

قلت وقد حان دوري لأبدو فظة: «لا أعتقد أنني ما زلت قارئك الأول؟».

- بالطبع أنتِ كذلك. لطالما كان رأيك أكثر أهمية. لمن تعتقدين أنني أكتب كل هذه القصص سرًّا؟

حاولت جاهدة ألا أبكي: «لي؟».

- كليًّا.

هذا جعلني أبتسم: «سأفكر في الأمر».

- ربما تساعد لعبة حجر ورقة مقص في اتخاذ القرار؟

قلتُ وأجبرت نفسي على النظر إلى عينيك: «ربما يجب أن نلعب من أجل شيء آخر».

- مثل ماذا؟

- مثل... هل ينبغي لنا أن نظل معًا أم لا؟

لقد لفت ذلك انتباهك -حتى أكثر من الشعر- ولم يكن أي منا يبتسم في ذلك الوقت. لا أعرف ماذا كنت أتوقع منك أن تقول، لكنه لم يكن ذلك...

- حسنًا. دعينا نفعل ذلك. لعبة حجر ورقة مقص ستقرر مستقبل زواجنا. إذا خسرتُ، فسينتهي الأمر.

لم أعد متأكدةً أي منا يختبر جدية الآخر أو ما إذا كانت هذه هي الحال. لقد سمحت لي دائمًا بالفوز كلما لعبنا اللعبة. مقصي سيقطع ورقتك كل مرة. كل مرة. لا أعرف ما الذي جعلني أرغب في أن تكون الأشياء مختلفة، لكن يدي شكلت شكلًا جديدًا. ولدهشتي أنتَ فعلت أيضًا.

في المرة الأولى شكَّل كلانا صخرة، وكانت النتيجة تعادلًا.

لكن لو لم أغير خياري... لكنتَ قد فزتَ.

وفي المرة الثانية اختار كلانا الورق.

مع ارتفاع الأخطار بشكل كبير عن المعتاد، بدت الجولة الثالثة من هذه اللعبة الطفولية متوترة بشكل يبعث على السخرية.

لعبنا مرة أخرى. لقد اخترتُ تغيير الشكل، لكنك قررتَ الاستمرار بالشكل نفسه. أصابعك الورقية ملفوفة حول قبضتي الحجرية، وانتصرتَ.

قلتُ: «أعتقد أن هذا يعني أننا سنبقى معًا».

أمسكتَ بكلتا يدي ثم سحبتني أقرب إليك وقلت: «وهذا يعني أحيانًا أن الحياة تغير الناس، حتى نحن. كلانا نسختان مختلفتان من نفسينا مقارنة بما كنا عليه عندما التقينا لأول مرة. لا يمكن التعرف علينا تقريبًا في بعض النواحي. لكنني أحب كل النسخ منكِ. وبصرف النظر عن مدى تغيرنا، فإن ما أشعر به تجاهكِ لن يتغير أبدًا».

وأردتُ تصديقك. لقد قطعنا شوطًا طويلًا، كلانا، وفعلنا ذلك معًا. لهذا السبب لا أستطيع تركنا نتفكك.

لم نذهب إلى الحانة، ولم نفعل الكثير للاحتفال بالذكرى السنوية لزواجنا هذا العام، لقد سهرتُ حتى ساعة متأخرة لقراءة عملك. كان جيدًا. ربما أفضل ما لديكم. الشعور بالحاجة ليس هو نفسه الشعور بالحب، لكنه قريب بما يكفي لتذكيري بمن كنا. أريد إيجاد تلك النسخ منا مجددًا، وأحذرها من السماح للحياة بتغيير شخصياتهما كثيرًا.

تركتُ ملاحظاتي عن المخطوطة، بالإضافة إلى هدية الذكرى السنوية لك على طاولة المطبخ قبل أن أغادر للعمل في وقت مبكر من اليوم التالي. كان تمثالًا صغيرًا من البرونز لأرنب يقفز في الهواء. كنت تعتقد أنه يتعلق **بمغامرات أليس في بلاد العجائب** -لأنه كان أحد كتبي المفضلة عندما كنت طفلة- لكنك كنت مخطئًا. اشتريته لأنه ذكرني بمثل روسي علمني إياه رجل عجوز ذات مرة. ما زلت معجبة به إلى حد ما:

إذا طاردت أرنبين، فلن تتمكن من الإمساك بأي منهما.

لقد أعطيتني بوصلة برونزية بعد بضعة أيام، مع النقش التالي:

حتى تتمكني دائمًا من العثور على طريق عودتك إليَّ.

لم أدرك أنك ظننت أنني كنتُ تائهة.

زوجتك.

أميليا

ترك آدم السيارة بإطاريها المثقوبين وعاد إلى داخل الكنيسة. أتبعه عبر غرفة الأحذية ثم المطبخ ثم الصالة، حتى أصبحنا واقفين في منتصف مكتب هنري وينتر السري. يحدق آدم إلى جميع أنحاء الغرفة. لست متأكدة مما يبحث عنه أو يأمل في العثور عليه. لقد فضلت الأمر عندما اعتقدت أننا سنغادر.

كان النمط هنا هو الأرانب البيضاء بالتأكيد... فهي تقفز على ورق الحائط والستائر والوسائد. خيارات التصميم الداخلي غير متوقعة بالنسبة إلى رجل في الثمانينيات من عمره كان يحب كتابة الكتب المظلمة والملتوية. لكنْ كما يقول آدم دائمًا، فإن أفضل الكُتاب يميلون ألا يكون لديهم أي شيء مشترك مع شخصياتهم.

ينظر آدم إليَّ بنظرة غريبة على وجهه.

يقول بنبرة عادة ما يحتفظ بها لموظفي التسويق: «إذا كنتِ تعرفين أي شيء عما يحدث هنا بالفعل، فسيكون الآن هو الوقت المناسب لإخباري».

– لا تبدأ في محاولة إلقاء اللوم عليَّ. هذا المكان ملك للمؤلف الذي قضيت السنوات العشر الأخيرة من حياتك في اقتباس رواياته. لم أحبه **قط**. أو أحب كتبه. وكل ما رأيته في هذه العطلة يشير إلى **أنكَ** السبب في كوننا محاصرين هنا.

ينظر آدم إلى المكتب العتيق مجددًا، ذلك المكتب الذي كان يخص أجاثا كريستي. مصنوع من الخشب الداكن وصغير جدًّا، لكنْ يوجد به عشرة أدراج صغيرة، والتي لم ألاحظها حقًّا إلا عندما بدأ في سحبها للخارج. كل منها يشبه صندوقًا خشبيًّا مصغرًا، وعندما يقلب الأول على كف يده، يسقط تمثال برونزي صغير لأرنب.

تمتم وهو ينتقل بالفعل إلى الدرج التالي: «لقد رأيت هذا من قبل».

يجد داخله مجسمًا ورقيًّا لطائر من الأوريجامي، تمامًا مثل الطائر الذي يحمله دائمًا في محفظته. أشاهد في صمت فيما يشحب وجهه.

لا أستمتع برؤية زوجي هكذا. يرى الآخرون نسخة مختلفة من الرجل الذي أعرفه. هم ليس لديهم أي علم بحالته المزاجية، أو مشاعر انعدام الأمان لديه، أو كوابيسه المعتادة حول امرأة ترتدي الكيمونو الأحمر تصدمها سيارة. إنه لا يستيقظ فقط لاهثًا ومغطى بالعرق عندما يحلم بها بل أحيانًا يصرخ. لقد قضى آدم حياته يهرب من الأشياء التي كانت تخيفه أكثر من غيرها، ورغم أن الصبي يبدو الآن رجلًا فلم يتغير كثيرًا.

ليس في عيني.

يفتح درجًا آخر ويحمل مفتاحًا حديديًّا عتيق المظهر.

التالي ممتلئ بالعملات النحاسية. يبدو أنه يوجد أكثر من مئة منها، كل واحدة منها بها ثقوب للأعين ووجه مبتسم منحوت.

فخار

كلمة العام:

متلازمة موناشوبسيس (Monachopsis):

الشعور الخفي لكنِ المستمر بأنك لست في المكان الصحيح. غير قادر على التعرف على موطنك، ولا تشعر أبدًا بالانتماء إلى أي مكان.

28 من فبراير 2017 – الذكرى السنوية التاسعة لنا.

عزيزي آدم

لم يعد منزلنا يبدو كأنه يخصنا بعد الآن، لكنك على الأقل لم تنس الذكرى السنوية لزواجنا هذا العام. أعتقد أن هذا شيء جيد. لقد انشغلت بالكتابة مجددًا، وأنا شغلت نفسي بفعل أشياء أخرى مع الآخرين.

اخترنا قضاء أمسية هادئة -تمامًا كما نفعل في معظم الليالي- لكنْ مع زجاجة من الشمبانيا ووجبة جاهزة دلالة على مرور تسع سنوات على زواجنا. لقد اتفقنا على أن تناول الطعام في الصالة في أثناء مشاهدة فيلم هو أفضل طريقة للاحتفال؛ فالجلوس في صمت يسلط الضوء فقط على معاناتنا لإجراء محادثة هذه الأيام. لقد أهديتني قسيمة مطبوعة لحضور دورة لصناعة

الفخار. وأهديتكَ كوبًا مكتوبًا عليه «ابتعد، أنا أكتب». لقد فكرت في اقتراح رؤية مستشار للزواج، لكن حتى الآن لم أشعر أن الوقت مناسب تمامًا. نحن نسير بحذر شديد حتى وصلنا إلى طريق مسدود.

شعرت بمزيج من الراحة والحماس عندما رن جرس الباب وأنقذنا من نفسينا. قفزتَ لتفتحه، وقضيتَ وقتًا طويلًا في الردهة وافترضت أنه شخص تعرفه. لكنها كانت صديقتي من العمل. كانت تبكي. ارتجفتُ قليلًا عندما رأيتكما معًا. أحاول ألا أتحدث بشأننا معها، لكنها تسألني دائمًا، لذلك من الصعب عدم فعل ذلك دون أن أبدو وقحة. أعتقد أنني أردت فقط الاحتفاظ بها لنفسي، صديقتي التي لا علاقة لها بك، رغم أن ذلك قد يبدو سخيفًا.

سألتُ وأنا أنظر إليكما واقفين هناك عند المدخل: «ما الخطب؟».

أنتَ تنتعل نعليك وهي تنتعل الكعب العالي والدموع تنهمر على وجهها.

بدأتْ متطوعة في باترسي العام الماضي. إذا كان علينا الدفع لكل من يعمل في المؤسسة الخيرية فسنفلس قريبًا. يساعد المتطوعون الموظفين في كل شيء تقريبًا: رعاية الحيوانات وغسلها وتمشيتها وإطعامها. ينظفون بيوت الكلاب، ويساعدون في رفع مستوى الوعي وجمع الأموال في المناسبات، وبعضهم يساعدني أيضًا في المكتب. هكذا التقينا. في المقابل ساعدتها في الحصول على وظيفة مدفوعة الأجر بدوام كامل في وقت سابق من هذا العام، لذلك ترى إحدانا الأخرى الآن كل يوم تقريبًا.

زملائي لم يتقربوا منها مثلما فعلت. لقد أطلقوا النكات قائلين إننا يمكن أن نصبح توأمتين لولا أن شعري أشقر ومستقيم، وكان شعرها بنيًّا مجعدًا. لكني أعتقد أن معظم التعليقات الحاقدة كانت بدافع الغيرة. إن الثرثرة دائمًا ما تكون نتاج الغيرة. إنها خجولة وانطوائية، مما يجعل الناس متشككين. إنها أيضًا هادئة جدًّا، وتتحدث دائمًا كما لو كانت تشك في كل ما يخرج من فمها، وتحاول قياس حجم الكلمات كما لو كانت قلقة من أنها قد لا تكون مناسبة. لكنْ ليس هذه الليلة.

قالت وهي تمسح وجهها الملطخ بالدموع بظهر يدها: «أنا آسفة جدًّا لحضوري هكذا دون دعوة».

كانت ترتدي معطفًا ضخمًا منتفخًا بغطاء للرأس، لا يتناسب مع الكعب على الإطلاق.

سألتها وبدأتْ بالبكاء: «ماذا حدث؟ هل أنتِ بخير؟ ادخلي...».

– لا، لا أستطيع حقًّا. يقول آدم إنها الذكرى السنوية لكما...

بدا اسمكَ على شفتيها غريبًا على أذني.

– لا تقلقي بشأن ذلك. لقد تزوجنا منذ ما يقارب عقدًا من الزمن. نحن حتى لا نقيم علاقة حميمية بعد الآن.

النظرة التي أعطيتني إياها حينها كانت لا تقدر بثمن.

أتساءل ما التعبير الذي ظهر على وجهي عندما قبلتْ الدعوة، وخطت إلى الداخل، وأنزلت غطاء رأسها لتكشف عن شعر أشقر. لقد اختفت تجعيداتها، وبدلًا من ذلك صُفِّفَ بشكل مستقيم تمامًا مثل شعري، وصبغته باللون نفسه.

قالت وهي تراقب ردة فعلي عندما نزعت معطفها: «أوه... لقد صففت شعري».

قلتُ: «حسنًا».

فيما أحاول استيعاب التحول في شكلها وأنا أستوعب بقية عملية التجميل. زي عملها المكون من كنزة تحمل اسم باترسي وجينز قديم وأحذية رياضية -وهو كل ما رأيتها تلبسه على الإطلاق- استُبدِلَ به فستان أحمر ضيق. بدت مختلفة لكن في الوقت ذاته مألوفة: كانت تشبهني. حتى إن صوتها بدا مثلي قليلًا. لقد اختفت لهجتها الشرقية التي اعتادتها، لكنْ أحيانًا يبدو الكثير من الناس مختلفين عندما يشعرون بالتوتر. وهي بدت متوترة للغاية حولك.

– أردت أن أبدو جميلة لأنني كان لدي موعد... لكنه كان سيئًا. قال إنه يريد اصطحابي واعتقدت أنه كان نبيلًا ولطيفًا، لكنه الآن يعرف أين أعيش. لقد هددني وأصبح عدوانيًّا للغاية عندما لم أدعُه للدخول و... أنا آسفة جدًّا، لا أعرف أي شخص آخر في لندن غيركِ و...

اقترحتَ وابتسمت بأسنان بدت أكثر بياضًا من ذي قبل: «لا بأس، أنت بأمان الآن. هل سيساعدكِ احتساء كأس من الشمبانيا؟».

أنت تصبح دائمًا زوجًا أفضل عندما يكون لدينا جمهور.

شعرت بالأسف الشديد عليها عندما جلسنا ثلاثتنا في الصالة نشرب الشمبانيا الخاصة بذكرى زواجنا، ونستمع إلى قصص الرعب التي لا نهاية لها عن حياة العزوبية. لم أستطع تخيل أن أكون بمفردي في مثل هذا العمر. لقد تغير العالم كثيرًا -المواعدة عبر الإنترنت، والمواعدة السريعة، وتطبيقات المواعدة- كل هذا يبدو فظيعًا. لم يسبق لي الملاحظة من قبل -ربما لأنها أحسنت عملًا في إخفائه تحت القمصان الفضفاضة والجينز القديم الذي تلبسه عادة- لكن صديقتي جميلة جدًّا عندما تبذل جهدًا. إذا كانت حياة العزوبية صعبة للغاية بالنسبة إليها، تخيل كيف سيكون الأمر بالنسبة إلينا. شعرت بأنني كبيرة جدًّا في السن بالنسبة إلى هذا النوع من الهراء. لقد شاهدتكَ فيما كنت تنظر إليها وكنت لطيفًا ومراعيًا للغاية. كانت تبتسم باستمرار فيما كنت تجري محادثة مهذبة معها، كما لو كان هناك حصة من الابتسامات كان عليها الوفاء بها قبل نهاية الليل. لقد كنتُ سعيدة لأنه بدا أن كليكما تتفقان. عندما فتحنا زجاجة أخرى وجلسنا نستمع إلى حديثها عن مواعيد مروعة مع رجال فظيعين، أدركتُ كم كنت محظوظة بالحصول على أحد الرجال الجيدين.

همستَ فيما صعدنا إلى السرير: «حسنًا، كان من الجميل أن ألتقي أخيرًا زوجتكِ في العمل».

لقد كانت نائمة في غرفتنا الاحتياطية، ونظرًا إلى كمية الكحول التي تناولتها، ربما لم تكن هناك حاجة إلى خفض صوتك.

- لا أعلم لماذا لم أدعُها من قبل. الآن بالتفكير في الأمر لست متأكدة من كيفية إيجادها إياي -لا أعتقد أنني أعطيتها عنواننا من قبل- لكنني سعيدة لأنها فعلت.

- إنها ليست تمامًا كما تصورتها من الطريقة التي وصفتها بها. تبدو... لطيفة.

- لقد قلت ذلك كما لو كانت إهانة. هل تعتقد أنها جذابة؟

ضحكتَ قائلًا: «لا».

– حقًا؟ حتى بالشعر والكعب ومستحضرات التجميل.

– حقًّا، لا. علاوة على أنني لا أستطيع رؤية كل ذلك، أتذكرين؟ أنا أرى فقط ما في الداخل.

– وماذا رأيت؟ في داخلها؟

– ممثلة. لقد التقيت ما يكفي منهم لأعرفهم.

ضحكتُ قائلة: «هذا جنون... إنها تبدو كفأرة صغيرة هادئة في معظم الأوقات».

– ليس كل الممثلين مكانهم على المسرح. البعض يسيرون بيننا متنكرين في هيئة أشخاص عاديين.

ضحكنا واحتضنتني أقرب إليك. يوجد شيء سحري في الوجود على سرير دافئ عندما يكون الجو باردًا في الخارج. مشاركة حرارة الجسم مع شخص تحبه. أو اعتدت حبه. لكنْ لمجرد أننا لا نزال نتشارك السرير فهذا لا يعني أننا لا نزال نتشارك الآراء نفسها.

سألتُ: «ماذا ترى بداخلي؟».

– كما هي الحال دائمًا، زوجتي الجميلة.

لقد حدقت إلى وجهي حينها وشعرتُ أنني مرئية.

سألتُ متوقعة منك النظر بعيدًا أو تغيير الموضوع: «ماذا حدث لنا؟».

لكنك لم تفعل.

– أنا لستُ مَن كنت عليه قبل عشر سنوات ولا أنتِ كذلك، ولا بأس بذلك. السؤال الوحيد الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا هو: هل نحب ما نحن عليه الآن؟ الاستماع إلى صديقتكِ الليلة جعلني أشعر بالوحدة والحظ في الوقت نفسه. لا يمكن قياس نجاح العلاقة بطول العمر وحده. أحب أننا نحتفل بهذه المعالم في كل ذكرى سنوية، وحتى إنني أبتسم لتلك الأخبار التي تحوي أزواجًا ظلوا معًا لمدة سبعين عامًا، لكنني أعتقد أيضًا أنه من الممكن أن يكون هناك علاقة لليلة واحدة قد تكون أكثر

عمقًا من بعض الزيجات. لا يتعلق الأمر بمدة استمرار العلاقة، بل تتعلق بما تعلمك عن كل منكما وعن نفسك.

– ماذا تقول؟

ابتسمتَ قائلًا: «حجر ورقة مقص».

– ماذا؟

– لقد سمعتني، حجر ورقة مقص وإذا فزتِ سنبقى معًا إلى الأبد.

أعتقد أنه قد مر عام منذ آخر مرة لعبنا فيها تلك اللعبة. لكنكَ سمحت لي بالفوز كما كنت تفعل دائمًا، مقصي يقطع ورقتك. قد يبدو الأمر سخيفًا، لكنني شعرت كما لو كانت علامة على أننا ربما أصبحنا نشبه نسختنا القديمة.

سألت: «ماذا كان سيحدث لو خسرتُ؟».

أجبتني: «سوف نبقى معًا إلى الأبد على أية حال، لأنني أحبكِ يا سيدة رايت».

بينما تضع ذراعك حول خصري. لم أهتم إذا كان كلامك هذا بسبب الكحول. تقضي اليوم كله في العمل مع الكلمات، لكن تلك كانت الكلمة الوحيدة التي كنت بحاجة إلى سماعها.

قلتُ: «أحبكَ أكثر».

ومارسنا الحب لأول مرة منذ وقت طويل.

أنا من الأشخاص الذين يضعون كل البيض في سلة واحدة عندما يتعلق الأمر بالعلاقات، وهذا أمر خطير. أي سقوط أو هفوة مؤسفة سيؤدي إلى انكسار وتحطم كل شيء أهتم به. لقد وجدت شخصيتي عندما وجدتكَ، ولم أحتَج أو أرِد أي شخص آخر منذ ذلك الحين. وسواءً كان ذلك صوابًا أو خطأً فقد سكبت كل جزء عاطفي من نفسي فينا. لقد تبنيت آمالك وأحلامك وأحببتها كما لو كانت أحلامي. لقد اهتممت بكَ كثيرًا، ولم يبق لدي ما أقدمه لأي شخص آخر، حتى نفسي. كنت راضية بدائرة اجتماعية تكفي شخصين. لقد كنت دائمًا كافيًا لي، لكنني لم أشعر أبدًا أنني كنت كافية لك. ربما يمكن أن يتغير ذلك. ربما إذا حاولت أن أحبك أقل قليلًا، فقد تميل الموازين لصالحي وقد تحبني أكثر قليلًا.

أنا أهتم بصديقتي في العمل كثيرًا لكني لا أريد أن ينتهي بي الأمر مثلها. رؤيتها هنا في منزلنا -وحيدة جدًّا وحزينة ومحطمة- كانت بمنزلة دعوة لأستيقظ. من المضحك كيف يمكن لسوء حظ شخص آخر أن يجعلك تدرك ما لديك. نحن بحاجة إلى التوقف عن أن يأخذ أحدنا الآخر على أنه أمر مسلم به. وهذا شيء آخر لا يخبرك به أحد عن الزواج؛ أحيانًا يكون جيدًا، وأحيانًا يكون سيئًا، لكن لا يعني أنه قد انتهى. ربما يكون أفضل أو أسوأ ما يمكن أن يصل إليه. لذلك، رغم أن منزلنا لم يعد يبدو كأنه ملاذ، سأحاول إصلاح ذلك، وسأحاول إصلاحنا. حتى لو كان ذلك يعني طلب المشورة أو تقديم التنازلات أو ربما الابتعاد لبعض الوقت، أنا وأنت فقط... وبوب. ربما كل الزيجات بها أسرار، وربما الطريقة الوحيدة للبقاء متزوجًا هي الحفاظ عليها.

زوجتك

آدم

سألتُ: «ماذا يعني هذا؟».

وأنا أحمل الدرج الصغير الممتلئ بالعملات في يد وكوب «ابتعد، أنا أكتب» المكسور في اليد الأخرى. ربما أعاني عمى الوجوه وخللًا عصبيًّا غريبًا، لكن لا يوجد خطب في ذاكرتي (في أغلب الأحيان). المكتب ممتلئ بهدايا الذكرى السنوية التي قدمتها لي زوجتي على مر السنين: «هل أنتِ مشتركة في كل هذا؟».

تقول أميليا: «ماذا؟ لا».

أحدق إليها وأحاول البحث عن الحقيقة لكنني لا أستطيع حتى رؤية وجهها. ملامحها تدور مثل لوحة لفان جوخ وأشعر بالدوار بمجرد النظر في اتجاهها. أستطيع أحيانًا التعرف على الأشخاص من خلال شكل شعرهم أو لونه، أو من خلال نظارات مميزة. في أحيان أخرى لا أعلم إذا كنت أعرفهم على الإطلاق.

قلت وأنا أعود إلى المكتب: «إذن كيف تفسرين هذا؟ لقد **رتبتِ** هذه الرحلة الصغيرة إلى اسكتلندا، و**قدتِ** بنا إلى هنا...».

– لا أستطيع تفسير أي شيء حدث في هذه العطلة.

– لا تستطيعين أم لا تريدين؟ هل تعلمين بالفعل أن هنري وينتر كان ميتًا؟

- أعتقد أنك بحاجة إلى الهدوء. لم أكن أعلم أي شيء. وما زلت لا أفعل. باستثناء هذا...

أسألها: «ماذا؟».

- لقد قلت إن هنري سلم كتابًا جديدًا في سبتمبر، لكننا نعلم الآن أنه توفي العام الماضي.

- إذًا؟

- إذًا، ماذا لو كتبه شخص آخر؟

صرخَتْ وهي تسأل وأدركتُ أنني كنت أصرخ أيضًا.

إنه سؤال مثير للسخرية. نُشِر الكتاب في جميع أنحاء العالم. هل تعتقد جديًّا أن لا أحد -بما في ذلك وكيل أعماله والناشرين وجيش المعجبين- كان سيلاحظ ما إذا كان شخص آخر قد كتب رواية لهنري وينتر؟ لكن حينها فكرت بالأمر وكانت على حق، فالأمر غير منطقي.

أجبت: «هذا غير ممكن».

الإجابة في رأسي أقل حسمًا ولكني لا أشاركها مع زوجتي.

إن المؤلفين هم نوع غريب ولا يمكن التنبؤ به. لكي يكون المرء مؤلفًا يجب أن يملك الصبر والتصميم والدافع الذاتي الكافي للعمل بمفرده في الظلام، والثقة بالنفس للاستمرار في العمل عندما تحاول الظلال التهامه. وهي -الظلال- بالفعل تحاول، يجب أن أعلم. الشيء الآخر المشترك بين جميع المؤلفين هو أنهم غريبو الأطوار في أحسن الأحوال، ومجنونون في أسوأ الأحوال. هل سيزيف هنري موته لسبب ما؟

تقول أميليا: «لقد رأينا شخصًا يدخل الكنيسة في وقت سابق. أتذكر؟ هذا هو من يجب أن نلومه على كل هذا، وليس أحدنا الآخر».

- وماذا عن المرأة في الكوخ؟

- الساحرة مع الشموع والأرنب الأبيض؟ لقد قلت إنها كبيرة في السن...

- لقد قلت إنها تملك شعرًا رماديًّا. ليس الأمر كما لو أننا رأينا أي شخص آخر منذ وصولنا.

ترد أميليا وتبدو أكثر هدوءًا مما ينبغي: «إذًا، دعنا نعود لطرق بابها مرة أخرى. السيناريو الأسوأ أنها ستلقي تعويذة وتحولنا إلى أرنبين أبيضين أيضًا».

ربما لأنها تعلم بالفعل ما يحدث هنا وهذا كله تمثيل.

سأشعر دائمًا بالذنب بشأن خيانتي لزوجتي، لكن القديسة أميليا خانت مع شخص لم يكن ينبغي لها فعل ذلك معه أيضًا. يبدو الأمر كما لو أنها نسيت هذا الجزء من القصة بسهولة. لكني لا أستطيع. قالت المستشارة «ادعُني باميلا» إننا بحاجة إلى المضي قدمًا، وتعلم ترك الأمر وراءنا، لكنني ما زلت مصدومًا من مدى السهولة التي تكذب بها زوجتي.

أتمنى رؤية وجهها الآن كما يستطيع الآخرون. وأتساءل عما إذا كانت تبدو خائفة؟ أم أنها تبدو هادئة كما يبدو صوتها؟ وإذا كان الأمر كذلك -نظرًا إلى أننا نبدو محاصرين وربما في خطر- فلماذا لا تشعر بالخوف مثلي؟ يبدو أنها نسيت كل شيء عن كلبها المحبوب. إنها تكذب بشأن **شيء ما**، ولا تعرف ما الذي يخيفني. إن الزواج المسكون مرعب مثل المنزل المسكون.

أقول وأنا أمسك بيدها، إنها تشكو دائمًا من أنني لا أمسكها كثيرًا: «تعالي معي».

قد لا يكشفها وجهها وصوتها، لكن أميليا لا تستطيع التحكم في تنفسها. إذا كانت متوترة أو خائفة حقًّا، فإنه دائمًا أول شيء يوضح ذلك.

وصلنا إلى الدرج الحلزوني الخشبي القديم المؤدي إلى الطابق الأول، وأشرت إلى معرض الصور بالأبيض والأسود المعلق على الحائط. لقد أزعجني منذ وصولنا إلى هنا.

أسأل: «من هم الأشخاص الموجودون في هذه الصور، هل تعرفتِ على أي من وجوههم؟».

أستطيع رؤية أن الصور الموجودة أسفل الدرج تعود لأشخاص يلبسون ملابس فيكتورية. وتلك الأقرب إلى القمة تبدو أكثر حداثة. أستطيع رؤية أن بعض الأشخاص بالغون، والبعض الآخر أطفال، لكنْ -كالعادة- لا أستطيع رؤية أي من وجوههم.

تهز أميليا رأسها، لذلك أبدأ في سحبها إلى أعلى الدرج.

– ماذا عن الآن؟ هل يبدو أحد هنا مألوفًا؟

– أنت تخيفني يا آدم.

أستطيع أن أسمع من تنفسها أنها تقول الحقيقة. كنتُ على وشك الاعتذار عندما تحدثت مرة أخرى: «انتظر، أعتقد أن هذه الصورة لهنري عندما كان مراهقًا... والصورة أدناه تبدو مثله قليلًا أيضًا ولكنه أصغر سنًّا، مع رجل وامرأة. ربما والداه».

أقول دون تركها تذهب: «ربما شجرة عائلة من نوع ما، استمري».

– أنا متأكدة تمامًا من أن معظم هذه الصور تعود لهنري. لم ألاحظ ذلك حتى الآن، لكنْ حينها لم أكن أعلم ما الذي أبحث عنه. إنه أصغر سنًّا بكثير من الوجه الذي أراه على أغلفة الكتب وفي الصحف – وكلها قديمة جدًّا.

أسقطت يدها الآن.

أحدق إلى الصور بنفسي محاولًا رؤية ما تراه، لكن لا جدوى من ذلك.

سألتُ عندما توقفت أميليا فجأة في أعلى الدرج: «هل يبدو أي شخص آخر مألوفًا؟».

لاحظت أنها تحرك خاتم الخطوبة من الياقوت حول إصبعها.

– يوجد بعض الصور لفتاة صغيرة أيضًا... انتظر.

– ماذا؟

– هذه الصور لم تكن هنا من قبل. هل تذكر؟ لم يكن هناك سوى ثلاثة أطر مستطيلة باهتة ومسامير صدئة تبرز من الجدار. لقد وضعها شخص ما.

كنتُ على وشك أن أسأل إذا كانت هي من وضعتها لكني لم أفعل.

– أعتقد أن هذه الصورة تعود لـ...

رأيت شيئًا من فوق كتفها قبل أن تنهي جملتها.

أقاطعها: «أحد الأبواب الأخرى مفتوح».

وأسرع نحوه.

جميع الأبواب في الطابق الأول كانت مغلقة الليلة الماضية، باستثناء الباب المؤدي إلى غرفة النوم التي نمنا فيها، والباب المؤدي إلى برج الجرس. لكنِ الآن فُتِح باب آخر على مصراعيه، وأجد نفسي أقف داخل غرفة نوم للأطفال.

كل شيء مغطى بالغبار مثل بقية الكنيسة، ولكنَّ هذه الغرفة ملآنة أيضًا بأنسجة العنكبوت. رائحتها عفنة، كما لو أن الهواء لم يدخلها منذ أشهر. ربما أطول. إن أكثر ما يلفت انتباهي هو بيت الدمية الكبير الموجود في منتصف الغرفة. يبدو عتيقًا. كما أنه أيضًا يشبه منزلنا في لندن بشكل ملحوظ، وهو منزل فيكتوري ذو واجهتين. لا أستطيع منع نفسي من فتح الأبواب المغبرة، وأشعر بالغثيان عندما أرى أن الغرف في الداخل مزينة بطريقة مشابهة لمنزلنا. توجد الدميتان الخشبيتان المنحوتتان في كل غرفة، لكنهما ليستا نسختين مصغرتين لي ولأميليا. إحداهما رجل عجوز بحجم دمية يرتدي سترة صوفية وربطة عنق، والأخرى دمية فتاة صغيرة ترتدي اللون الأحمر. في كل مشهد تمسك إحداهما بيد الأخرى، والرجل العجوز يدخن الغليون دائمًا. عندما ألقي نظرة فاحصة أرى أن الغليون هي في الحقيقة أكواب وقصبان البلوط.

تسأل أميليا: «هل رأيت هذا؟».

إنها تحمل لعبة عفريت في العلبة. لقد كان لدي واحدة تشبهها تمامًا عندما كنت طفلًا، وقد أرعبني ذلك. لم أفهم المغزى في البداية، حتى رأيت أن اسم عفريت قد شُطب، بحيث أصبح الآن مكتوب «آدم في العلبة».

علمتني والدتي الاسم الفرنسي لهذه اللعبة عندما كنت طفلًا صغيرًا: diable en boîte، والتي تعني حرفيًّا «الشيطان المعبأ». أشياء كثيرة غير متوقعة تذكرني بها. وكلما حدث ذلك أعيش من جديد الليلة التي ماتت فيها: المطر والصوت الرهيب لصرير مكابح السيارة، وملابس الكيمونو الحمراء التي ترتديها وهي تتطاير في الهواء. كان الكلب ملكي. توسلت إليها لتسمح لي بالحصول على كلب، لكنني لم أعتنِ به بعدها. لو كنت أنا البالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا قد رافقت الكلب بنفسي، كما وعدت، لم تكن لتُقتل وهي تسير على الرصيف في تلك الليلة.

أصابعي التي تبدو مستقلة عن ذهني تجد ذراع التدوير الموجود في صندوق لعبة آدم في العلبة وتديره. ببطء. يعزف اللحن المألوف ويغني صوت أمي داخل رأسي.

علمتني أمي الخياطة

وطريقة خيط الإبرة

وكيفية تحريك العلبة

حتى يخرج العفريت

خرج العفريت من العلبة وقفزت، رغم أنني كنت أعلم ما سيحدث. بشعره الأحمر البري ووجهه المطلي وثيابه الزرقاء المتقطعة، يبدو مرعبًا، حتى أكثر من ذلك الذي أتذكره عندما كنت طفلًا، لأن عينيه مفقودتان.

أعتقد أنني أفهم الرسالة الواضحة، لكنْ ما الذي **لا** أراه أيضًا؟

بينما التفتُّ لأرى بقية غرفة النوم، لاحظت أن ورق الحائط والستائر والوسائد واللحاف كلها مغطاة بصور باهتة للشيء نفسه: طائر الروبين. ثم أرى سبورة الأطفال المغبرة القائمة بذاتها في زاوية الغرفة. لقد تلاشت الكلمات الطباشيرية الموجودة عليها، ومن الواضح أنها كُتِبَت منذ سنوات مضت، لكن لا يزال بإمكاني تمييزها:

لا ينبغي لي قول الحكايات.

لا ينبغي لي قول الحكايات.

لا ينبغي لي قول الحكايات.

قصدير

كلمة العام:

ميتانويا (Metanoia): تحويل كامل للقلب.

رحلة تغيير العقل أو الذات أو طريقة الحياة.

28 من فبراير 2018 - الذكرى السنوية العاشرة لنا.

عزيزي آدم

إنها ليست حقًّا الذكرى السنوية العاشرة لنا. أكتب هذه الرسالة متأخرًا قليلًا بسبب ما حدث.

اعتقدت أن الأمور كانت جيدة معنا هذا العام. اعتقدت أننا كنا سعيدين. كنتُ بالفعل سعيدة واعتقدتُ أنك كنتَ أيضًا. ظاهريًّا كان زواجنا قويًّا بالتأكيد. ولكنني كنتُ مخطئة. لا شيء يبدو حقيقيًّا الآن بعد معرفتي للحقيقة. أشعر كأنني محاصرة داخل لعبة كرة الثلج. هزة أخرى وسأختفي تمامًا.

شعرتُ لفترة طويلة كما لو كان شخص ما يراقبنا. لا أستطيع الإحساس بهذا الشعور تمامًا، أو أن أصيغه بالكلمات، لكن أعتقد أننا جميعًا نعرف متى نكون مراقبين. سواء في العمل أو في أثناء تمشية الكلب، أو فقط في قطار

الأنفاق. يمكنك الشعور بذلك عندما تحدق عينا شخص آخر إليك لفترة أطول مما ينبغي. ستعرف دائمًا. إنها غريزة.

عادة عندما أعود إلى المنزل من العمل تكون لا تزال في سقيفة الكتابة الخاصة بك. لكني وجدتك جالسًا في الصالة في الليلة السابقة للذكرى السنوية العاشرة لنا، في الظلام، تشاهد حلقة قديمة من برنامج «جراهام نورتون» على قناة «بي بي سي» (BBC iPlayer). يُعرف هنري وينتر بعدم إجراء مقابلات أبدًا، لكنْ للاحتفال بنشر روايته الخمسين خلال خمسين عامًا وافق على إجراء مقابلة العام الماضي. لقد شاهدناها معًا في ذلك الوقت. كان جراهام نورتون مضحكًا وساحرًا كما كان دائمًا لكني أتذكر أنني شعرت بالغثيان عندما قدم هنري. رجل عجوز بالكاد تعرفت عليه صعد على المسرح قبل أن يجلس على الأريكة الحمراء. كانت عصا المشي بمقبض أرنب فضي بمنزلة إضافة جديدة لزيه الرسمي المكون من سترة الصوف وربطة العنق. كما كانت الابتسامة على وجهه. تبدو كأنها تؤلم.

أتمنى لو أننا لم نشاهد المقابلة قط، لكننا شاهدناها، وفي الليلة الماضية شاهدتك تشاهدها مرارًا وتكرارًا. بالأخص الجزء الذي ذكرك فيه هنري وينتر. وقفت بهدوء في ردهة منزلنا وشاهدتك فيما تعيد تشغيل المقطع سبع مرات.

انحنى جراهام إلى الأمام وضحك الجمهور: «الآن أخبرني، بيننا فقط... ما رأيك حقًّا في التعديلات التلفزيونية والأفلام لكتبك؟».

اختفت الابتسامة الزائفة من وجه هنري المجعد.

- لا أملك تلفازًا، لقد فضلت القراءة دائمًا.

أصر جراهام وهو يرتشف من النبيذ الأبيض: «لكن لا بد أنك رأيتهم؟».

- لقد رأيتهم. لا أستطيع القول إنني أحبهم كثيرًا. لكن أقنعوني بالسماح لكاتب السيناريو بالمضي قدمًا - فمسيرته المهنية لم تكن تسير على ما يرام قبل موافقتي، وحتى لو لم يعجبني ما فعله بالكتب، فإنه قد أعجب الكثير من الأشخاص الآخرين. لذا...

ضحك جراهام: «يا للهول، دعونا نأمل أنه لا يشاهد».

لكنك كنت تشاهد. وأنا كذلك. ولا أعتقد أنك تحدثت إلى هنري أو كتبت أي شيء جديد منذ ذلك الحين.

لقد ألقيت اللوم على وكيلك فيما قاله هنري، وشعرتُ بالسوء -لأنني أحب وكيلك، فهو أحد الأشخاص الطيبين الذين يعملون فيما يعد أحيانًا مجالًا سيئًا- لكني ما زلت لا أستطيع إخبارك بالحقيقة. اعتقدت أن الأمور عادت إلى مسارها الصحيح أخيرًا، ولكنَّ إخبارك أنني كنت السبب في أن هنري سمح لك بتعديل كتبه في المقام الأول لم تكن فكرة مشرقة جدًّا.

لا أعلم ما الذي جعلك تجلس في الظلام لتشاهد مقطعًا قديمًا لهنري وهو ينتقدك. لا أعلم لماذا لا تزال تهتم بما يفكر فيه. لقد لاحظت حينها زجاجة الويسكي نصف الفارغة -من العلامة التجارية المفضلة لدى هنري- بجوار جائزة البافتا الخاصة بك. إنه أمر صعب عندما يأتي أبرز ما في مسيرة شخص ما في بدايتها. أحيانًا يكون من الأفضل أن تبدأ صغيرًا، امنح نفسك مساحة للنمو.

تسللت عائدة إلى الردهة وأغلقت الباب الأمامي بعنف، ثم ركضت مباشرة إلى أعلى الدرج. وقلتُ: «سآخذ حمامًا سريعًا»، حتى تعتقد أنني لم أرك. عندما نزلت كان التلفاز مغلقًا واختفى الويسكي وعادت جائزة البافتا إلى الرف. تساءلت عن المدة التي كنت تتظاهر فيها بأنك بخير فيما كنت تشعر بالتحطم حقًّا. تمثل كل ليلة عندما أعود إلى المنزل. عملك يعني قضاءك للكثير من الوقت بمفردك. ربما أحيانًا وقتًا أكثر. رغبت في إصلاحك لكن لم أكن متأكدة من كيفية فعل ذلك.

في اليوم التالي -ذكرى زواجنا- قررت ترك العمل مبكرًا. لقد عقدت العزم على إبهاجك ومفاجأتك. شعرت بشيء خاطئ حتى عندما كنت أسير في طريق الحديقة. بدت شجرة الماجنوليا التي زرعتها في منتصف العشب بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لنا كأنها على وشك الموت. اخترت تجاهل ما يمكن أن يعد علامة والسماح لنفسي وبوب بالدخول إلى المنزل. كان كل شيء ساكنًا وصامتًا، تمامًا كما هي الحال دائمًا عندما تكون موجودًا في سقيفة الكتابة، وهو مكانك الدائم تقريبًا. كانت هناك علبة من الفاصولياء المطبوخة على طاولة المطبخ، اعتقدتُ أنها لا بد أن تكون مزحة، مع العلم أن

هذه العلبة هي الهدية التقليدية لعشر سنوات من الزواج. ابتسمت وتوجهت مباشرة إلى الطابق العلوي لغرفة نومنا. لقد خططتُ لقضاء بعض الوقت في العناية بنفسي بدلًا من العناية بالكلاب المهجورة للتغيير، قبل أن أفاجئك.

لكنك مَن فاجأتني.

كنت لا تزال في السرير.

مع صديقتي من العمل.

لقد اتصلتْ لتتغيب بعذر المرض هذا الصباح. الآن عرفت السبب.

توقف كل شيء عندما دخلت الغرفة. لا أقصدك أنتَ فقط أو هي أو ما كنتما تفعلانه. ولا أقصد فقط أنني توقفت عن التنفس -رغم أنني شعرت بذلك- كان الأمر كما لو أن الوقت نفسه توقف تمامًا، في انتظار سقوط أجزاء حياتي المكسورة ومعرفة أين ستهبط.

لقد وقفت هناك أحدق، غير قادرة على استيعاب ما كنت أراه.

هي ابتسمت. سأتذكر ذلك دائمًا، ثم سأتذكر أنك كنت تنظر بيننا. زوجتك في مدخل الغرفة وعاهرتك في سريرنا.

قلتَ: «اعتقدتُ أنها أنتِ».

ولففت الملاءة حول نفسك. عندما لم أرد، قلت ذلك مرة أخرى. كما لو أن الكلمات قد لا تبدو كالأكاذيب إذا قلتها للمرة الثانية. «اعتقدتُ أنها أنتِ».

مجرد التفكير في الكذب يمكنه جعلك تحمر خجلًا، والآن قد تحول خداك إلى اللون الأحمر الفاتح.

أنا لست فخورة بما فعلته بعدها. كنت أتمنى لو قلت شيئًا ذكيًّا، لكنني لم أكن جيدة في معرفة ما سأقوله إلا بعد فترة طويلة من وقوع الحدث، وحتى الآن لا أستطيع العثور على الكلمات المناسبة لما رأيته بعد ظهر ذلك اليوم. لذلك لم أقل أي شيء، لكنني ذهبت إلى سقيفة الحديقة، وأحضرت مجرفة ثم حفرت لإخراج شجرة الماجنوليا اللعينة تلك من حديقتي الأمامية التي كانت مثالية في السابق. هي غادرت وأنت شاهدت برعب. بحلول الآن أصبحت الشجرة أكبر مني، لكنني سحبتها عبر الباب الأمامي وأعلى الدرج، مما أدى إلى خدش الجدران وترك أثرًا من الأوساخ والأغصان المكسورة خلفي. ثم

ألقيتها على السرير حيث كنتَ تنام معها، قبل وضعها تحت الملاءات، مثل الطفل.

قلتَ فيما كنتُ أحزم حقيبتي: «سأفعل ما تريدين لإصلاح الأمر. طلب المشورة، الذهاب في عطلة، يمكننا الذهاب إلى اسكتلندا، كما فعلنا في شهر العسل، أي شيء».

لكنني لا أعتقد أنه يمكن أن يصلحنا أي شيء الآن. هل تعتقد أنت؟

زوجتك

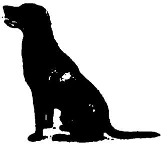

أميليا

لم يجمع آدم قطع اللغز معًا بعد.

يحدق إلى غرفة نوم الفتاة الصغيرة حيث كل شيء مغطى بطيور الروبين، ويبدو كطفل ضائع. حتى أمسك بيده وأقوده للخارج إلى بسطة الدَرج. توقفنا عند أعلى الدرج الحلزوني، وأشرت إلى الصورة الأخيرة المؤطرة على الحائط.

يسألني مع أنني متأكدة تمامًا من أنه يعرف الآن: «من هذا؟».

إن الإصابة بعمى الوجوه لا يمكن أن تمنع أي شخص من رؤية الحقيقة.

تبدأ الساعة الدقاقة في غرفة النوم بالرنين ويقفز كل منا... اعتقدت أنها توقفت.

أقول: «إنه أنتَ».

ثم نفحص الصورة: البدلة باهظة الثمن التي ارتداها في حفل الزفاف والقصاصات الملونة على كتفيه وفستان الزفاف والخواتم والابتسامات السعيدة... وشخص آخر في اللقطة. ثم أضيف قائلة: «هنري موجود في الخلفية. كلانا يعلم أنه لم يُدعَ، ولكنَّ حقيقة وجوده هناك -واقفًا في الشارع خارج مكتب التسجيل على ما يبدو- بالإضافة إلى أن رؤية هذه الصورة على **حائطه** الذي يحتوي على صور عائلية تشير إلى أنه كان يعتقد أنك شخص أكثر بكثير من مجرد كاتب سيناريو عدَّل كتبه».

لا يزال آدم لا يفهم.

هذا لن يكون سهلًا. لكن زوجي يحتاج إلى معرفة الحقيقة الآن، ويجب أن أكون من يخبره بها.

المرأة التي في صورة الزفاف ليست أنا.

آدم

سألتُ محدقًا إلى صورة العروس والعريس اللذين لا أستطيع رؤية وجهيهما: «ماذا تقصدين؟».

تجيب: «إنها صورة لحفل زفافك **الأول** عندما تزوجت روبين».

نقف في صمت أعلى الدرج. يبدو الأمر كما لو أننا بقينا هكذا لفترة طويلة، فيما أحاول استيعاب ما قالته أميليا.

أقول: «لا أفهم...».

تردف: «أعتقد أنك تفعل، أعتقد أنه رغم أنك تزوجت روبين لعشر سنوات، فإنها لم تخبرك قط أنها ابنة هنري وينتر. أعتقد أنها نشأت هنا وكانت غرفة نوم تلك الفتاة الصغيرة هي غرفة نومها».

أحدق إلى زوجتي الثانية لفترة طويلة، وأحاول الرؤية من وجهها ما إذا كانت هذه مزحةً ما. لكن دوامات فان جوخ عادت، وأقبض على حاجز الدَرج لأتوازن.

- هذا جنون. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا!

تهز أميليا رأسها قائلة: «أعلم أنك لا تستطيع رؤيتها، لكن هذه الصور الثلاث المعلقة على الحائط -تلك التي كانت مفقودة بالأمس- كلها لزوجتك السابقة. هذا حفل زفافكما أنت وروبين، مع هنري في الخلفية».

وتشير إلى الصورة التالية قائلة: «هذه روبين عندما كانت أصغر سنًّا، أعتقد أنها عندما كانت مراهقة، في زورق صيد في بحيرة بلاك ووتر. وهذه...».

تومئ برأسها نحو الإطار النهائي قائلة: «... هي فتاة صغيرة تشبه روبين تجلس في حضن هنري وتقرأ كتابًا، فيما هو يدخن الغليون».

عقلي يتسابق ذهابًا وإيابًا عبر الزمن، وأنا أقول أفكاري بصوت عالٍ.

- هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًّا. هنري لم يكن لديه أطفال...
- شاهد القبر في المقبرة يقول شيئًا مختلفًا.
- لم ترغب روبين في التحدث عن عائلتها قط، وخاصة عن والدها. قالت إنهما منفصلان...
- لا أشك في ذلك، لكنْ أعتقد أن هناك سببًا لعدم إخبارك من هو.

أتفحص الوجوه في الصور مرة أخرى، لكنْ حتى الآن بعد أن عرفت ما الذي يجب أن أبحث عنه، فإنهم جميعًا يبدون متشابهين.

تقول أميليا: «أعلم أنك لا تستطيع رؤية ذلك بنفسك، لذا عليك أن تثق بي».

بعد أن أغرتني، زوج صديقتها المفضلة، إن **الثقة** بها أمر لم أتقنه قط. أكملتْ: «أقول لك إن هذه الصور كلها لزوجتك السابقة. تبدو صورها عندما كانت طفلة صغيرة طبق الأصل لهنري عندما كان طفلًا صغيرًا. الشبه غريب. من الممكن أن يكونا توأمين يفصل بينهما أربعون عامًا، أو ربما حان الوقت لقبول أن روبين **هي** ابنة هنري».

تبدو كلماتها كأنها سلسلة من الصفعات والوخزات واللكمات. لا أستطيع استيعاب الأمر، لكنني بدأت أصدق ما تقوله أميليا.

قلتُ: «لا أفهم لماذا لم يخبرني أي منهما بشيء كبير مثل هذا».

وأكره كم يبدو صوتي مثيرًا للشفقة. ربما لا أستطيع رؤية الجمال من الخارج لكن كانت روبين أجمل شخص من الداخل. **شعرتُ** بذلك كلما كانت في الغرفة نفسها. عرف الجميع ذلك بمجرد لقائهم إياها أيضًا فلقد كانت جيدة جدًّا وحقيقية و**صادقة**. لا أستطيع تخيلها تكذب عليَّ بشأن أي شيء، ناهيك بشيء ضخم مثل هذا.

تسأل أميليا: «ربما كان هناك سبب وجيه لعدم رغبة أي منهما في أن تعرف، مَن منهما التقيتَ أولًا؟ كيف جاءت فكرة تعديلك كتب هنري وينتر؟».

أتذكر ذلك اليوم السعيد، عندما تشاركنا أنا وروبين شقة قبو سيئة في نوتنج هيل. لقد كنا نملك القليل جدًّا في ذلك الوقت، لكنْ أكثر بكثير مما أملكه الآن. لقد كنا روحين مترابطتين نجونا من طفولة صعبة وكنا وحدنا في العالم حتى وجد أحدنا الآخر. كانت روبين تؤمن بي وبعملي دائمًا، مهما كان الأمر. لقد آمنت بي عندما لم يفعل أي شخص آخر، وكانت موجودة عندما كنت بحاجة إليها. دائمًا. دون الرغبة في أي شيء في المقابل. أشعر بأن أميليا تحدق إليَّ وتنتظر الإجابة.

قلتُ: «اتصل وكيل أعمالي بعشوائية عندما كنت عاطلًا عن العمل، قائلًا إن هنري وينتر دعاني لمقابلته في شقته في لندن».

وتدمرت إحدى أسعد ذكرياتي بمجرد أن فعلت.

- هل هذا طبيعي؟

لا أجيب في البداية. كلانا يعرف أنه ليس كذلك: «حسنًا، مات **وكيله** فجأة...».

- ما سبب موته؟

- لا أتذكر... فقط كان الأمر صادمًا، فقد كان وكيله صغيرًا جدًّا.

- من المضحك كيف يبدو أن الأشخاص الذين وقفوا بينك وبين روبين يموتون أو يختفون.

- ماذا يعني ذلك؟

- لم تكن تملك الكثير من الأصدقاء.

لم تكن بحاجة إليهم. كانت تمتلكني، وسواء كان ذلك صحيحًا أم خطأً، كنت كل ما أرادته. لكنني اعتبرته أمرًا مسلمًا به.

- لم تكن لديها مشكلة في تكوين صداقات.

قلتُ مدركًا أنني الآن أدافع عن زوجتي السابقة: «الجميع أحب روبين. نادرًا ما بادلتهم الحب. لقد أصبحت ودودة جدًّا مع أكتوبر أوبراين عندما كنا نعمل معًا».

- ماتت أكتوبر. يوجد درج ممتلئ بقصاصات الصحف عنها في المطبخ.

- لا يمكنك بجدية التفكير في ذلك... كان **انتحارًا**. روبين كانت صديقتكِ أيضًا. لقد حصلت لكِ على وظيفة في باترسي عندما كنتِ متطوعة، وكانت لطيفة معك، ووثقت بكِ...

- هذا ليس **عني**. هل من الممكن أن يكون هذا اللقاء غير المتوقع مع مؤلف عالمي من أكثر الكُتاب مبيعًا قد حدث لأنك كنت تعيش مع ابنته؟

تقول أميليا كما لو كانت تقول مخاوفي الخاصة بصوت عالٍ. ثم أضافت: «أعتقد أنه بينما كنت متزوجًا روبين طوال تلك السنوات العشر، كنتَ صهر هنري وينتر. أنت فقط لم تعرف ذلك».

همستُ: «بوب».

- ماذا عنه؟

- لقد كان كلب روبين. لقد تبنته من باترسي وأحبته كما لو كان طفلًا. إذا كان معها فعلى الأقل نعرف أنه آمن.

تسأل أميليا: «هل تعتقد حقًّا أنها وراء كل هذا؟».

- من غيرها يمكن أن يكون؟ السؤال الأهم الآن هو لماذا نحن هنا، ولماذا الآن؟ إذا أرادت الانتقام فقد استغرقت وقتًا طويلًا للانتظار. إذن ماذا **تريد**؟ لماذا خدعتنا للمجيء إلى اسكتلندا؟

- لا أعلم، إنها زوجتك السابقة.

أسأل: «إنها صديقتكِ السابقة. أخبرتِني أنه عندما فزتِ بهذه العطلة هنا، قال البريد الإلكتروني إنه لا يمكننا القدوم إلا في نهاية **هذا** الأسبوع. هل هذا صحيح؟».

تهز كتفيها قائلة: «بلى. لكن لماذا؟ ما الذي يميز نهاية هذا الأسبوع؟».

- لا أعلم. ما تاريخ اليوم؟

تتحقق أميليا من هاتفها: «السبت... 29 من فبراير. إنها سنة كبيسة، ولم ألاحظ ذلك حتى. هل هذا يعني شيئًا؟».

أقول: «نعم. إنها ذكرى زواجنا».

تبدو مرتبكة: «لقد تزوجنا في سبتمبر...».

- ليست **ذكرى زواجنا**. إنه التاريخ الذي تزوجتُ فيه روبين.

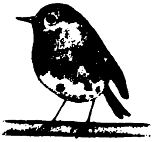

روبين

تتذكر روبين خروجها من المنزل في لندن، اليوم الذي وجدت فيه آدم وأميليا في السرير معًا. تتذكر شجرة الماجنوليا، وتتذكر نزعها لخاتم الخطبة المصنوع من الياقوت الذي كان يخص والدة آدم مع خاتم زواجها وتركهما خلفها على طاولة المطبخ. والباقي ضبابي. أمسكت حقيبتها وبعض الأشياء المفضلة لديها، ثم ركبت سيارتها وقادت فقط. لم تكن تعلم ماذا ستفعل أو إلى أين ستذهب، كان عليها فقط الابتعاد عنهما بأسرع ما يمكن. كان خطأها الأكبر ترك بوب وراءها. الأشخاص الوحيدون الذين ليس لديهم أي ندم هم الكاذبون.

كان ذلك عندما اتصل هنري ليخبرها أنه يحتضر وطلب منها العودة إلى المنزل.

لم تتحدث روبين إلى والدها منذ سنوات، لكنْ يبدو أن سلسلة من النجوم المتساقطة اصطفت في ذلك اليوم لإرشادها إلى المنزل الذي هربت منه عندما كانت طفلة. والحق يقال إنه لم يكن لديها مكان آخر تذهب إليه.

لا تزال روبين تتذكر عندما بدأت أميليا العمل التطوعي لأول مرة في مأوى باترسي للكلاب، وكيف أشفقت على هذا المخلوق الوحيد، بالطريقة نفسها التي أشفقت بها على جميع الحيوانات المهجورة التي وصلت إلى هناك. لقد ساعدت أميليا في الحصول على وظيفة وحياة، وأصبحت صديقتها، وفي المقابل سرقت المرأة زوجها. إنها تبدو مختلفة تمامًا الآن بشعرها الأشقر

وملابسها الفاخرة، وممسكة بذراع زوج روبين السابق. لكنْ رغم فظاعة التعرض للخيانة من قبل صديق فإنها ألقت باللوم على آدم منذ البداية. لكل شيء.

ليس بعد الآن.

هي الآن تلوم كليهما، وهذا هو ما تدور حوله هذه العطلة حقًّا، وحول لماذا خدعتهما للمجيء إلى هنا.

لقد عانت روبين الحزن ثلاث مرات فقط في حياتها:

عندما توقفت عن محاولة إنجاب طفل.

عندما خانها زوجها.

وعندما غرقت والدتها في حوض الاستحمام.

لقد اعتقد العالم كله أنه كان حادثًا، لكنه لم **يكن كذلك**. لطالما اعتقدت روبين أن هنري كان مسؤولًا عن وفاة والدتها. ولهذا السبب أرسلها بعيدًا إلى مدرسة داخلية، ولهذا السبب هربت بمجرد أن بلغت سنًّا مناسبًا لتغادرها إلى الأبد. لقد أزال تقريبًا كل أثر لوالدتها من الكنيسة الاسكتلندية التي حولتها بمحبة إلى منزل. وكانت أحواض الاستحمام أول ما أزاله. كانت والدتها تحب الطهي لذلك أفرغ هنري كل خزانة ودرج في المطبخ تقريبًا حتى لم يبق سوى اثنين فقط من كل شيء؛ طبقين، مجموعتين من أدوات المائدة، كوبين. **لم** تُترك أي قدور أو أوعية أو مقالي خلفه. ذكَّرته رائحة الطبخ بزوجته المتوفاة، لذا كانت مدبرة المنزل العجوز تحضر مجموعات كبيرة من الوجبات في منزلها بدلًا من ذلك، ثم تملأ ثلاجة الكنيسة بها حتى لا يتضور كلاهما جوعًا. احتفظت روبين بما استطاعت من ممتلكات والدتها، بما في ذلك مقصين للتطريز باللون الذهبي والفضي على شكل طائر اللقلق -كانت والدتها تحب الخياطة والطبخ- وأخفتهما تحت سريرها. لم تصدق قط أن وفاة والدتها كانت عرضية. يعرف الأشخاص الذين يقرؤون ويكتبون روايات الجريمة أنه يوجد عدد لا حصر له من الطرائق للإفلات من جريمة القتل. تشك روبين في أن هذا يحدث طوال الوقت.

لطالما شعرت كما لو كان والداها يؤديان دورًا في مسرحية كانا يفضلان عدم المشاركة فيها. هل عدم الاهتمام شكل من أشكال الإهمال؟ روبين تعتقد ذلك. لكن الأمور أصبحت أسوأ بكثير بعد وفاة والدتها. أصبح عالمها صغيرًا ووحيدًا جدًّا بسرعة كبيرة. اعتقد هنري أن إنفاق المال على المشكلة سيحلها تمامًا كما كان يفعل دائمًا، ولهذا السبب لم ترغب قط في الحصول على قرش واحد منه بصفتها شخصًا بالغًا. إنها تفضل النوم في كوخ قارس البرودة مع مرحاض خارجي بدلًا من قضاء ليلة أخرى تحت سقف منزله. وكان ماله يعد مال دية بأكثر من طريقة.

اشترى هنري أكثر بيوت الدمى روعةً قد رأته روبين على الإطلاق عندما توفيت والدتها. كانت كل غرفة تحتوي على الشخصيتين الصغيرتين نفسيهما بداخلها. بدا أحدهما مثل هنري والآخر كان مجسمًا مصغرًا لروبين. عائلة ألعاب سعيدة لتحل محل عائلتها الحقيقية المحطمة. لقد نحت الدمى بنفسه بأزاميله الخشبية، تمامًا مثل التماثيل الموجودة خارج الكنيسة، وجميع طيور الروبين التي نحتها على مر السنين، وهو ينفخ في غليونه أو يحتسي كأسًا من السكوتش.

لا يعلم أحد حقيقة ما حدث لوالدة روبين. لم يشك أحد في شيء. حتى إن هنري كتب عن رجل قتل زوجته في حوض الاستحمام بعد سنوات قليلة في روايته بعنوان «إغراق أحزانك». لقد جعل ذلك روبين تتساءل عما إذا كانت كل قصصه مبنية على حقائق وليس خيالًا، وأرعبتها هذه الفكرة. كان الكتاب من أكثر الكتب مبيعًا، وكان الجميع في مدرستها الداخلية يتحدثون عنه، حتى المعلمين.

لقد ألهم روبين لكتابة قصة خاصة بها. أعجبتْ مدرسة اللغة الإنجليزية الخاصة بها كثيرًا لدرجة أنها -دون علم روبين- أرسلت نسخة إلى هنري في نهاية الفصل الدراسي، قائلة إن موهبة سرد القصص منتشرة بشكل واضح في العائلة. كانت القصة تدور حول روائي ارتكب جرائم في الحياة الواقعية ثم كتب عنها في كتبه، وكان دائمًا يفلت من جريمة القتل.

عندما عادت روبين إلى المنزل في عيد الميلاد ذلك العام، بالكاد تحدث معها هنري على الإطلاق. بقي محبوسًا داخل مكتبه السري مع كتبه المفضلة.

تمامًا كالعادة. بعد ظهر أحد الأيام وجدت الدمى الخاصة بها تطفو في حوض الاستحمام. لقد بدت كأنها تغرق، تمامًا كما كانت والدتها في حوض الاستحمام. عندما استيقظت في صباح عيد الميلاد لم تكن هناك هدايا في الجورب المعلق في نهاية سريرها. الشيء الوحيد الذي تغير في الليل هو أن شعر روبين قد قُصَّ. كانت هناك ضفيرتان شقراوان طويلتان ملقاتان على الوسادة التي كانت تنام عليها، وكان مقص والدتها الجميل على الطاولة الجانبية.

لم يكتب هنري وينتر عن الوحوش فقط. بل كان واحدًا منهم.

لقد جعلها تكتب جملًا عقابًا لها على كتابتها لتلك القصة في المدرسة:

لا ينبغي لي قول الحكايات.

لا ينبغي لي قول الحكايات.

لا ينبغي لي قول الحكايات.

لذلك لم تكتب روبين كلمة في قصة مجددًا.

حتى مات هنري.

عادت روبين إلى غرفة المكتب السري التي لم يُسمح لها قط بالدخول إليها عندما كانت طفلة بعد أن دفنته في المقبرة خلف الكنيسة، وجلست إلى ذلك المكتب العتيق. أخرجت الحاسوب المحمول الخاص بوالدها المتوفى. كان تذكر كلمة المرور أمرًا سهلًا: فقد كانت اسمها. وجدت عمل هنري غير المكتمل، وبدأت في القراءة. بدت الفكرة مجنونة داخل رأسها في البداية. ما هي الكلمة الأخرى التي يمكن بها وصف امرأة تعمل مع الكلاب وهي تحاول إنهاء رواية لمؤلف يملك أكثر الكتب مبيعًا في العالم؟

ولكنَّ هذا ما فعلته.

حذفت روبين معظم ما كتبه هنري -لم تكن تعتقد أنه كان جيدًا جدًّا- ثم استبدلت به كلماتها الخاصة. كتبت ثلاث مسودات في ثلاثة أشهر، وعندما

انتهت من الكتاب، وحررته بأفضل ما في وسعها، شعرت كما لو أن الانتقال من قصة والدها إلى قصتها بدا سلسًا. ثم طبعت الكتاب بأكمله مرة أخرى، على الآلة الكاتبة الخاصة بهنري تمامًا كما كان سيفعل. الاختبار الحقيقي سيكون إرساله إلى وكيل أعماله: إذا كان بإمكان أي شخص اكتشاف الفارق، فسيكون هو.

عرفت روبين بالفعل أن هنري كان دائمًا ما يغلف مخطوطاته بورق بني ويربطها بخيط -لقد رأته يفعل ذلك كثيرًا عندما كانت طفلة- لذا فعلت الشيء ذاته، ثم سلمت الطرد إلى مكتب البريد.

بالكاد غادرت روبين بلاك ووتر منذ وصولها قبل ثلاثة أشهر. بدا غريبًا بالنسبة إليها أن العالم خارج باب الكنيسة الخشبي الكبير هو العالم نفسه الذي عاشت فيه من قبل عندما تغيرت حياة روبين إلى درجة لا يمكن التعرف عليها. لم يكن هناك سبب للمغادرة حتى ذلك الحين، وكانت هذه هي رحلتها الأولى إلى هولوجروف -المدينة الأقرب إلى بحيرة بلاك ووتر- منذ أكثر من عشرين عامًا. لكنْ بينما كانت روبين تقود سيارتها القديمة من طراز لاند روفر والمخطوطة بجانبها على مقعد الراكب، كانت لا تزال خائفة من أن يتعرف عليها أحد. لم يتعرفوا عليها. لكن باتي في المتجر تعرفت على الطرد ذي الورق البني عوضًا.

سألتها وهي تمضغ العلكة بين الكلمات كأنها مراهقة وليست امرأة في أواخر الخمسينيات من عمرها: «هل هذا كتاب جديد للسيد وينتر؟».

شعرت روبين أن خديها يتحولان إلى اللون الأحمر ولم تستطع الإجابة. كذبت باتي قائلة: «لا بأس إذا كان من المفترض أن يكون سرًّا، فيمكنني الاحتفاظ بالأسرار. هذه هي الطريقة التي يرسلهم بها دائمًا، مقيدة بالخيوط وما إلى ذلك».

تجمدت روبين وما زالت غير قادرة على الكلام. ضاقت عينا باتي.

- هل أنت مدبرة المنزل الجديدة؟ سمعتُ أنه طرد الأخيرة...

قالت روبين دون تفكير: «نعم».

ربتت باتي جانب أنفها بإصبعها السبابة قائلة: «أرى يا صغيرة، ربما أخبركِ ألا تخبري أحدًا بأي شيء، أليس كذلك؟ كما لو أن أي شخص هنا يهتم إذا كان قد كتب كتابًا جديدًا. الكاتبة الوحيدة التي أحبها هي «ماريان كيز»، والآن يوجد امرأة تعرف كيف تكتب. هل **أبدو** كأن لدي الوقت لقراءة كلام رجل مجنون؟ هذا هو هنري إذا سألتني عنه، كل الكتب المزعجة التي كتبها. أنا متعاطفة بشدة معكِ لعملك لصالح عجوز بخيل مثل هذا. لا تقلقي بشأن أي شيء، باتي سترسله وتحتفظ بكل أسرارك».

لو علمت باتي حجم أسرار روبين حقًّا.

بعد ذلك، كان الانتظار هو الجزء الأصعب.

لقد فهمت روبين أخيرًا كم أن الأمر مرهق للأعصاب للكتّاب عندما يرسلون أعمالهم إلى العالم. في الأيام التي تلت إرسالها للمخطوطة، أبقت الستائر مُسدَلة وتناولت وجبات مجمدة عندما كانت جائعة، ونامت عندما كانت متعبة للغاية -أو في حالة سكر- بحيث لا تستطيع البقاء مستيقظة، وفقدت تمامًا إحساسها بالوقت. عندما رن الهاتف عرفت أنها لا تستطيع الرد عليه. كان مَن يتصل يتوقع سماع صوت هنري، بما في ذلك وكيل أعماله، لذلك انتظرت لفترة أطول.

عندما وصلت رسالة من وكيل هنري في اليوم التالي، استغرق الأمر روبين بضع ساعات وزجاجة أخرى من النبيذ لتشعر بالشجاعة الكافية لفتحها.

وعندما فتحتها أخيرًا، بكت.

أنهيت الرواية في الساعات الأولى من الصباح. إنها أفضل رواية لك حتى الآن! ستُرسَل إلى الناشرين اليوم.

لقد كانت دموع الفرح والارتياح والحزن.

أرادت أن تخبر أحدًا، لكن الأرنب أوسكار لم يكن الأفضل في المحادثات. لقد أعادت تسميته في اليوم الأول الذي التقيا فيه، لأن أوسكار كان صبيًّا أرنبًا

وليس فتاة، غير معروف لهنري. وكان روبين **اسمها**. لقد كان الشيء الجيد الوحيد الذي قدمه لها والدها. لقد كانت فخورة جدًّا بتلك الرواية، لكن كان لا يزال من المستحيل تجاهل الحقيقة سواء قيلت أم لا. أفضل كتاب لهنري حتى الآن كان كتابها بالفعل، لكن سيظل اسمه على الغلاف.

حاولت روبين وضع رسالة وكيل أعمال هنري في أحد أدراج المكتب -ولم ترغب في النظر إليها بعد الآن- لكن الأدراج كانت ممتلئة للغاية. أخرجت الصفحات القليلة الأولى مما بدا كأنه مخطوطة قديمة، وتفاجأت عندما وجدت اسم زوجها السابق مطبوعًا على المقدمة:

حجر ورقة مقص

بواسطة آدم رايت

ومرفق بها رسالة من آدم مؤرخة منذ عدة سنوات:

أعلم مدى انشغالك، ولكنني تساءلت دائمًا عما إذا كان هذا السيناريو يمكن أن يصلح روايةً؟ أعتقد أن هذه قد تكون أفضل فرصة لي لتحويله إلى فيلم. سأكون شاكرًا جدًّا لرأيك. أتمنى أن تكون قد استمتعت باقتباس روايتك الأخير، فقد أخبرني وكيلك أنه أعجبك، وقال إنه سينقل لي هذه الرسالة. لقد كان شرفًا لي مساعدتك في إحياء شخصياتك على الشاشة. أي نصيحة يمكنك تقديمها إليَّ بخصوص السيناريو الخاص بي ستكون موضع تقدير وامتنان. لطالما كان هذا حلمي وأحب الاعتقاد أن بعض الأحلام تتحقق.

لقد جعلها ذلك حزينة جدًّا لأن آدم قد وثق بوالدها في أكثر أعماله المحبوبة. كانت تعلم أن هنري ربما لم يكلف نفسه عناء قراءته حتى.

أحد الأشياء القليلة التي أخذتها روبين قبل الهروب من منزلها في لندن، كان صندوق رسائل الذكرى السنوية التي كانت تكتبها سرًّا لآدم كل عام. ما زالت تفتقده –وبوب– كل يوم. أعادت قراءة تلك الرسائل في تلك الليلة، مع سيناريو آدم، وتشكلت فكرة جديدة في رأسها. بدت الفكرة مجنونة للغاية في البداية لكنها أدركت أنه توجد طريقة لإعادة كتابة قصة حياتها، ومنح نفسها نهاية أكثر سعادة مما اختارتها الحياة لها حتى الآن.

THANK YOU

فولاذ

كلمة العام:

لا مبالٍ (insoucia nt): خالٍ من القلق أو الاضطراب أو الارتباك؛ يشعر براحة البال.

28 من فبراير 2019 - ما كانت ستعد الذكرى السنوية الحادية عشرة لنا.

عزيزي آدم

إنها ليست الذكرى السنوية الحادية عشرة لنا بالطبع، لأننا لم نصمد طويلًا. أنا أعيش الآن في كوخ من القش في اسكتلندا وأنت في منزلنا في لندن. معها. ولكني ما زلت أريد أن أكتب لك رسالة. سأحتفظ بهذه الرسالة لنفسي بالإضافة إلى جميع رسائل الذكرى السنوية السرية الأخرى التي كتبتها على مر السنين. أعلم أن الأمر قد يبدو جنونيًّا -خاصة بعد أن أصبحنا مطلقين- لكنني جلست بجانب البحيرة وقرأتها مؤخرًا. كل واحدة منها. يا إلهي لقد مررنا بتقلبات كثيرة في علاقتنا، لكنْ كانت هناك أوقات جيدة أكثر من الأوقات السيئة. ذكريات جميلة أكثر من تلك الحزينة. وأنا أفتقدك.

أولًا، أردت أن أتأسف على الأكاذيب. كل واحدة منها. لقد نشأت محاطة بالكتب والخيال، ومن الصعب ألا تفعل عندما يكون والدك مؤلفًا مشهورًا

عالميًّا. كانت والدتي كاتبة أيضًا لكنني لم أخبرك عنها قط. لا أتوقع منك التفهم لكني لا أستطيع التحدث عنها معك.

عندما التقينا لأول مرة كنت أؤمن بك وبكتاباتك لكنني كنت غير صبورة وأردت أن تتحقق أحلامك بسرعة كبيرة حتى نتمكن من التركيز على أحلامنا. نظرًا إلى أنني لم أتحدث إلى هنري لسنوات، اتصلت به وطلبت منه السماح لك باقتباس إحدى رواياته. كان من المفترض أن يكون اقتباسًا واحدًا فقط. اعتقدت أن ذلك سيؤدي إلى النجاح في سيناريوهاتك الخاصة، لكن من خلال محاولتي لمساعدة حياتك المهنية، أشعر أحيانًا بالقلق من أنني قتلت أحلامك الخاصة. لقد استخدمك هنري وسيلةً لمحاولة التقرب مني. لم يكن مهتمًّا بي على الإطلاق عندما كنت طفلة. لكنني أعتقد أن كبر سنه جعله يدرك أنني يمكن أن أكون مفيدة بصفتي شخصًا بالغًا، شخص يعتني بكتبه الثمينة بعد رحيله. كان والدي يهتم بكل رواية من رواياته أكثر بكثير من اهتمامه بي.

لقد علمتني هاتان السنتان الأخيرتان الكثير عن نفسي. لقد تركت الآن «كل شيء» خلفي، وأدركت كم كنت أملك القليل. من السهل جدًّا أن تصاب بالعمى بسبب أضواء المدينة التي يصنعها الإنسان، رغم أنها لا يمكن أن تتألق أبدًا بسطوع النجوم نفسه في سماء صافية، أو الثلج الأبيض على جبل، أو أشعة الشمس المتراقصة على بحيرة. يخلط الناس بين ما يريدون وما يحتاجون إليه، لكنني أدركت الآن مدى اختلاف هذه الأشياء. وكيف أن الأشياء والأشخاص الذين نعتقد أننا نحتاج إليهم في بعض الأحيان هم الذين يجب أن نبتعد عنهم. أصبح شعري رماديًّا أكثر منه أشقر هذه الأيام، ولم أزر مصفف شعر منذ أن غادرت لندن، وقد أصبح طويلًا جدًّا. أجعله في ضفائر لتجنب الكثير من التشابك والعقد. أنا أفتقد منزلنا، وأفتقدنا، وأفتقد بوب، لكنْ أعتقد أن المرتفعات الاسكتلندية تناسبني. وأدركت أن لدي أشياء مشتركة مع والدي أكثر مما كنت أعترف بها، حتى لنفسي.

أحبَّ هنري خصوصيته كثيرًا لدرجة أنه اشترى كل شيء في هذا الوادي، بالإضافة إلى الكنيسة القديمة والكوخ قبل ولادتي. المالك الاسكتلندي الذي اشترى منه هنري الأرض كان يعاني الكثير من ديون القمار، وصادف أنه معجب بكتب هنري، لذلك باعها مقابل مبلغ صغير سخيف. حتى إن هنري

اشترى أقرب حانة بعد بضع سنوات حتى يتمكن من إغلاقها. لقد أراد فقط السلام والهدوء وأن يُترَك بمفرده. وحده تمامًا.

لم يكن السكان المحليون معجبين بامتلاك شخص غريب لجزء كبير من الوادي. كانت هناك التماسات لمنع هنري من تحويل الكنيسة -رغم أنه لم يستخدمها أحد لمدة نصف قرن- لكنه فعل ذلك على أي حال. لقد كانَ رجلًا يفعل دائمًا ما يريد وكما يحلو له. اختلق قصص أشباح عن كنيسة بلاك ووتر عندما استمر التدخل من المحليين، حتى يُبقي بعيدًا أي شخص كان يفكر في فعل العكس. كان يحيرني سبب رغبته في عيش مثل هذه الحياة المنعزلة مختبئًا بعيدًا عن العالم في عزلة ذاتية. لا توجد متاجر أو مكتبات أو مسارح أو أشخاص على بعد أميال، لا يوجد شيء هنا سوى الجبال والسماء وبحيرة ملآنة بسمك السلمون. الرجل لم يأكل حتى السمك. لكنِ الآن أعتقد أنني فهمت أخيرًا.

لا أملك أي شيء تقريبًا ولكنني أملك كل شيء في الوقت ذاته. كان حب والدي للنبيذ الجيد يعني أن القبو كان مكتظًا به، وتركت مدبرة منزله القديمة كمية لا نهاية لها من الوجبات المطبوخة في المنزل والمُصنفة يدويًا في المُجمد. مكتبة هنري الشخصية ملآنة بجميع كتبي المفضلة، والمناظر الطبيعية المتغيرة باستمرار هنا تخطف أنفاسي كل يوم. لكنْ قد يكون من الصعب الاستمتاع بالأشياء الجيدة في الحياة عندما لا يكون لديك من تشاركها معه. اشتقت إلى كلمات اليوم وكلمات العام الخاصة بنا. لا أتناول طعامًا جيدًا فأنا مغرمة جدًّا بالأطعمة المعلبة هذه الأيام، لكنني أشعر بتحسن أكثر من أي وقت مضى في لندن. ربما يكون السبب هو مذاق الهواء النقي في رئتي، أو المشي لمسافات طويلة لاستكشاف الوادي. أو ربما أشعر بالحرية في كوني أنا.

قد يكون من الصعب الخروج من ظل أحد الوالدين عندما ترث أحلامهما. غالبًا ما كتبت القصص عندما كنت طفلة، لكن كان من الصعب أن أحل محل هنري. بالإضافة إلى أنه أخبرني منذ سن مبكرة أنه لا يعتقد أنني أستطيع الكتابة. لم أعتقد قط أنني قد أتمكن من كتابة رواية كاملة، لكن الأحلام لا يمكنها التحقق إلا إذا تجرأنا على الحلم بها في المقام الأول. لقد انفصلتْ عني

ثقتي بنفسي قبل وقت طويل من انفصالكَ عني، لكن الحياة علمتني أن أكون شجاعة وأن أحاول دائمًا مرة أخرى. إذا لم تتخلَّ عن شيء ما فلن تفشل أبدًا.

كلما قارنت كلمات والدي بكلماتي بدت كلماته أثقل وأقوى وأكثر ديمومة من الأفكار التي تدور في رأسي، والتي كانت تبدو دائمًا كأنها تأتي وتذهب مثل المد. يجرف ثقتي. لكن القلاع المصنوعة من الرمال لا تبقى شامخة إلى الأبد. لقد تحررت من حكمه الآن وأدركت أن الشخص الوحيد الذي أجبرني على العيش في ظله هو أنا. كان بإمكاني الخروج في أي وقت أريده لو لم أكن خائفة من أن يراني أحد.

أجلس أحيانًا أمام البحيرة عندما تبدأ الشمس بالغروب وأتظاهر أنك وبوب تجلسان بجواري. أحب تدخين غليون هنري في المساء ومشاهدة سمك السلمون وهو يقفز عبر الماء، قبل أن يرتفع القمر في السماء ليحل محل الشمس. ثم أستمع إلى صوت غناء الضفادع وأشاهد الخفافيش وهي تنقض وتحلق في السماء، حتى يصبح الجو قارس البرودة ومظلمًا للغاية، ويجب أن أعود إلى الكوخ. لا أحب النوم في الكنيسة فهناك الكثير من الذكريات الحزينة التي تطارد الغرف، لكنني وقعت في حب بحيرة بلاك ووتر. لم أشعر بأن هذا المكان بيتي حتى غادرته. أتمنى أن أشاركها معك، بالإضافة إلى كل الأسرار التي اضطررت إلى الاحتفاظ بها. لقد وعدتني أن تحبني إلى الأبد، لكن أتساءل عما إذا كنت لا تزال تفكر بي أو تفتقدني على الإطلاق.

من الصعب تخيل أميليا في منزلنا القديم في لندن تنام في سريري مع زوجي، وتمشي مع كلبي وتطبخ في مطبخي وتعمل في مكتبي في باترسي في الوظيفة التي ساعدتها للحصول عليها. ما زلت لا أصدق أنك أعطيتها خاتم خطبتي. أو أنها ترغب في وضع شيء كان يخص والدتك في السابق، ثم أصبح يخصني. لكن يبدو أن سرقة الأشياء التي تخص أشخاصًا آخرين أصبحت عادة لديها. إنها من نوع السيدات اللاتي يتوقعن الحصول على شيء دون مقابل، وتعتقد أن العالم مدين لها بدين. كانت دائمًا ما تقرأ المجلات في استراحات الغداء -وليس الكتب البتة- وكانت تحب الاشتراك في جميع المسابقات داخلها أو على المذياع أو على شاشة التلفزيون في أثناء النهار

على أمل الفوز بشيء ما مجانًا. هكذا عرفت أنها لن ترفض أبدًا عطلة مجانية. لقد كان من السهل جدًّا إقناعك بالمجيء إلى هنا.

أنا متأكدة من أنني لست أول زوجة سابقة تريد الانتقام. لقد حاولت ألا أفكر في الأمر. لقد كان غضبي الشخصي دائمًا هادئًا بشكل مدهش. فأنا أقرأ وأكتب بدلًا من فعل ذلك. إنها آلية للتعامل مع الوحدة طورتها عندما كنت طفلة صغيرة عندما كان والدي مشغولًا دائمًا بالعمل لدرجة أنه لم يلاحظني. يبدو الأمر سخيفًا الآن لكنني لم أدرك من قبل مدى التشابه بينكما. يبدو أنني قضيت حياتي مختبئة داخل القصص: كنت أقرأ قصص الآخرين عندما كنت طفلة والآن أكتب قصتي الخاصة.

لدي سر واحد أريد مشاركته. لقد كتبت رواية والآن أكتب أخرى. إن الأحلام مثل الفساتين في نافذة المتجر؛ تبدو جميلة لكنها أحيانًا لا تناسبك عند تجربتها. بعضها صغير جدًّا والبعض الآخر كبير جدًّا. ولحسن الحظ علمتني والدتي الخياطة ويمكن تعديل الأحلام لتناسبنا تمامًا مثل الفساتين.

أعتقد أن كتابي الجديد جيد، وأنتَ فيه.

يدور حجر ورقة مقص حول الخيارات. لقد اتخذت خياري؛ سيأتي الوقت الذي ستحتاج فيه إلى اتخاذ خيارك أيضًا. الشيء الجيد الوحيد في خسارة كل شيء هو الحرية التي تأتي من عدم وجود أي شيء لتخسره.

زوجتك (السابقة).

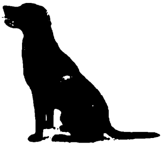

أميليا

يميل الناس إلى الاعتقاد بأن الزوجة الثانية متعدية والأولى ضحية، لكن هذا ليس صحيحًا دائمًا.

أعلم كيف يبدو الأمر. لكن عشر سنوات هي مدة طويلة للزواج، وقد انتهت سنواتهما بالفعل. لم أكن أعتقد أنه من الممكن أن تكون طيبًا أكثر من اللازم -فالطيبة من المفترض أن تكون شيئًا جيدًا- لكن روبين كانت من نوع الأشخاص الطيبين الذين أعطوا الفرصة للناس لاستغلالهم وإساءة معاملتهم: زملاؤها، وزوجها، وأنا. كانت تعتقد أنها صادقتني بدافع الشفقة عندما بدأت العمل التطوعي في مأوى باترسي للكلاب. لكن الحقيقة هي أنها كانت بحاجة إلى صديق أكثر مني؛ لم أقابل قط امرأة وحيدة مثلها.

بالطبع كنت شاكرة لها عندما ساعدتني في الحصول على وظيفة بدوام كامل، وبالطبع شعرت بالذنب بسبب خيانتي لها مع زوجها. لكنها لم تكن علاقة عابرة دنيئة. لقد انتهت علاقتهما قبل فترة طويلة من ظهوري في الصورة، وأنا وآدم متزوجان الآن؛ بدلًا من أن نكون جميعًا بائسين. و**كانت** غير سعيدة إذ كانت تشكو باستمرار من زوجها، كاتب السيناريوهات الكبير في هوليوود، في حين كان البعض منا عالقين في مواعدة منبوذين في الحياة. منذ المرة الأولى التي التقيت فيها زوجي كان شيئًا تلهفت على امتلاكه. بقيت على الهامش لفترة طويلة أشاهد وأنتظر وأحاول فعل الشيء الصحيح. لقد غيرت شعري وملابسي وحتى طريقة كلامي، كل ذلك من أجله. حاولت أن

أكون من يحتاج إلى أن أصبح عليه. ليس لنفسي لكنْ لأنني اعتقدت أنني أستطيع إصلاحه، وكنت أعلم أنني أستطيع جعله أكثر سعادة مما كان عليه معها. لم تكن تعرف كم كانت محظوظة، وأن نهايتين سعيدتين من أصل ثلاث أفضل من لا شيء.

لم تخض روبين شجارًا. بل على النقيض فقد كان الطلاق وديًّا بشكل مدهش نظرًا إلى أنهما متزوجان منذ عقد من الزمن.

هي غادرتْ. وهو بقي. وأنا انتقلت للعيش معه.

لقد كان الأمر أفضل للجميع وكنا سعيدين، أنا وآدم. وما زلنا كذلك. ربما لم أكن سعيدة كما كنا لكن يمكنني إصلاح ذلك. كان من المفترض أن تساعدني هذه العطلة لكنني أدركت الآن أنه كان خطأ كبيرًا. لا يهم. أنا متأكدة من أن التعامل مع زوجته المجنونة السابقة لن يؤدي إلا إلى تقربنا أنا وآدم مرة أخرى. وهي مجنونة. إذا كان لدي أي شك من قبل فأنا أعرف الآن على وجه اليقين.

قلت لنفسي ذلك ونحن نقف في أعلى الدرج فيما ننظر إلى صورة **زفافهما** المعلقة على الحائط. كلاهما يبتسم للكاميرا. كالعادة أتساءل ماذا يرى زوجي. هل يرى وجه من يفتقده؟ أم أنه مجرد ضباب لا يستطيع التعرف عليه؟ هل يعتقد أنها جميلة؟ هل ينظر إلى الصورة ويعتقد أنهما يبدوان جيدين معًا؟ هل يتمنى لو أنهما ما زالا معًا؟

لا بد أنهما كانا سعيدين أيضًا في البداية. مثلنا تمامًا.

إن خدعة تحويل الحب إلى كراهية أسهل بكثير من تحويل الماء إلى نبيذ.

لم يهم كون القليل من القواسم المشتركة بيني وبين آدم عندما انتقلت في البداية إلى المنزل الذي كانا يتقاسمانه. لا يبدو أنه يمانع أنني لم أحب الكتب والأفلام بقدر ما كان يحبها، وكانت علاقتنا رائعة خلال الأشهر القليلة الأولى. لقد اهتممت بنفسي وبجسدي بشكل أفضل مما فعلت روبين على الإطلاق -ذهبت إلى صالة الألعاب الرياضية وبذلت جهدًا أكبر في مظهري بمجرد أن وجدت شخصًا أبدو جميلة من أجله. لقد فعلنا ذلك في كل غرفة من غرف المنزل التي جددتها زوجته السابقة بمحبة -وهي فكرتي دائمًا- لطرد الأرواح

الشريرة من زواجهما. وعلى عكس الكثير من الأزواج، بدا الأمر كأنني وآدم لم نكف عن الكلام قط. أذهلني عالمه، الرحلات إلى لوس أنجلوس والمشاهير الذين التقاهم في القراءات، بدا كل شيء مثيرًا للغاية. كان آدم يحب التحدث عن نفسه وعن عمله بقدر ما أحب الاستماع إليه، لذلك كان الأمر مناسبًا. لقد تزوجنا بمجرد الانتهاء من الطلاق. لقد كان زفافًا صغيرًا وخاصًّا للغاية. لم أمانع أنه لم يوجد غيرنا في مكتب التسجيل في ذلك اليوم، اعتقدت أننا لسنا بحاجة إلى أي شخص آخر. ما زلت أعتقد ذلك.

إذا كانت روبين حقًّا وراء كل هذا، وكانت تخطط للانتقام، فأنا أقل خوفًا مما كنت عليه من قبل لأنني أذكى منها وأقوى بكثير أيضًا عقليًّا وجسديًّا. إذا كانت هذه هي طريقتها في محاولة استعادة زوجها فلن ينجح الأمر. لا يريد أحد أن يكون مع امرأة مجنونة، وأعتقد أنه من الآمن افتراض أن هذا هو ما أصبحت عليه.

أقول: «علينا المغادرة فحسب».

- لقد مزقت الإطارات.

- إذن سنسير إلى المدينة التالية، أو نستقل سيارة إذا رأينا واحدة.

يجيب آدم دون اقتناع كبير: «حسنًا».

يبدو الأمر كما لو أنه أصيب بالصدمة.

- هيا، ساعدني في إخراج أغراضنا.

عدت إلى الطابق الأول لكنني فتحت بابًا آخر عن طريق الخطأ -لقد كانت **جميعها** مغلقة عندما وصلنا الليلة الماضية؛ برج الجرس، وغرفة الطفل - والآن أرى ما يجب أن تكون غرفة النوم الرئيسية- غرفة هنري. يوجد سرير كبير في المنتصف كما قد تتوقع، لكنْ ما لم أتوقعه ولم أره في غرفة نوم من قبل هو أن جميع الخزائن الزجاجية تغطي كل جدار من الأرض حتى السقف. على عكس أجزاء أخرى من المنزل هذه الرفوف ليست ملآنة بالكتب. ولكنها مكتظة بالطيور الخشبية الصغيرة المنحوتة. عندما اقتربت خطوة أدركت أن جميعها لطائر الروبين. أعتقد أنه يوجد المئات منها، جميعها متشابهة ولكنها مختلفة.

أقول مجددًا: «يزداد هذا المكان غرابةً مع الوقت. دعنا نذهب».

يتبعني آدم عائدًا إلى الطابق الأول، ثم إلى غرفة النوم حيث نمنا الليلة الماضية. أتمنى لو أنه لم يتبعني فإن حضور روبين واضح هنا أيضًا. يوجد كيمونو من الحرير الأحمر مرتب بشكل أنيق فوق الملاءات البيضاء على السرير.

أقول: «ماذا يفترض أن يعني هذا؟».

لكنه سؤال غبي فكلانا يعلم إجابته بالفعل. المرأة ذات الكيمونو الأحمر هي ما تراود آدم كوابيس متكررة عنها بسبب ذكرى ما حدث لأمه. هذا ما كانت تلبسه عندما كانت تمشي مع كلبه في وقت متأخر من الليل وقُتِلَت على يد سائق صدمها وهرب.

يهمس قائلًا: «لماذا قد تفعل روبين هذا؟».

- لا أعلم ولا أهتم. نحن بحاجة إلى المغادرة الآن.

يسأل مجددًا: «كيف؟».

- لقد أخبرتك بالفعل، يمكننا المشي إذا كان يتوجب علينا...

ينظر بعيدًا وأتبع نظرته. كُتِبَت ثلاث كلمات على المرآة فوق منضدة الزينة باستخدام أحمر الشفاه:

حجر ورقة مقص

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

حرير

كلمة العام:

حب متبادل (redamancy): محبة من يحبك؛
حب متبادل كليًّا.

29 من فبراير 2020 - ما كانت ستعد الذكرى السنوية الثانية عشرة لنا.

عزيزي آدم

لقد كنت أكتب لك رسائل في ذكرى زواجنا منذ أن تزوجنا.

لكنْ هذه هي الرسالة الأولى الذي سأسمح لك بقراءتها، وأقترح بشدة أن تقرأها بمفردك قبل مشاركة أي من محتوياتها. إن فكرة أن أكون صادقة تمامًا في النهاية تبدو جيدة. أول شيء أريدك أن تعرفه هو أنني لم أتوقف عن حبك قط، حتى عندما لم أكن أتقبلك، حتى عندما كرهتك كثيرًا وتمنيت لو أنك ميت. وأعترف أنني تمنيت ذلك لفترة من الوقت. لقد آذيتني بشدة.

لقد مضى اثنا عشر عامًا بالضبط منذ زواجنا، في سنة كبيسة في عام 2008. يجب أن تعلم الآن أن هنري وينتر كان والدي. يوجد الكثير من الأسباب، أسباب جيدة، لعدم إخباري لك بذلك قط. لقد كان موجودًا في كثير من الأحيان في زواجنا، وكان يتربص دائمًا في الخلفية، حتى في يوم زفافنا.

أنت لم تتعرف قط على وجهه بالطريقة نفسها التي لم تتعرف بها دائمًا على وجهي. لكنني كذبت عليك فقط لحمايتك. لم يؤلف والدي كتبًا مظلمة ومزعجة فحسب، بل كان رجلًا مظلمًا وخطيرًا في الحياة الحقيقية.

كانت علاقتي مع والدي معقدة، خاصة بعد وفاة والدتي عندما أرسلني إلى مدرسة داخلية. كنت أعلم أنك من أشد المعجبين برواياته، لكنني لم أرغب قط في أن يتلوث ما كان بيننا بسببه: أردتك أن تحبني من أجلي. لم أرغب قط في أن يكون له أي سيطرة عليَّ، أو عليك، أو علينا. لكنني طلبت منه السماح لك بكتابة سيناريو لإحدى رواياته منذ سنوات مضت. شعرت بأنني مدينة لذلك الوحش بطريقة لم أرغب قط في أن أكون مدينة بها بعد طلبي لمساعدته، حتى ولو لمرة واحدة فقط. لا أتوقع منك التفهم لكني أرجوك أن تعلم كم أحببتك حتى أفعل ذلك. يميل الإدراك المتأخر إلى أن يكون قاسيًا وليس لطيفًا. إذا نظرنا إلى الوراء الآن، ربما لو كنت تعرف من أنا حقًّا لكنا لا نزال متزوجين ونحتفل بالذكرى السنوية الثانية عشرة لزواجنا. لكنْ توجد أشياء كثيرة لا أستطيع إخبارك بها أبدًا.

كان هنري وينتر كاتبًا رائعًا للروايات في العلن، لكنه في الحياة الواقعية كان عبارة عن مجموعة من الجمل غير المكتملة. لقد خوَّف والدتي حتى لم تعد قادرة على التحمل. وعندما ماتت خوَّفني. عندما كنت طفلة كان يجعلني أشعر في كثير من الأحيان كما لو أنني لم أكن موجودة حقًّا. كما لو كنت غير مرئية. كانت أصوات الشخصيات في رأسه دائمًا عالية جدًّا بحيث لا يستطيع سماع أي شخص آخر. أدى عدم إيمانه بي عندما كنت طفلة إلى عدم إيماني بنفسي مدى الحياة. جعلني عدم اهتمامه أشعر كأنني لا أحد بالنسبة إلى أي شخص. إن قلة محبته تعني أنني لم أكن أجيد المودة إلا معك. أعتقد أحيانًا أنه كان سيحتفظ بي في قفص لو استطاع، مثل أرنبه. ومثل والدتي. كانت كنيسة بلاك ووتر هي قفصها، ولم أرغب قط أن تكون قفصي أيضًا.

كانت كتب هنري أبناءه، وأنا لم أكن أكثر من مجرد مصدر إلهاء غير مرغوب فيه. لقد وصفني بـ «الحادث المؤسف» في أكثر من مناسبة -عادة عندما كان يشرب الكثير من النبيذ- حتى إنه كتب ذلك في بطاقة عيد ميلاد ذات مرة.

إلى الحادث المؤسف..

عيد ميلاد عاشر سعيد!

هنري.

وصلت البطاقة بعد أسبوعين من عيد ميلادي، وكنت في التاسعة من عمري فقط في ذلك العام. لم يطلق على نفسه اسم أبي قط، ولم أفعل أيضًا.

لم يكن أي شيء فعلته جيدًا بما فيه الكفاية عندما كنت طفلة. نحن صدى آبائنا وأحيانًا لا يعجبهم ما يسمعونه. أدركت أن الطريقة الوحيدة بالنسبة إليَّ للحصول على حياة خاصة بي هي إبعاد والدي عنها. لكن هنري لم يكن فقط يتمتع بخصوصية استثنائية وغريبًا بعض الشيء فحسب، بل كان أيضًا متملكًا للغاية. تجاهي. شعرت بأنني مراقبة طوال حياتي، لأنني كنت كذلك. غادرت المنزل عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، وغيرت لقبي إلى اسم والدتي قبل الزواج، ولم أعد إلا في اليوم الذي اتصل فيه ليخبرني أنه يحتضر.

كل ما فعلته منذ ذلك الحين، فعلته من أجلكَ ومن أجلنا.

لقد كتبت رواية، روايتين الآن في الواقع، كليهما باسم هنري. لا أحد يعرف أو عليه معرفة أنه مات. وها هو إعلان أحدث كتاب:

حجر ورقة مقص هي قصة عن زوجين متزوجين منذ عشر سنوات. وفي كل ذكرى سنوية يتبادلان الهدايا التقليدية -الورق والنحاس والقصدير- وفي كل عام تكتب الزوجة لزوجها رسالة لا تسمح له بقراءتها أبدًا. سجل سري لزواجهما بكل ما فيه من عيوب. وأصبحت علاقتهما في ورطة بحلول الذكرى السنوية العاشرة لزواجهما. أحيانًا قد تكون عطلة هي ما يحتاج إليه الزوجان لإعادتهما إلى المسار الصحيح، ولكنَّ الأمور ليست كما تبدو.

هل يبدو مألوفًا؟

إنه مزيج من السيناريو الخاص بك والرسائل السرية التي كنت أكتبها لك كل عام منذ أن التقينا. لقد غيرتُ بعض الأسماء بالطبع، ومزجت الخيال مع الحقائق، لكنْ أعتقد أنك سوف تحب النتيجة. أنا أحبها. عندما يرسلها هنري إلى وكيله سيرفق خطابًا يقول فيه إنه يريد منك البدء بالعمل على السيناريو على الفور. سترى أخيرًا قصتك الخاصة على الشاشة تمامًا كما حلمنا دائمًا.

لكنْ فقط إذا أنهيت الأمور مع أميليا.

إن خطتي ليست مجنونة كما قد تبدو. يمكن أن تكون جيدة لك ولنا. أفتقدنا كل يوم وأتساءل عما إذا كنت قد تفتقدنا أيضًا. هل تتذكر ذلك الاستوديو الصغير الموجود في القبو الذي كنا نعيش فيه؟ عندما كنا لا نزال نتعلم ما إذا كان بإمكاننا أن يعيش أحدنا مع الآخر أم لا. لا يستطيع بعض الأزواج معرفة الفرق. هذه هي نسختك التي أفتقدها بشدة. والنسخة التي أتمنى أن نجد طريق العودة إليها. لقد ظننا أننا نملك القليل جدًّا في ذلك الوقت، لكننا كنا نملك كل شيء، كنا صغيرين وغبيين لدرجة أننا لم ندرك الأمر.

أحيانًا نشب عن أحلامنا عندما كنا أصغر سنًّا، ونسعد عندما يتبين أنها صغيرة جدًّا، ونحزن عندما يتبين أنها كبيرة جدًّا. أحيانًا نجدها مجددًا وندرك أنها كانت مناسبة تمامًا، ونأسف لإبعادها. أعتقد أن هذه هي فرصتنا للبدء من جديد وعيش الحياة التي طالما حلمنا بها.

توجد أشياء أخرى لا تعرفها عن هنري إلى جانب كونه والدي. لقد عين محققًا خاصًّا لسنوات ليراقبني ويراقبك ويراقبنا.

محقق خاص كان يعلم أنك كنت على علاقة غرامية قبل أن أعلم.

يعلم أشياء لم أكن أعلمها، وما زلت لا تعلمها.

المحقق الخاص هو رجل يدعى صامويل سميث. لا يزال يعتقد أن والدي على قيد الحياة -مع بقية العالم- لكنْ بصرف النظر عن ذلك الخطأ الفادح، فإنه يبدو جيدًا جدًّا في وظيفته. دقيقًا. لقد كان يرسل تقارير أسبوعية عنا إلى والدي لسنوات -غير معروفة بالنسبة إليَّ- وكانت قراءتها مدهشة ومحزنة في ذات الوقت. لم يتبعنا فقط، بل اتبع أي شخص اقتربنا منه. بما في ذلك أكتوبر أوبراين وأميليا. حتى إنه أرسل إلى والدي صورًا لمنزلنا، قبل وبعد أن غادرته (لا يعجبني ما فعلته بالمكان). كان صامويل سميث المحقق الخاص يعرف عنا أكثر مما يعرفه أحدنا عن الآخر. لقد فكرت لفترة طويلة فيما إذا كنت سأشارك هذه المعلومات معك أم لا. لا يسعدني أن أسبب لك الألم، لكنْ كما قلت في البداية، أنا أحبك. لطالما كنتُ وسأظل دومًا. دائمًا وأبدًا، وليس كليًّا فقط كما اعتدنا أن نقول. ولهذا السبب يجب أن أخبرك الحقيقة، كلها.

لم يكن من قبيل المصادفة أن أميليا بدأت العمل في باترسي وصادقتني، وكانت تطرح أسئلة عنك دائمًا. لقد كنتَ دائمًا جزءًا من خطتها. لقد تلاقت مساراتكما منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا لكنك لم تتمكن من التعرف على

وجهها. اكتشف صامويل سميث أكثر مما ساوم عليه عندما خنتني. إنه سؤال لا أحد يرغب في طرحه أو الإجابة عنه، لكنْ ما مدى معرفتك بزوجتك حقًّا؟

أميليا جونز -كما كان يُطلق عليها قبل زواجكما- كانت تكذب عليك منذ اللحظة التي التقيتما فيها. لقد كذبت عليَّ أيضًا. تملك أميليا سجلًّا إجراميًّا وقد دخلت السجن وخرجت منه منذ أن كانت مراهقة. لقد عاشت في سلسلة من دور التبني عندما كانت صغيرة وكانت دائمًا تقريبًا في ورطة. في وقت ما كانت تعيش في مبنى المجلس نفسه الذي تعيش فيه. حتى إنها التحقت بمدرستك نفسها لبضعة أشهر عندما كنتما في الثالثة عشرة من عمركما. وذلك عندما انتقلتْ من سرقة المتاجر إلى التجول بالسيارات. وكان يُشتبه في سرقة أميليا سبع سيارات، قبل أن يُقبَض عليها للاشتباه في تسببها بالوفاة بسبب القيادة الخطرة. استجوبتها الشرطة بشأن حادث صدم وهروب، لكنها كانت دون السن القانونية وقدمت والدتها الحاضنة دليل براءة -وهو أمر اعترفت المرأة لاحقًا بأنه كذبة- ولم يتمكن رجال الشرطة من إثبات التهمة.

السيارة التي قبضوا عليها عندما كانت تقودها هي السيارة التي صدمت والدتك.

الشاهد الوحيد -أنت- لم يتمكن من تمييزها عندما كانت تقف في صف المشتبه بهم من قِبل الشرطة، لأنك لم تتمكن من التعرف على وجه من كان يقود السيارة. لكنها عرفتك.

انتقلت أميليا جونز إلى دار رعاية جديدة بعيدة. لقد قلبت صفحة جديدة وبدأت من جديد. ربما شعرت بالندم الحقيقي على ما فعلته، ربما شعرت بالذنب لأنها أفلتت من العقاب، ربما لهذا السبب تابعتك لسنوات، وتوصلت إلى خطة للتقرب منك من خلالي، ربما كانت تحاول بطريقة ملتوية التعويض عما فعلته. عليك أن تسألها.

أعلم أنني كذبت عليك بشأن والدي، لكن على الأقل كانت أكاذيبي لحمايتكَ وحمايتنا. لا يوجد شيء تعتقد أنك تعرفه عن أميليا صحيح. كانت زوجتك هي المسؤولة عن وفاة والدتك عندما كنت طفلًا، وأعتقد أنه من الصواب أن تعرف ذلك قبل اتخاذ أي قرار. ألا تصدقني؟ ربما، حاول إخبار أميليا أنك تعرف الحقيقة، لكن كن حذرًا، فهي ليست المرأة التي تظن أنك تعرفها.

أعلم أنه سيكون من الصعب استيعاب الأمر، ناهيك بتصديقه، لكنْ ألم تشعر في أعماقك دائمًا كما لو أن شيئًا ما لم يكن صحيحًا تمامًا بشأن أميليا؟ في المرة الأولى التي قابلتها فيها، عندما وصلت إلى منزلنا دون دعوة مُدَّعِيةً أنها كانت في موعد غرامي سيئ، وصفتها بالممثلة. اتضح أن انطباعاتك الأولى كانت صحيحة. لقد وجدت دفترًا بجانب السرير حيث تكتب فيه كل تفاصيل كوابيسك. هل تساءلت يومًا لماذا تفعل ذلك؟ أنا متأكدة من أنها قالت إن ذلك كان لمحاولة مساعدتك على تذكر وجه من قتل والدتك، لكنْ ربما كان ذلك للتأكد من أنك لم تتذكر قطُّ. لا عجب أنها تحتاج إلى حبوب لمساعدتها على النوم ليلًا، فالذنب الذي تشعر به من شأنه أن يُبقي أي شخص مستيقظًا.

بعد معرفتك بالأمر الآن -ولديَّ جميع رسائل البريد الإلكتروني والوثائق الخاصة بالمحقق الخاص لإثبات ذلك- هل ما زلت تحبها؟ هل يمكنك حقًّا الثقة بها مجددًا؟ ما سيحدث لاحقًا سيكون عائدًا إليك. إنه خيار بسيط، مثلما اعتدنا أن نلعب بحجر ورقة مقص.

الخيار الأول - **حجر**: تحاول المغادرة مع المرأة التي قتلت والدتك.

الخيار الثاني - **ورقة**: تخرج من هناك بمفردك وتأتي لتجدني أنا وبوب في الكوخ. نحن في انتظارك، ولا أريد شيئًا أكثر من أن نصبح جميعًا معًا مجددًا. سأعود إلى لندن ويمكننا نشر **حجر ورقة مقص** روايةً باستخدام اسم هنري -يجب ألا يعلم أي أحد أبدًا- وبعد ذلك أعدك أنك ستنتج السيناريو الخاص بك أخيرًا. لن تحتاج إلى اقتباس عمل أي شخص آخر مجددًا، ويمكنك قضاء بقية حياتك في كتابة قصصك الخاصة.

الخيار الثالث - **مقص**: لا تريد معرفة الخيار الثالث.

الخيار يعود إليك. أعلم أن ما أطلب منك أن تقرره يبدو صعبًا. لكن الأمر في الحقيقة سهل مثل لعب حجر ورقة مقص إذا كنت تستطيع تذكر كيفية لعبها.

روبين خاصتك.

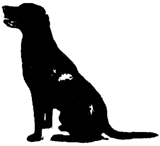

أميليا

نقف في غرفة النوم التي صُمِّمَت لتبدو تمامًا مثل تلك التي نتشاركها في المنزل، تلك التي أعدت تزيينها عندما غادرت روبين. باستثناء أن الأمور أصبحت الآن أكثر غرابة مما كانت عليه من قبل. هذا ليس ما كنت أتمنى أن تسير عليه هذه العطلة على الإطلاق. لقد قررت بالفعل إنهاء زواجي إذا لم تسر هذه الرحلة على ما يرام، لقد تحدثت مع محامٍ ومستشار مالي، الذي اقترح أن بوليصة التأمين على الحياة قد تساعدني في الحصول على ما أستحقه في تسوية الطلاق. أردت إعطاء الأمور فرصة أخيرة لكنني بدأت أتمنى لو أنني غادرت فقط. لقد عثرت بالفعل على شقة لأنتقل إليها -إنها جميلة، وتطل على نهر التايمز- لكني كنت آمل ألا يصل الأمر إلى هذا الحد. كنت **آمل** أن تؤدي هذه العطلة إلى إصلاحنا. يحتفظ الوكيل العقاري بالشقة لي حتى الأسبوع المقبل، ويقول إنني أستطيع الانتقال إليها على الفور إذا أردت، لذلك كنت أعلم دائمًا أن واحدًا منا فقط قد يعود إلى المنزل الذي كان منزله.

لقد ظلت حياتي البائسة بأكملها تدور في حلقة داخل ذهني مؤخرًا، ويبدو أنني لا أستطيع العثور على مفتاح إيقاف التشغيل. أستلقي مستيقظة في الليل -رغم الحبوب- أتوق إلى حذف كل الذكريات التي أتمنى لو لم أصنعها قط. كل الأخطاء. كل المنعطفات الخاطئة. كل الطرق المسدودة. أنا لا أختلق الأعذار لكن لم تكن طفولتي سهلة. أعلم أنني لست وحدي مَن عانيت، لكن تلك السنوات الوحيدة هي التي شكلت ما أنا عليه اليوم. آلات الكمان الصغيرة دائمًا

ما تكون أعلى صوتًا لمن يعزفونها. لقد علمني انتقالي من عائلة حاضنة إلى أخرى مثل البضائع غير المرغوب فيها ألا أشعر براحة شديدة، وألا أثق بأي شخص أبدًا. بما فيهم أنا. كان كل منزل جديد يعني عائلة جديدة ومدرسة جديدة وأصدقاء جددًا، لذلك حاولت أن أكون نسخة جديدة مني. لكن لم يكن أي منهم مناسبًا تمامًا.

لقد كنت دائمًا مُطاردة بوفاة والديَّ لأنه كان خطئي. لو لم تكن والدتي حاملًا بي، لما كانت في السيارة ولما كان والدي يقودها إلى المستشفى عندما اصطدمت بهما شاحنة. لو لم يقابلني آدم لكانت حياته مختلفة تمامًا أيضًا. نملك الكثير من القواسم المشتركة لكننا نشعر بالتباعد أكثر من أي وقت مضى. لقد شاهدت آدم لسنوات. لقد جعل نجاحه –والإنترنت– الأمر سهلًا. حاولت أن أكون زوجة صالحة له لكنه لا يزال ينظر إليَّ على أنني العملة السيئة وهي العملة المحظوظة. حاولت جعله سعيدًا. كنتُ أحاول التعويض عن الأشياء التي حدثت في الماضي لفترة طويلة جدًّا. لقد أصبحت نسخًا مختلفة من نفسي أحاول إرضاء الآخرين، لدرجة أنني لم أعد أعرف من أنا. أحتاج إلى التركيز على المستقبل الآن. مستقبلي. إن طلب الغفران مثل وعاء الذهب الموجود في نهاية قوس قزح والذي لم يجده أحد حقًّا.

سألتُ: «لماذا كتبت روبين حجر ورقة مقص بأحمر الشفاه على المرآة؟».

وأتساءل عما إذا كان لدى زوجة آدم السابقة تاريخ من مشكلات الصحة العقلية التي لست على علم بها. أشاهده وهو يبدأ بالتجول في الغرفة ويبدو مشوشًا بعض الشيء. أكملت: «لماذا تخدعنا للمجيء إلى اسكتلندا؟ لماذا تحتفظ بسرية هوية والدها لمدة عشر سنوات ثم لا تخبر أحدًا بوفاته؟ ولماذا تسرق كلبنا...».

قاطع آدم أسئلتي: «من الناحية العملية، كان بوب كلبها...».

– بالضبط، **كان** كلبها لكنها غادرت فقط. اختفت دون كلمة واحدة. لم تسمع عنها مجددًا بعد حادثة شجرة الماجنوليا إلا من خلال المحامي...

- حسنًا، أتخيل أن عودتها إلى المنزل مبكرًا في ذكرى زواجنا والعثور على زوجها في السرير مع صديقتها المفضلة ربما كان أمرًا مزعجًا للغاية.

- لقد انتهى زواجكما قبل وقت طويل من مجيئي.

- لم أرغب في إيذائها قط...

- أعتقد أنه قد فات الأوان بالنظر إلى الأمور الآن. قد ترغب في البقاء هنا لتتذكر زوجتك الأولى الجميلة، لكن أيًّا ما كانت عليه روبين سابقًا، فيبدو من الواضح بالنسبة إليَّ أنها الآن مريضة نفسية كليًّا. أعتقد أنه يمكننا الافتراض أن وجهها هو الذي رأيته عندما نظرت من خلال النافذة الليلة الماضية. لا بد أنها كانت وراء **كل** الأشياء الغريبة التي حدثت منذ وصولنا، وهي تحاول إخافتنا. ربما أوقفت عمدًا تشغيل المولد أيضًا، في محاولة لتجميدنا حتى الموت...

يقول آدم: «أنا مَن أوقف المولد».

كلامه ليس له معنى في البداية، كأنه يتكلم بلغة مختلفة.

- ماذا؟

يهز كتفيه قائلًا: «أردت فقط العودة إلى لندن في أقرب وقت ممكن. اعتقدت أنه إذا انقطعت الكهرباء بالكامل فسوف توافقين على العودة إلى المنزل».

أذهلني هذا الاكتشاف قليلًا، لكنني أذكر نفسي بأن روبين هي العدو وليس آدم. لن أسمح لها بالفوز. مهما حدث عندما نعود إلى لندن، فمن المهم أكثر من أي وقت مضى أن نبقى أنا وآدم في الفريق نفسه. نحن ضدها.

- هل تدرك أن روبين هي على الأرجح من رأيته في الكوخ المسقوف بالقش في أسفل الممر؟ أراهن أنها لا تزال هناك الآن، وأعتقد أن الوقت قد حان لنذهب وننهي الأمر معها. قد تكون خائفًا من زوجتك السابقة لكنني لست خائفة.

يقول: «أنا خائف».

وهذه هي أقل مرة وجدت زوجي فيها جذابًا على الإطلاق. جزء صغير مني يعتقد أنني يجب أن أتركهما لأمرهما- فهما يستحق أحدهما الآخر.

- إنها روبين، أتتذكر؟ زوجتك الأولى اللطيفة الصغيرة التي لا تستطيع قتل العنكبوت؟

- لكنْ إذا كانت تعيش هنا بمفردها طوال العامين الماضيين... فيمكن للناس أن يتغيروا.

- الناس لا يتغيرون أبدًا.

نتجمد كلانا عندما نسمع ثلاثة أصوات كالانفجارات في الطابق السفلي، بصوت عالٍ جدًّا، يبدو الأمر كأن الكنيسة بأكملها ترتجف، ونحن كذلك.

همست: «ماذا كان **ذلك**؟».

يصدر الصوت مجددًا قبل أن يتمكن من الإجابة؛ صوت الطرق عالٍ للغاية، يبدو كما لو كان يوجد عملاق يحاول الدخول إلى باب الكنيسة القوطية الكبير ذلك. نظرة الخوف على وجه آدم تحوِّل شعوري إلى الغضب. أنا لستُ خائفة **منها**.

أغادر غرفة النوم نزولًا على الدرج وعبر صالة المكتبة، أسقط بعض الكتب على عجل. يتدفق الأدرينالين بداخلي، ورغم كل الأحداث الغريبة التي حدثت خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية، عندما أتذكر مَن أتعامل معه أصبحت الآن متأكدة من أنه لا بد من وجود تفسير عقلاني لكل ذلك. لا أشباح، لا ساحرات، فقط زوجة سابقة مجنونة. سأجعلها تندم على فعل هذا بنا.

وصلت إلى غرفة الأحذية، ورأيت أن مقعد الكنيسة لا يزال يسد الباب. أحاول إبعاده عن الطريق لكنه لا يتزحزح. يظهر آدم خلفي ويبدو أقل شبهًا بالرجل الذي تزوجته وأكثر شبهًا بالرجل الذي خططت للرحيل عنه.

أقول: «ساعدني».

- هل أنتِ متأكدة من أنها فكرة جيدة؟

- هل لديكَ فكرة أفضل؟

وبينما كنا نرفع الأثاث الثقيل لنزيحه بعيدًا عن الطريق، أتذكر كيف يمكن أن يكون زوجي طفوليًّا. الطريقة التي يعود بها إلى نسخته من الطفولة عندما تصبح الحياة صاخبة جدًّا كانت محببة. لقد جعلني أرغب في حمايته. بصمات أصابعي موجودة على جميع أنحاء حسرة قلبه، وأردت مسحها والبدء من جديد. الآن أتمنى فقط أن يكون شجاعًا.

يهتز باب الكنيسة عندما يطرق شخص ما الجانب الآخر ببطء ثلاث مرات مجددًا. يتردد صدى الصوت من حولنا في كل مكان، وكلانا يتراجع خطوة إلى الوراء. جدار المرايا الصغيرة يلفت انتباهي، وأرى نسخًا مصغرة متعددة لوجه زوجي تنعكس فيها. يبدو كما لو أنه... يبتسم. عندما أتحقق من النسخة الحقيقية الواقفة بجواري مباشرةً، تُستبدل بالابتسامة نظرة رعب خالص.

أنا أفقد عقلي.

أتردد قبل تجربة مقبض الباب، وأشعر ببعض الراحة عندما أجده مقفلًا.

سألتُ وأنا أرفع يدي: «أين المفتاح؟».

أنا متأكدة من أننا كلانا لاحظنا أنه يهتز.

يأخذ آدم المفتاح الحديدي ذا المظهر العتيق من جيبه ويعطيني إياه، خائفًا جدًّا من فتح الباب بنفسه. أحاول إدخاله في القفل لكني لا أستطيع. يوجد شيء يمنع دخوله من الجانب الآخر. حاولت مجددًا لكنه لا يتزحزح، وضربت بقبضتي على الباب الخشبي بإحباط. لا تفتح أي من النوافذ الزجاجية الملونة في العقار، وهذا هو السبيل الوحيد للدخول أو الخروج.

ثم أرى ظلًّا يتحرك أسفل الباب.

– إنها هناك. تلك المجنونة اللعينة قد حبستنا.

أطرق الباب عندما لا تجيب، ثم أفقد أعصابي وأناديها بكل الأسماء التي تستحق أن تُنادى بها.

لم تقل روبين كلمة واحدة، لكنني أعلم أنها لا تزال هناك فإن ظلها لا يتحرك.

ثم ينزلق مظروف مكتوب عليه اسم آدم من أسفل الباب.

آدم

التقطتُ المظروف وحاولت أميليا انتزاعه من يدي.

أقول وأنا أبعده عن متناول يدها: «إنه موجه إليَّ».

ثم دخلت إلى المطبخ وجلست على أحد مقاعد الكنيسة القديمة بجانب الطاولة الخشبية وفتحت الرسالة. يوجد عدة صفحات صاغتها روبين. قد لا أتمكن من التعرف على الوجوه، لكنني أتعرف على خط يدها في أي مكان. تجلس أميليا في الجهة المقابلة. أحاول إبقاء وجهي محايدًا في أثناء القراءة لكن الكلمات لا تجعل الأمر سهلًا.

ما مدى معرفتك بزوجتك حقًّا؟

أرفع الرسالة للأعلى حتى لا تتمكن من رؤيتها.

لم يكن من قبيل المصادفة أن تبدأ أميليا العمل في باترسي...

بدأت أصابعي ترتعش عندما وصلت إلى الصفحة الثانية.

لقد تقاطعت مساراتكما منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا لكنك لم تتمكن من التعرف على وجهها.

تسأل أميليا وهي تمد يدها ليدي عبر الطاولة: «ماذا تحوي؟».

أتراجع للوراء ولا أجيب.

الشرطة استجوبتها بشأن حادث صدم وهروب...

أشعر بالغثيان.

السيارة التي قبضوا عليها عندما كانت تقودها هي السيارة التي صدمت والدتك.

من الصعب ألا تتفاعل عندما تقرأ شيئًا كهذا عن المرأة التي تزوجتها. يبدو أن أميليا تشعر أن هناك شيئًا خاطئًا للغاية.

تسأل وهي تقترب أكثر: «ما هذا؟ ماذا كتبت؟».

أجبتُ: «بعضها تصعب قراءته».

إنها ليست كذبة.

أطوي الرسالة وأضعها في جيبي عندما أصل إلى النهاية. ثم نهضت وسرت نحو إحدى النوافذ ذات الزجاج الملون. لا أستطيع النظر إلى وجه أميليا الآن. أنا خائف مما يمكنني رؤيته.

كنت أعلم أن هذه العلاقة كانت خطأ منذ البداية، لكن الأخطاء الصغيرة في بعض الأحيان تؤدي إلى أخطاء أكبر. لم تكن روبين زوجتي فقط بل كانت حب حياتي وأفضل أصدقائي. لم أكسر قلبها عندما خنتها فحسب بل كسرت قلبي. وتصطف الأخطاء بعد ذلك كأحجار الدومينو، كل منها يطيح بالآخر الذي يليه. عندما يتحدث الناس عن الوقوع في الحب، أعتقد أنهم على حق فالأمر يشبه السقوط، وأحيانًا عندما نسقط يمكن أن نتأذى بشدة. لم يكن الوضع حبًّا حقًّا مع أميليا. لقد كانت حالة بسيطة من شهوة متلبسة ملابس الحب. هذا حتى جعلتُ الأمور أسوأ مما كانت عليه بالفعل بالزواج بامرأة لم يكن لدي أي شيء مشترك معها.

ربما كانت هذه أزمة منتصف العمر. أتذكر أنني شعرت بالإحباط تجاه عملي. فقد توقفت مسيرتي المهنية ولم أتمكن من الكتابة وشعرت... بالفراغ. بدت زوجتي محبطة مني تمامًا كما كنتُ من نفسي. لكن هذه الغريبة الجميلة الجديدة تصرفت كأن الشمس أشرقت من جسدي الكهل، وقد وقعت لها. لقد جاءت إليَّ وكنتُ أشعر بالإطراء والشفقة لدرجة أنني لم أستطع الرفض. كان غروري يقيم علاقة عابرة وكان ذهني مشوشًا جدًّا لدرجة أنني لم أستوعب أنه لا ينبغي أبدًا أن يتطور الأمر. لم يكن ينبغي حدوث ذلك على الإطلاق.

كانت أميليا مَن أرادت الانتقال للعيش بمجرد مغادرة روبين.

عثرت أميليا على خاتم الخطبة الذي تركته روبين، وأسقطت تلميحات لا نهاية لها حول مدى رغبتها في وضعه، رغم أنه لم يكن مناسبًا تمامًا لإصبعها. كان ضيقًا جدًّا. أجبرتني على التوقيع على أوراق الطلاق بمجرد وصولها، وحجزتْ مكتب التسجيل -وهو المكتب نفسه الذي تزوجنا فيه أنا وروبين من بين جميع الأماكن- لنتزوج سريعًا دون إخباري أولًا. أوصلت المرأة الابتزاز العاطفي مثل ساعي بريد متقن لعمله. كان الزواج الثاني هو الفدية التي لم يكن عليَّ دفعها البتة.

شعرت أن هناك خطبًا ما منذ البداية، لكنني اعتقدتُ أنني كنت أفعل الأفضل للجميع: قطع الخيوط القديمة التي يمكنها التسبب في تفكك علاقة جديدة. لقد كنت غبيًّا أو مغرورًا جدًّا بحيث لم أتمكن من الانتباه إلى أجراس الإنذار التي تدق داخل رأسي. تلك الكلمات التي نسمعها جميعًا عندما نكون على وشك ارتكاب خطأ، ولكننا نتظاهر أحيانًا بعدم سماعنا لها.

لم أتوقف قطُّ عن حب روبين ولم أتوقف قطُّ عن افتقادها. لقد تحدثت بالفعل مع المحامي الخاص بي حول الخيارات المتاحة لي إذا أردت مغادرة أميليا. لكنْ هذه الرسالة. وفكرة أنها كانت في السيارة التي قتلت والدتي ثم قضت كل هذه السنوات تتجسس علينا وتحاول التقرب مني... لا يمكن أن تكون حقيقية. بالتأكيد أميليا ليست قادرة على فعل ذلك.

سألتها ولا أزال أحدق خارج النافذة: «هل سبق لكِ أن واجهتِ مشكلة مع الشرطة؟».

- ماذا كانت تحوي تلك الرسالة يا آدم؟

- هل كنتِ تعيشين في العقار نفسه الذي كنت أعيش فيه عندما كنت مراهقًا؟ وتذهبين إلى المدرسة نفسها؟

لا تجيب وأشعر بالغثيان.

تعود ذكرى تلك الليلة لتطاردني، كما فعلت مرات عديدة من قبل. أتذكر المطر كما لو كان شخصية في القصة. كما لو أنه لعب دورًا، وهو ما أعتقد أنه فعل. ونتيجة لذلك فإن صوت المطر كالرصاص الذي يضرب المدرج

عالق في ذهني. كان الطريق الذي كانت والدتي تسير فيه مثل نهر أسود متعرج، يعكس سماء الليل والتوهج المخيف لأضواء الشوارع، مثل النجوم التي صنعها الإنسان في المناطق الحضرية. لقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة وانتهى بسرعة أيضًا. صرير الإطارات المرعب، وصراخ أمي، وارتطام جسدها بالزجاج الأمامي، وصوت السيارة وهي تسير فوق الكلب. كان ضجيج الاصطدام هو أعلى صوت سمعته على الإطلاق. لم يستمر الأمر سوى بضع ثوانٍ لكنْ بدا كأنه يتكرر. ثم لم يكن سوى صمت رهيب. كان الأمر كما لو أن الرعب الذي رأيته قد حول مستوى صوت أي شيء حولي إلى الصفر.

ما زلت لا أستطيع النظر إلى أميليا. ذهني مشغول جدًّا بملء الفراغات التي لن تفعلها كلماتها.

أسألها بصوت لا يشبه صوتي: «هل كنتِ تسرقين السيارات؟».

لم ترد أميليا، لكن تنفسها أصبح أعلى من خلفي. أسمع شهقاتها الحادة الصغيرة وهي تقف وتبدأ في الاقتراب. أتمنى ألا تقترب، لكنني ألتفت لمواجهتها.

– هل قُبِضَ عليكِ بتهمة القتل بسبب القيادة المتهورة عندما كنا في الثالثة عشرة من عمرنا؟

– أعتقد أنك بحاجة إلى أن تهدأ.

قالتها متنفسةً بصعوبة وهي تحرك خاتم والدتي حول إصبعها. عادة تفعلها عندما تتوتر. دليل على إدانتها. أحدق إلى الياقوت وهو يتلألَؤُ في الضوء الخافت كما لو كان يسخر مني. صخرة زرقاء صغيرة ولكنها جميلة. لا ينبغي أن يكون هذا الخاتم في يد أميليا أبدًا.

سألتها: «هل ذهبتِ في رحلة بالسيارة تحت المطر ذات ليلة؟».

– يحتاج كلانا إلى الهدوء و... التحدث.

بدأت تبكي وتلهث في الوقت نفسه، لكنني ما زلت لا أستطيع النظر في عينيها. أواصل فقط التحديق إلى الخاتم الموجود في إصبعها.

– هل صعدت السيارة على الرصيف؟

– آدم... رجاءً...

– هل اصطدمتِ بامرأة ترتدي الكيمونو الأحمر في أثناء تمشية كلبها؟ هل تركتِها لتموت وقدتِ مبتعدة عنها؟

– آدم، أنا...

– هل اعتقدتِ أنك ستفلتين من العقاب إلى الأبد؟

نظرتُ إلى الأعلى محدقًا إلى وجه أميليا. لأول مرة يبدو الأمر مألوفا بالنسبة إليَّ. تأخذ جهاز الاستنشاق من جيبها وتبدأ بالذعر عندما تدرك أنه فارغ.

تهمس: «ساعدني».

سألت وأنا أقاوم نزول الدموع من عيني: «هل كنتِ مَن قاد السيارة ليلة مقتل والدتي؟».

– أنا... أحبك.

– هل كان أنتِ؟

أومأت أميليا برأسها وبدأت في البكاء أيضًا. أضفتُ: «كيف يمكنكِ إخفاء شيء كهذا عني؟ لماذا لم تخبريني من أنتِ؟ هذا... تصرف مريض. **أنتِ** مريضة. لا توجد كلمة أخرى لذلك. كل شيء يتعلق بكِ، بنا، هو... كذبة».

لا تستطيع التنفس. أحدق إليها، ولم أعد أعلم ماذا يجب أن أفعل، أو أقول، أو كيف أتصرف. يبدو هذا كأنه أحد كوابيسي، لا يمكن أن يكون حقيقيًّا. غريزيًّا أساعدها رغم كل شيء. لكنْ بعد ذلك تحدثتْ مجددًا، وأريد فقط فعل شيء واحد: أجعلها. تصمت.

– أنا... لست الوحيدة التي... كذبت.

لا أعلم ما التعبير الذي يظهر على وجهي عندما تقول أميليا هذا، لكنها تراجعت خطوة إلى الوراء وأكملت هامسة وهي تلهث: «أنا آسفة. أنا فقط... أردتُ جعلك... سعيدًا».

– حسنًا، لم تفعلي. لم أكن سعيدًا معكِ **قط**.

ثم أرى وجه أميليا بوضوح للمرة الأولى. ولكنه يتغير بمجرد أن أفعل، ويظلم متحولًا إلى شيء قبيح وغير مألوف. أصبحت عيناها واسعتين فجأة

وجامحتين وهي تتجول في المطبخ. كل ذلك يحدث بسرعة كبيرة. جدًّا. تسقط يدها جهاز الاستنشاق وتصل إلى مجموعة السكاكين بدلًا من ذلك. تأتي نحوي ممسكةً بشفرة لامعة. لكنْ بعدها ظهر وجه آخر خلف زوجتي ورأيت وميضًا آخر من المعدن، لكنْ هذه المرة كان مقصًّا حادًّا.

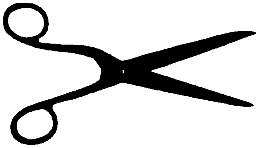

مقص

كلمة العام:

شماتة (schadenfreude): المتعة أو الفرح أو الرضا الذاتي الذي يستمده شخص ما من مصيبة شخص آخر.

16 من سبتمبر 2020

عزيزي آدم

إنها ليست ذكرى زواجنا، لكنْ مرت ستة أشهر منذ عودتي إلى المنزل ولم أستطع مقاومة كتابة رسالة إليك. لقد نجحنا في ترك الماضي خلفنا وأصبحنا عائلة مجددًا: أنت وأنا وبوب وأوسكار أرنب المنزل. في بعض الأحيان عندما تطلق سراح شيء ما، فإنه يعود إليك. لا يعرف أحد ما حدث في اسكتلندا وليس على أحد المعرفة.

كان من الصعب علينا في البداية العودة إلى لندن لنجد الكثير من آثارها في منزلنا. لكنْ لا يوجد شيء لم يُحل عن طريق بعض أكياس القمامة ومكان القمامة المحلية وبعض الطلاء. لقد عدنا إلى ما كنا عليه، وعاد كل شيء إلى مكانه من قبل. بالكاد. لأن العمل في مأوى باترسي للكلاب غير وارد -يوجد

الكثير من التذكيرات بكل الأشياء التي أفضل أن أنساها- لكنْ لا بأس، لدي وظيفة جديدة الآن: أنا كاتبة بدوام كامل.

ليس كأن أحدًا يعلم، سواك.

لقد كانت ستة أشهر مزدحمة. سيُنشَر **حجر ورقة مقص** العام المقبل. قد لا يكون اسمي على الغلاف، لكنه كتابي، ومن الصعب ألا تشعر بالقلق من حقيقة أن الناس سيقرؤونه. لقد وضعت الكثير من حياتنا الحقيقية إلى هذه الرواية. لقد بيعت بالفعل حقوق الشاشة -إلى الشركة التي طالما حلمتَ بالعمل معها- ويوجد بند محكم في العقد ينص على أنك ستكون كاتب السيناريو الوحيد في هذا المشروع. لقد وقع هنري على الصفقة بنفسه، أو على الأقل فعلت ذلك. أعتقد أحيانًا أن الخوف من السقوط هو ما يجعل الناس يتعثرون. نحن لم نولد خائفين. عندما نكون صغارًا لا نتردد في الجري أو التسلق أو القفز، ولا نقلق من التعرض للأذى أو القلق بشأن الفشل. يعلمنا الرفض والحياة الواقعية أن نخاف، لكنْ إذا كنت تريد شيئًا بشدة بما فيه الكفاية فعليك أن تنطلق.

بكيتُ عندما وصل صندوق النسخ المسبقة الخاصة بالمؤلف اليوم. دموع فرح في الغالب. فتحته باستخدام مقص اللقلق القديم الذي أحضرته إلى المنزل من اسكتلندا. لقد امتلكته منذ أن كنت طفلة، اشترت والدتي زوجين أحدهما لي والآخر لها. لقد كان تقريبًا كل ما تبقى لي لأتذكرها به، لقد جعل التجربة مميزة للغاية بالنسبة إليَّ. احتفظت بمقص واحد وتركت الآخر عمدًا في كنيسة بلاك ووتر لأنه حان الوقت للمضي قدمًا، ومن الأفضل ترك بعض الأشياء في الماضي. كان ذلك المقص بمنزلة نهاية فصل غير سار في حياتنا، واليوم ساعد في الكشف عن مستقبلنا الجديد من خلال فتح صندوق كتب. لقد بيعت الرواية بالفعل في جميع أنحاء العالم، عشرين ترجمة حتى الآن. لا يهمني اسم الشخص الموجود على الغلاف فنحن نعلم أنها قصتنا، وهذا كل ما يهمني.

لا يحتاج أحد إلى معرفة أن هنري وينتر كان والدي.

أو أنه مات.

أو ماذا حدث لزوجتك الثانية.

ما زال يزعجني أنها كانت زوجتك على الإطلاق. لقد سعدتُ للغاية عندما خلعتَ خاتم زواجك فيما كنا لا نزال في اسكتلندا وألقيته في البحيرة، كما لو كنت تريد ترك الماضي خلفنا أيضًا. حاولتُ إزالة خاتم زواج والدتك المصنوع من الياقوت من يد أميليا الميتة قبل مغادرتنا. ليس لأنني أردت استعادته لكنْ لأنها لم تستحق وضعه في المقام الأول. لم يخرج من إصبعها بصرف النظر عن مدى صعوبة محاولتي لف أو سحب ذاك الشيء اللعين، وقد أزعجني ذلك أكثر مما ينبغي. بعض الناس عنيدون في الموت كما هم في الحياة.

أنا لا أقول إن كل شيء مثالي، لا يوجد شيء من هذا القبيل. الزواج عمل شاق في بعض الأحيان. يمكن أيضًا أن يكون الأمر مفجعًا وحزينًا، لكنْ أي علاقة تستحق العناء والقتال من أجلها. لقد نسي الناس كيف يرون الجمال في عدم الكمال. أعتز بما لدينا الآن رغم كونه ملطخًا بالدماء وبحواف ممزقة. على الأقل ما لدينا حقيقي.

ما زلنا نملك أسرارًا، لكنْ ليس على أحدنا الآخر بعد الآن.

أعتقد دائمًا أنه من الأفضل التطلع إلى الأمام وليس إلى الوراء أبدًا. لكن لو لم ننفصل، لكان العام المقبل هو الذكرى السنوية الثالثة عشرة لنا. كانت الهدية التقليدية من المفترض أن تكون من الدانتيل، وأنا أعرف بالفعل ما سأقدمه لك. رغم أنني سأكون من يلبس فستان الزفاف الجديد فإنه سيكون لكَ. كل ما أفعله كان دائمًا لكَ.

روبين خاصتك.

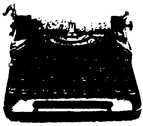

آدم

يمكن أن تكون الكتب مرايا لمن يحملها، ولا يحب الناس دائمًا ما يرونه.

لقد كانت الأشهر الستة الماضية جيدة، وأشعر كما لو أن حياتي عادت إلى مسارها الصحيح. عادت روبين إلى المنزل مجددًا وأعادت تزيين كل شبر من منزلنا، يبدو الأمر كما لو أن أميليا لم تكن هنا قط. أنا سعيد جدًّا بعودة روبين وكذلك بوب، وأعتقد أننا كنا بحاجة إليها أكثر بكثير مما أدركت. قد لا أكون قادرًا على رؤية شكلها من الخارج، لكن زوجتي إنسانة جميلة **من الداخل**. حيث يهم. لن يغير أي شيء يمكنها فعله الشخص الذي أراه عندما أنظر إليها. لقد أُنتج **أخيرًا حجر ورقة مقص**، ورغم أن العناوين الافتتاحية ستقول «استنادًا إلى رواية هنري وينتر» فإنني أستطيع التعايش مع الأمر. إن التعامل مع المؤلفين صِعَاب المراس يكون أسهل بكثير عندما يموتون. اتضح أن زوجتي ماهرة في كتابة قصص الرعب والإثارة مثل والدها. ربما ليس أمرًا غريبًا. فإن أكثر المنازل المسكونة رعبًا هي دائمًا تلك التي تكون فيها الشبح.

أعتقد أنه تأتي نقطة في حياة كل شخص عندما يتعين عليه فقط فعل ما يريد فعله. مطاردة الحلم تصبح لا إرادية، **عليك** فعل ذلك، لأن جميعنا نعلم أن الوقت ليس أبديًّا. ولقد كنت أطارد هذا الحلم لفترة طويلة، ألا أستحق أن أحقق أحلامي في النهاية؟ أود الاعتقاد أنني أستحق. لدي أفضل وظيفة في العالم، لكن الكتابة هي طريقة صعبة لكسب العيش السهل. إذا اعتقدت أنني

يمكن أن أكون سعيدًا بفعل أي شيء آخر، فسأفعل ذلك بالتأكيد بدلًا من الكتابة.

رغم كل شيء، أنا أنام بشكل أفضل من أي وقت مضى. لقد توقفت كوابيسي تمامًا منذ عودتنا من اسكتلندا، كأنني تركت ألم الماضي خلفي. ربما لأنني أخيرًا توصلت إلى حقيقة ما حدث عندما كنت صبيًّا.

ما زلت أفكر في والدتي والطريقة التي ماتت بها كل يوم. ورغم أن الكوابيس قد توقفت فإن الشعور بالذنب لم يختفِ قط. لقد كان خطئي ولن يغير ذلك أي شيء على الإطلاق. لو كنت قد رافقت الكلب بنفسي -كما طلبت مني والدتي- لما خرجتْ إلى الشارع في تلك الليلة، ولما صدمتها السيارة. لكني كنت فتى في الثالثة عشرة من عمره غاضبًا لأنه شاهد والدته تصفف شعرها وترش عطرها وتطلي وجهها بمساحيق التجميل وتلتف بالكيمونو الأحمر كهدية مجانية. كانت ترتديه فقط عندما يأتي ضيف ليقضي الليل في منزلنا. قالت إنهما **صديقان**، لكن سُمك جدران الشقة كسماكة الورق.

أتى رجال مختلفون كثيرًا. لم يعجبني الأمر. لذلك عندما طرق **صديق** ذلك المساء الباب -وجه آخر لم أتعرف عليه ولكني كنت متأكدًا من أنني لم أره من قبل- خرجتُ غاضبًا. كنت في الثالثة عشرة من عمري، التقيت فتاة في الحديقة تلك الليلة خلف المبنى الذي أعيش فيه. جلسنا على الأراجيح المكسورة وشاركنا زجاجة كبيرة من مشروب التفاح الدافئ. كانت المرة الأولى التي أشرب فيها الكحول، وأول مرة أدخن سيجارة وأول مرة أقبل فتاة. لم أكن في عجلة من أمري للعودة إلى المنزل. لقد جعلني أتساءل كم عدد المرات الأولى التي يمكن أن يحصل عليها الشخص قبل أن تقدم له الحياة مرات ثانية فقط.

كانت رائحة الفتاة مثل الدخان والعلكة. علمتني كيفية سرقة سيارة -من الواضح أنها فعلت ذلك من قبل- ثم علمتني كيفية قيادتها خلف مستودع مهجور. لقد علمتني كيفية فعل أشياء أخرى لأول مرة أيضًا، وشخصيتي المراهقة اعتقدت أنها كانت في حالة حب.

ولهذا السبب فعلت ما قالته عندما طلبت مني قيادة السيارة حول المزرعة. أتذكر صوت ضحكتها، وتساقط المطر على الزجاج الأمامي مما جعل الرؤية

شبه مستحيلة. أخبرتني أن **أسرع** وهي ترفع صوت مذياع السيارة. **أسرع!** انحرفتُ إلى الزاوية بسرعة كبيرة وبدأنا بالدوران. عندما نظرت إلى الأعلى، رأيت والدتي.

وقد رأتني.

حدث كل ذلك بسرعة كبيرة: صوت صرير المكابح، السيارة وهي تصعد على الرصيف، كيمونو والدتي الأحمر يتطاير في الهواء، صوت الاصطدام عندما اصطدم جسدها بالزجاج الأمامي، وارتطام العجلات التي تتدحرج فوق الكلب. ثم الصمت.

لم أستطع التحرك في البداية.

لكنْ بعدها بدأت الفتاة تصرخ في وجهي.

دفعتني خارج السيارة عندما لم أرد، وجلستْ في مقعد السائق وقادت مبتعدة. خرج بعض الجيران بعد ذلك بقليل فوجدوني جاثيًا بجانب أمي، أبكي، ومغطى بدمائها. افترض الجميع أنني كنت أسير مع الكلب عندما حدث ذلك.

لم أكن أعلم حتى اسم الفتاة. ولم أتمكن من التعرف على الوجوه قط. عندما طلبت مني الشرطة تحديد هوية بعض الصور لفتاة مراهقة يُشتبه في أنها تقود السيارة المسروقة، لم أستطع المساعدة حقًّا.

اعتقدت أنني لن أراها مجددًا لذلك كان من المفاجئ اكتشاف أننا متزوجان.

هل أشعر بالسوء حيال ما حدث لأميليا؟

لا.

للأسف يموت الناس كل يوم، حتى الطيبين. ولم تكن واحدة منهم. لا أحد منا يعرف متى سيغادر، الحياة ليست هذا النوع من الفنادق. أنا سعيد الآن. أسعد مما ظننت أنني يمكن أن أصبح مجددًا. أريد فقط وضع كل شيء خلفي، والآن أستطيع أخيرًا فعل ذلك. أحيانًا تكون الكذبة هي ألطف حقيقة يمكن قولها لأي شخص، حتى لنفسك.

سام

صامويل سميث ليس رجلًا سعيدًا.

عندما كان صبيًّا صغيرًا، كان مهووسًا بروايات الرعب والجريمة. لقد التهم كتب «ستيفن كينج» و«أجاثا كريستي»، وحلم بأن يصبح محققًا يومًا ما. أن يصبح محققًا خاصًّا كان أقرب ما يكون إلى هذا الحلم. عندما احتفل سام بعيد ميلاده الأربعين بمفرده وهو يشرب البيرة الدافئة ويأكل البيتزا الباردة في شقته بلندن، اعترف لنفسه: لم يكن هذا هو الحلم الذي أراد عيشه.

لكن في اليوم التالي -عندما كان سام يشعر بإرهاق شديد من قلة النوم- اتصل به رجل مسن. لقد طلب المساعدة **المهنية** من سام لمراقبة ابنته المنفصلة. كان الرجل العجوز مترددًا في إخباره باسمه في البداية، لكن كونه محققًا سريًّا كان عملًا يتطلب حقائق، لذلك كان على سام الإصرار. في النهاية اعترف المتصل بأنه هنري وينتر، وأصبحت مهنة سام المخيبة للآمال فجأة أكثر إثارة للاهتمام.

ظن أنها مزحة، أو مقلبًا لعيد ميلاد متأخر من صديق، ربما، لكنه تذكر بعدها أنه لم يكن يملك أصدقاء. كانت قراءة الكتب هي الطريقة التي يقضي بها سام معظم الأمسيات. كانت مفضلاته هي الأكثر رعبًا، وكان هنري وينتر ملك الرعب في عينَي سام. كان يقرأ قصص المؤلف منذ أن كان مراهقًا. بمجرد التحقق من بعض الحقائق والتأكد من أن هنري وينتر الحقيقي هو الذي يطلب مساعدته، سيكون سام سعيدًا بأداء هذا العمل مجانًا.

لكن على الرجل أن يجني لقمة عيشه.

لم يكن الأمر كما لو أن المؤلف المسن كان فقيرًا: بل على العكس تمامًا. لكن سام ما زال يشعر بالسوء بشأن المبلغ الذي كان يتقاضاه منه. إن متابعة ابنة هنري ومراقبة زوجها أمر سهل.

يحب سام أن يعتقد أنه وهنري أصبحا صديقين على مدى السنوات التالية، وقد أصبحا بالفعل من بعض النواحي. حتى إن سام تمكن من إقناع الرجل العجوز بالحصول على جهاز حاسوب محمول حتى يتمكنا من إرسال رسائل البريد الإلكتروني من وقت لآخر. كان يتبع روبين أو زوجها مرتين في الأسبوع أو نحو ذلك -عندما يسيران مع كلبهما، أو في طريقهما إلى العمل، أو كان يجلس أحيانًا خارج منزلهما في قرية هامبستيد- فقط لتتبع أمورهما. ثم يرسل تقريرًا شهريًّا إلى هنري. لكن تبادلاتهما لم تكن كلها مرتبطة بالعمل. غالبًا ما كانا يتحدثان عن الكتب أو السياسة بدلًا من روبين وآدم. كان سام فخورًا جدًّا بحقيقة أن هنري وثق به رغم أنهما لم يلتقيا قط.

كانا يتحدثان مرة واحدة على الأقل شهريًّا، لذلك عندما لم يسمع شيئًا من هنري لفترة من الوقت بدأ سام يشعر ببعض القلق. أولًا توقفت المكالمات الهاتفية ولم يُرَد عليها أو تُسترجَع مطلقًا، لكنْ في ذلك الوقت كان هنري لا يزال يجيب على رسائل البريد الإلكتروني من حين إلى آخر. ومن المثير للدهشة أنه كان حريصًا على رؤية صور الكلب فجأة وأراد معرفة كل التفاصيل عندما أُعيد تزيين منزل ابنته بعد مغادرتها. كانت الكاميرا الخاصة بسام ذات العدسة الطويلة مفيدة جدًّا في تلك الأوقات. لكن المؤلف لم يستخدم اللهجة الودية نفسها التي استخدمها من قبل قط، وبعد ذلك انتهت جميع الاتصالات بشكل مفاجئ، بالإضافة إلى مرتبه الشهري.

كان سام يراقب ابنة هنري لأكثر من عشر سنوات، وقد حزن عندما انتهت علاقته بالمؤلف فجأة ودون أي تفسير. بدأ بشرب المزيد من البيرة وأكل المزيد من البيتزا، ولم يشتر أحدث روايات هنري وينتر إلا في اليوم **التالي** لصدورها احتجاجًا على ما حدث. كان سام جزءًا صامتًا من العائلة منذ أن تزوجت روبين بآدم. لقد كان حاضرًا عندما بدأ زوجها في إقامة علاقة غرامية مع أخرى، وشعر بالإحباط قليلًا عندما انفصلا. كان التنقيب في قذارة

زواجهما عملًا سهلًا، لكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد وراء فعله ذلك طوال الفترة التي فعلها. لقد كانا زوجين مثيرين للاهتمام يجب مراقبتهما: آدم بكتاباته، وروبين بأب مشهور وماضٍ سري. لقد أصبح سام مرتبطًا بكلبهما إلى حد ما، حيث كان يراقب بوب منذ أن كان جروًا. لذلك كان حزينًا حقًّا عندما سارت الأمور بشكل خاطئ بالنسبة إلى السيد والسيدة رايت.

عندما عادت الابنة للعيش مع زوجها السابق قبل بضعة أشهر بعد اختفائها عن وجه الكوكب لبضع سنوات، قرر سام القيادة إلى اسكتلندا وإخبار هنري بذلك شخصيًّا. كان صاحب البلاغ دائمًا حريصًا على الحفاظ على خصوصيته ورفض الكشف عن عنوان منزله مطلقًا، لكن سام كان بالطبع يعلم مكان إقامته. ربما لم ينجح في العمل محققًا لكنه كان لا يزال يعرف كيفية اكتشاف معظم الأشياء عن معظم الناس.

كانت المقابلات الصحفية مع هنري وينتر نادرة، لكن سام احتفظ بواحدة منذ بضع سنوات مضت. كانت تتعلق بالمكان الذي يحب المؤلف الكتابة فيه، وأظهرت صورة لهنري في مكتبه جالسًا إلى مكتب عتيق كان في السابق ملكًا لأجاثا كريستي. لم يستغرق سام وقتًا طويلًا حتى يعرف من أي دار مزادات أتى المكتب. أو رشوة سائق التوصيل ليعطيه العنوان الذي أُرسِلَ إليه.

كان العثور على مخبأ هنري الاسكتلندي أصعب مما كان يتخيله سام. كانت الرحلة من لندن طويلة وبطيئة إلى حد مؤلم، ودون وجود اتجاهات أثبت الرمز البريدي الذي حصل عليه أنه عديم الفائدة تقريبًا. بعد التجول في دوائر بحثًا عن كنيسة بلاك ووتر الغامضة -وربما غير الموجودة- ومرورًا بجبال وبحيرات لا نهاية لها بدأت تبدو كلها متشابهة، عاد سام بنفسه إلى هولوجروف، المدينة الوحيدة التي رآها قبل عدة كيلومترات.

لم يكن هناك سوى متجر واحد، وكان الظلام قد حل ورأى سام المرأة وهي تضع لافتة **مغلق** في النافذة بمجرد أن رأته يخرج من سيارته. لقد طرق على أي حال، وأظهر وجهها تعبيرًا أكثر إزعاجًا من ذلك الذي ظهر من قبل.

فتحت المرأة الباب ولاحظ سام الشارة المحتوية على اسمها: باتي.

كان وجهها مثل سمكة الشبوط وكان أحمر مثل مئزرها. كانت عيناها الخرزيتان متوهجتين وبدى صوتها كالنباح عندما قالت «ماذا» ويتطاير البصق من فمها كالسم. من الواضح أنها كانت امرأة جيدة في جعل الناس يشعرون بالسوء. قاوم سام الرغبة في تقديم تعازيه لأخت باتي، التي كان متأكدًا من أنها قُتِلَت على يد فتاة تدعى دوروثي بالقرب من طريق من الطوب الأصفر. لكن تبين أن افتقار باتي إلى اللطف كان مفيدًا للغاية.

- لم يرَ أحد هنري وينتر منذ عامين، كما أقول: بئس المصير. لقد طرد مدبرة منزله القديمة دون سابق إنذار -لقد كانت صديقة لي. اعتادت مدبرة المنزل الجديدة أن تأتي بين الحين والآخر للحصول على الإمدادات- وهي امرأة غريبة تحب الحلويات والفاصولياء المخبوزة وأطعمة الأطفال، لكنها توقفت عن المجيء إلى المدينة منذ بضعة أشهر. لا أعلم إذا كان ينبغي لي إخبارك بكيفية الوصول إلى كنيسة بلاك ووتر. لا أريدك أن تعود إلى هنا وتلومني إذا حدث شيء سيئ. هذا المكان ليس مسكونًا فحسب بل ملعون. اسأل أي شخص.

اشترى سام زجاجة باهظة الثمن من الويسكي -لم يكن يريد مقابلة صديقه خالي الوفاض- وأعطته العجوز الشمطاء التوجيهات على أي حال. رسمت له خريطة عندما أعطاها سام ورقة نقدية بقيمة عشرة جنيهات لشكرها.

شعر سام كأنه شخصية في إحدى رواياته البوليسية المفضلة بمجرد عودته إلى الطريق. توقفت المكالمات الهاتفية من هنري قبل نحو عامين، وهو الوقت نفسه الذي قالت فيه المرأة في المتجر إن المؤلف توقف عن الذهاب إلى المدينة. لم يكن سام يعرف شيئًا عن مدبرة المنزل سواء كانت قديمة أو جديدة، ولم يذكرها هنري قط. الشخص الوحيد الذي أراد هنري التحدث عنه حقًّا هو ابنته روبين. لا يزال انفصالهما يزعج سام، لأنه من الواضح أنه جعل المؤلف العجوز حزينًا للغاية بالفعل.

كانت روبين طفلة صعبة. توفيت والدتها -كاتبة الروايات الرومانسية التي التقاها هنري في مهرجان أدبي في ذلك الوقت- عندما كانت الفتاة في الثامنة من عمرها فقط. لقد غرقت في الحمام. كان والدا روبين مؤلفين، لذلك

ربما لم يكن من المفاجئ أنها كافحت لفصل الحقيقة عن الخيال. قال هنري إنها كانت دائمًا تختلق القصص، مما جعلها تواجه مشكلات في المدرسة الداخلية وفي المنزل أيضًا. لقد فُصلت مرة لأنها أخبرت الفتيات في مهجعها حكايات عن السحرة الذين يهمسون بأسماء ضحاياهم ثلاث مرات قبل قتلهم. لقد كان كل ذلك مجرد نتيجة لخيال مفرط النشاط -والذي ورثته لكي نكون منصفين- لكنْ عندما حاول هنري تأديبها، قصت روبين شعرها بالمقص في إحدى الليالي وتركت له ضفيرتين شقراوين طويلتين ليجدهما على وسادتها.

ألقى هنري باللوم على الحزن وعلى نفسه، ولم ينجح أي شيء حاول عمله لمساعدة الطفلة. لقد هربت من كنيسة بلاك ووتر مرات عديدة لا يمكن إحصاؤها، وعندما أصبحت في الثامنة عشرة من عمرها هربت إلى الأبد. لم يعرف هنري مكانها لسنوات حتى اتصلت به روبين وطلبت منه مساعدة زوجها. كان هنري مغرمًا بآدم منذ البداية. كان يبدو دائمًا كأنه يبتسم عندما يتحدث عن الرجل الذي تزوجته روبين. لم تعجبه الاقتباسات السينمائية لرواياته لكن حقيقة استمراره في الموافقة عليها كانت دليلًا على مدى إعجابه بآدم. كان من الواضح أن هنري أصبح يفكر في صهره السري باعتباره الابن الذي لم ينجبه. كان يعتقد أن آدم له تأثير جيد في حياة ابنته، ولم يمانع بقاءه بعيدًا عن حياتها ما دامت سعيدة. هذا كل ما أراد معرفته عندما طلب من سام تتبعهما.

هل كانت سعيدة؟

كانت روبين دائمًا مولعة بكتابة الرسائل عندما كانت طفلة، بالإضافة إلى اختلاق الأشياء التي أوقعتها في المشكلات. كتبت رسالة أخيرة لهنري قبل هروبها إلى لندن. لقد كانت لشكره، وكذلك لتوديعه. قالت إن الشيء الوحيد الذي أعطاه لها وأحبته حقًّا هو اسمها. أصرت والدتها على تسميتها ألكسندرا لكن هنري لم يعجبه الاسم قط، لذلك استخدم دائمًا الاسم الأوسط للطفلة بدلًا منه، وهو الاسم الذي اختاره: روبين. قال إنها أحبته كثيرًا لأنه جعلها تشعر كأنها طائر، ويمكن للطيور دائمًا الطيران بعيدًا. وعندما طارت روبين، لم تعد قط.

كان سام يراقب بعينيه طرق المرتفعات المتعرجة التي كان من الصعب التنقل فيها حتى قبل حلول الظلام. كما ظل ينظر إلى الخريطة المرسومة يدويًّا التي أعطته إياها المرأة في المتجر محاولًا فهمها. ولاحظ أن باتي كتبت أيضًا رقم هاتفها. ارتجف سام. رغم ضياعه في الصحراء لفترة طويلة، عندما يتعلق الأمر بالسيدات فإنه يفضل الموت من العطش على الشرب من تلك البئر. وعندما انعطف عن الطريق الرئيسي رأى أنه كانت هناك لافتة تشير إلى بحيرة بلاك ووتر طوال الوقت. لقد مر بجانبها عدة مرات في وقت سابق لأنه يبدو أن اللافتة كانت مقطوعة. ربما بفأس.

من الواضح أن هذا مكان لا يريد شخص ما أن يجده الناس.

قاد سيارته على طول الطريق الصغير، وتجنب بصعوبة الاصطدام ببعض الأغنام، ومر بكوخ صغير مسقوف بالقش عن اليمين. بدا مهجورًا. كان سام على وشك الاستسلام وقرر أن يحاول ربما العثور على فندق لقضاء الليل فيه، لكن مصابيحه الأمامية أضاءت على شكل كنيسة صغيرة بيضاء قديمة من بعيد.

كان مقياس الوقود الخاص بسام منخفضًا، لكن آماله كانت كبيرة عندما أوقف سيارته من نوع "BMW» المستعملة في الخارج. ولم يدم تفاؤله طويلًا. فقد كانت الكنيسة في ظلام دامس. كان بإمكانه المعرفة بالفعل أنه لا يوجد أحد في المنزل: فالباب الخشبي القديم الكبير لم يكن مغلقًا فحسب؛ لقد قُيدت دفتاه معًا بقفل. من الواضح أن هنري لم يكن هناك، ومن خيوط العنكبوت السميكة التي تغطي الباب، بدا أنه لم يكن موجودًا منذ بعض الوقت.

منزعجًا من فكرة قيادته إلى هنا دون فائدة، ولم يكن مستعدًّا للاستسلام تمامًا، أمسك سام بكشافه من صندوق السيارة وذهب سائرًا حول الكنيسة. كان يأمل وجود طريق آخر للدخول، لكنْ رغم النوافذ الزجاجية الملونة التي لا نهاية لها، لم تكن هناك أبواب أخرى. عثر على العديد من التماثيل الخشبية في الظلام. كانت الأرانب والبوم ذات المظهر الغريب المنحوتة من جذوع الأشجار القديمة مخفية جيدًا بالظلال، لدرجة أن سام اصطدم مباشرة بالأول واعتذر تلقائيًّا قبل التراجع خطوة إلى الوراء. أعينها الوحشية المقلوعة جعلته يرتجف. لكنه شعر بعدها بموجة غريبة من الارتياح -لقد تحدث هنري معه

عن مدى حبه لنحت الخشب، ووجده مهدئًا بعد يوم طويل من الكتابة عن قتل الناس- وعلم سام أنه على الأقل في المكان الصحيح.

ثم وجد المقبرة في الجزء الخلفي من الكنيسة.

امتزجت شواهد القبور الجرانيتية مع بقية المكان الأسود الداكن في البداية، لكنْ عندما اقترب سام كشف مصباحه أن معظمها كانت قديمة جدًّا. لدرجة أنها كانت إما تميل بزوايا وإما تنهار وإما مغطاة بالطحالب. لكن لم تكن جميعها قديمة أو مستحيلة القراءة. الشاهد الأحدث الذي برز بين جيرانه المتهالكين على مسافةٍ لم يكن يبدو كأن عمره أكثر من عام أو عامين، لفت انتباهه. اتجه في اتجاهه لكنه تعثر بكومة غير متوقعة من التراب وأسقط كشافه. كان من الصعب جدًّا إخافة سام -فقد قرأ جميع روايات هنري وينتر مرتين- لكنْ حتى هو قد فزع وهو يزحف على يديه وركبتيه في مقبرة في وقت متأخر من الليل، محاولًا استعادة كشافه. تشير كومة التراب إلى أن شخصًا ما قد دُفن هناك مؤخرًا، ولم يوجد وقت كافٍ للعشب للنمو فوق التربة غير المستوية. لم توجد علامة ولا اسم، وقد ذكَّره بقبر شخص شديد الفقر. لكنه لاحظ بعدها شيئًا يخرج من الأرض... جهاز استنشاق قديم.

شعر سام بالقلق فجأة، وعاد تحذير صاحبة المتجر بشأن لعنة الكنيسة ليطارد أفكاره. ثم سمع أحدهم يهمس باسمه ثلاث مرات في الظلام خلفه مباشرة.

صامويل... صامويل... صامويل.

لكنْ عندما التفت إلى الوراء، لم يكن أحد هناك.

لا بدَّ أنها كانت ريح. يمكن للخوف والخيال أن يقودا ألمع الناس إلى مسارات مظلمة. لا عجب أن الطفل الذي ينشأ هنا يتخيل الكثير من الحكايات الفظيعة والملتوية التي تخلط بين الحقيقة والخيال، فكر متذكرًا كل القصص التي قال هنري إن روبين اختلقتها. كان سيسأل الرجل العجوز عن ذلك مجددًا بمجرد أن يتعقبه. اكتشف مركز شرطة صغيرًا في هولوجروف وكتب ملاحظة في ذهنه ليتوقف هناك في طريق عودته، على أمل أنهم يعرفون أين يعيش صديقه الآن. يجب أن يعرف شخص ما. لا يختفي المؤلفون المشهورون

عالميًّا فحسب. بالإضافة إلى ذلك، كان هنري سيصدر كتابًا جديدًا بعنوان حجر ورقة مقص العام المقبل. عرف سام ذلك لأنه طلب الكتاب مسبقًا.

التقط أنفاسه وأمسك بالكشاف من الأرض الموحلة، ومشى إلى شاهد القبر ذي المظهر الأحدث في المقبرة. وكان عليه قراءة ما هو محفور عليه عدة مرات قبل أن يتمكن عقله من البدء في فهم الكلمات.

هنري وينتر

قاتل لشخص واحد، ومؤلف للكثيرين

2018-1937

لم يصدق في البداية أن هنري مات.

كان هناك صندوق زجاجي صغير على القبر، من النوع الذي قد يستخدمه شخص ما لحفظ الحلي داخله. وجه سام ضوء كشافه إليه، وتردد قبل أن ينحني لإلقاء نظرة فاحصة. وعندما فعل ذلك، رأى أن الصندوق يحتوي على ثلاثة عناصر. خاتم من الياقوت ومجسم ورقي ومقص صغير عتيق مصمم ليبدو مثل طائر اللقلق. لقد كان الخاتم هو الذي لفت انتباهه، ليس فقط بسبب الصخرة الزرقاء المتلألئة لكنْ لأنه كان لا يزال ملتصقًا بما بدا أنه إصبع بشرية. اشتدت الريح بعدها وظن سام أنه سمع شخصًا يهمس باسمه مجددًا ثلاث مرات. لم يكن يؤمن بوجود الأشباح لكنه ركض إلى سيارته بأسرع ما يمكنه ولم يلتفت إلى الوراء.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook